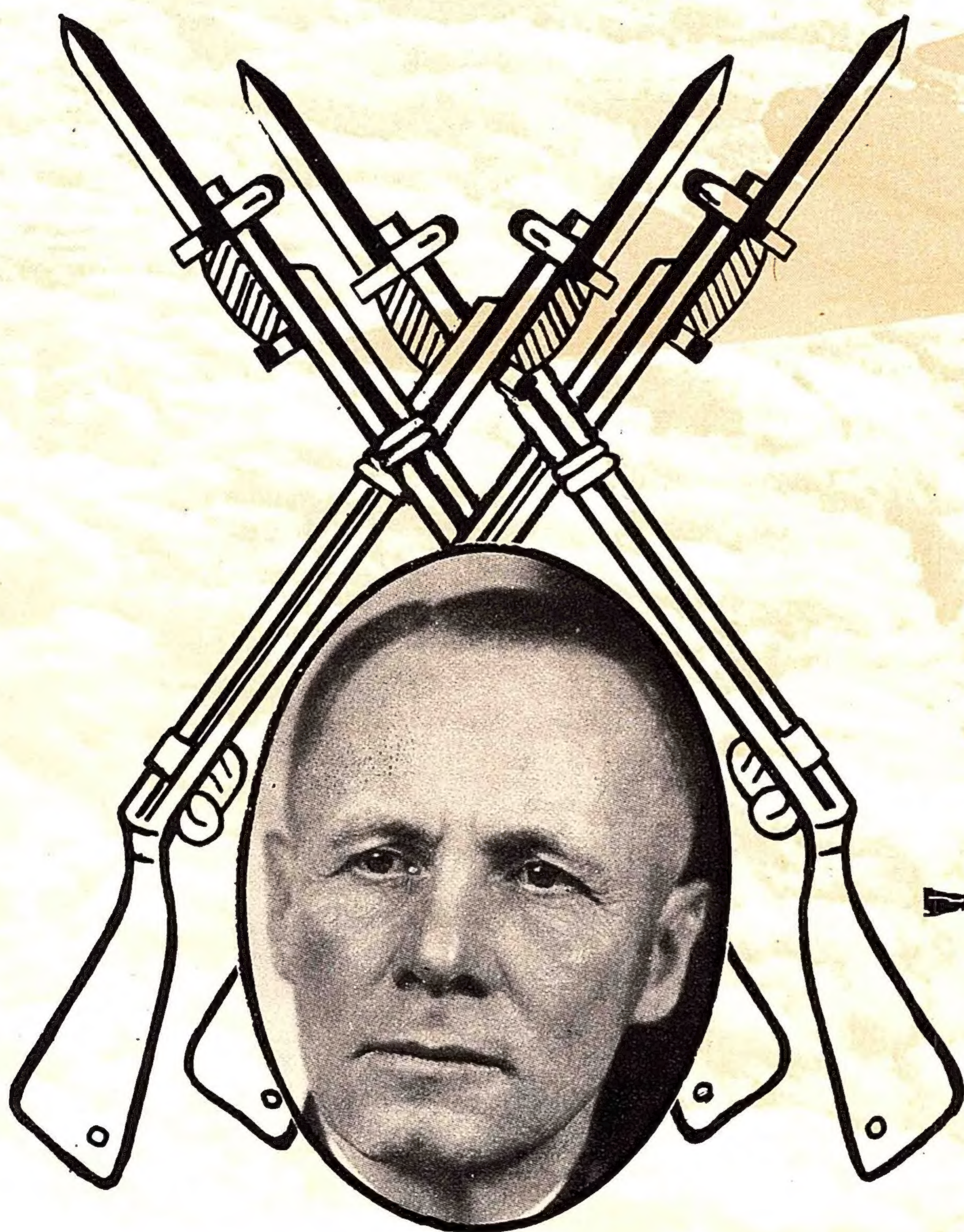


مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية



رومل



بسّام العسلي





دار النفائس

مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية



روميل

(ثعلب الصحراء)

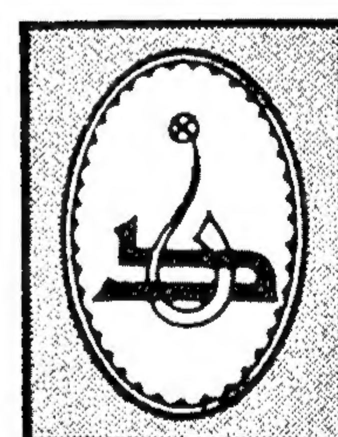
فون إيروين روميل

VON - ROMMEL - ERWIN

بسّام العسليّ

دار النفائس

جَمِيعُ الحُقوقِ مَحفُوظَة



دار النفائس

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الوجيز في حياة رومل

١٨٩١ ولادة إيروين جوان أوجين روميل في (هايدنهايم) قرب (أُولم) ـ اقليم وورتمبرغ .

١٩١٠ تطوع رومل بكتيبة المشاة ١٢٤ برتبة مرشح .

١٩١١ التحق بالأكاديمية الحربية في (دانتزيغ) .

١٩١٢ تخرج من الأكاديمية برتبة ملازم ثان .

١٩١٤ أُلحق بكتيبة مدفعية ميدان في (أُولم) .

١٩١٥ منح وسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولى .

١٩١٦ تزوج من (لوسي ماريا مولين) .

١٩١٧ احتل جبل ماتاجور ـ غرب كاوريتو في إيطاليا . وكان قد جرح مرتين في الحرب ووصل إلى قيادة فوج .

١٩١٨ ـ ١٩٣٤ تنقل في قيادة عدد من أفواج المدفعية والمشاة .

١٩٣٥ نقل إلى وزارة الحرب برتبة عقيد .

١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ تنقل بين الكلية العسكرية في دريسدن والكلية العسكرية في بوتسدام برتبة عميد .

١٩٣٩ نقل إلى هيئة الأركان العامة .

١٩٤٠ تولى قيادة فرقة المدرعات السابعة برتبة لواء .

١٩٤١ تولى قيادة الفيلق الأفريقي (في ليبيا) برتبة فريق .

١٩٤٢ أصبح القائد الأعلى لجيش البانزر الأفريقي ، ثم القائد الأعلى للجيوش الألمانية ـ الإيطالية المدرعة .

١٩٤٣ ألحق بالأركان العامة في ألمانيا برتبة مشير (مارشال) .

١٩٤٣ أُسندت إليه قيادة مجموعة الجيوش (ب) في فرنسا وهولاندا وبلجيكا .

١٩٤٤ أعيد إلى القيادة العامة ، واتهم بالتآمر على هتلر ، وأعطي السم فمات منتحراً .

الوجيز في الأحداث القتالية في شمال أفريقية

١٩٤٠ ـ (أيلول ـ سبتمبر) اجتاز الماريشال الايطالي غرازياني حدود ليبيا وتوقف عند سيدي براني .

١٩٤٠ ـ (كانون الأول ـ ديسمبر) قاد الجنرال البريطاني ويفل هجوماً مضاداً ووصل إلى البردية وأخذ ٣٠ ألف أسير ايطالي .

١٩٤١ ـ (٢/٦) تعيين رومل لقيادة الفيلق الأفريقي ، ووصوله إلى طرابلس الغرب .

١٩٤١ ـ (٣/٢٢ حتى ٤/٨) هجوم رومل واحتلال العقيلة واجدابية والبردية والسلوم (وعدم احتلال طبرق) .

١٩٤١ ـ (١١/١٨ حتى ١٢/٧) هجوم القوات البريطانية المضاد بقيادة اوكنلك وكوننغهام ، وموقعة سيدي رزق ، وتراجع الألمان حتى خط الغزالة .

١٩٤٢ ـ (١/٢٠ حتى ١/٢٨) نجاح رومل باحتلال حلفايا وبنغازي .

١٩٤٢ ـ (٥/٢٦ حتى ٨/٣٠) هجوم رومل الثالث على جبهة الغزالة ، وموقعة بير حكيم ، واحتلال مرسي مطروح

والهجوم الأول والثاني على جبهة العلمين ، ثم اختراق جبهة العلَمين .

١٩٤٢ ـ (٩/٢) ايقاف عمليات رومل على جبهة مصر .

١٩٤٢ ـ (١١/٧) الانزال الانكلو ـ امريكي في الجزائر (عملية مشعل) .

١٩٤٢ ـ (١١/٢ حتى ١٢/٢٤) قيام الجيش الثامن بقيادة مونتغومري باختراق جبهة العلمين ، وانسحاب رومل بجيشه حتى خط فوكه ثم مرسى البريغا .

١٩٤٣ ـ (١/٢٢ حتى ٢/١٢) انسحاب رومل من طرابلس الغرب (ليبيا) واحتلال خط ماريت الدفاعي (على حدود تونس) .

١٩٤٣ ـ (٢/١٥) الاغارة على قفصة وسيدي بو زيد .

١٩٤٣ ـ (٢/ ٢٠) الاغارة على طلعا الكيف .

١٩٤٣ ـ (٣/٣١) موقعة القطار .

١٩٤٣ ـ (٤/٢) قيام مونتغومري بالهجوم على خط انغيدافيل .

١٩٤٣ ـ (٥/١٢) استسلام الجيوش الألمانية ـ الايطالية للحلفاء (الانكلو ـ امريكيين) .

من أقوال رومل

قال رومل : « يأخذ علي قادة الحلفاء بأنني في كل مكان من الجبهة ، وقد جهلوا بأن الصحراء كالبحر ، فهل يستطيع أميرال أن يقود أسطوله وهو في المرفأ » .

* * *

« في حرب الصحراء ، يجب ملاحقة العدو على الأثر ، ودون أن تترك له أية فرصة للراحة والتملص ، مع إثارة عواصف هائلة من الغبار وراءه ، فالغبار يستر حركاتنا ويخفي تحركاتنا ، ويوفر علينا من انفاق الذخائر التي لا لزوم لها » .

* * *

« لقد علمتني تجاربي أن القرارات الجريئة هي خير أسباب النجاح ، ويجب التمييز بين الجرأة الحركية والتعبوية وبين المقامرة العسكرية . فالعملية الجريئة تحمل امكانية النجاح ، وتترك في حال الفشل قوات كافية في قبضة القائد ، تمكنه من مجابهة أي ظرف طارىء . أما المقامرة فهي عملية تقود إما إلى النصر وإما إلى تدمير قوات القائد المغامر . وقد تطرأ ظروف يمكن فيها إيجاد الحجج

للإقدام على المقامرة ، مثلما تكون عليه الأمور إذا ما سارت الأعمال القتالية بصورة طبيعية ، ثم يظهر لك أن قضية الهزيمة التي تهددك أصبحت قضية وقت ، وأنك لا تملك من هذا الوقت ما تحتاج إليه ، وعندها تلجأ إلى المقامرة أو المجازفة . ولا يستطيع القائد أن يتنبأ مسبقاً بمجرى معركة إلا في حالة واحدة ، وهي حين تتوافر له قوات كافية تجعل انتصاره أمراً بدهياً ، وعندها لا يتساءل « بم يتم النصر ؟ » بل « كيف يتم النصر ؟ » .

* * *

كان رومل في حملته الأولى (سنة ١٩٤١) قد استولى على ليبيا جميعها ، باستثناء طبرق التي بقيت موقعاً جانبياً بيد البريطانيين ، يهدد مؤخراته . فلما استولى عليها في حملته الثانية (يوم ٢١ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢) اعتبر ذلك نصراً من أعظم انتصاراته ، واعتبر يوم ٢١ حزيران ـ يونيو ـ وهو يوم الانعطاف الحاسم في الحملة الأفريقية . وتلقى على الأثر رسالة بالراديو من الفوهرر بترفيعه إلى رتبة ماريشال ـ وكان قد بلغ يومها ٤٩ عاماً من عمره ـ وكتب رومل إلى زوجته : « لقد رفعني الفوهرر إلى ماريشال . وكنت أفضل بدلاً من ذلك لو أنه أرسل إلي فرقة مقاتلة » . ووجه إلى قواته الأمر اليومي التالي :

أيها الجنود !

لقد توجتم معركتكم الكبرى في مارماريك بفتحكم السريع لطبرق ؛ فكان من نتيجة ذلك أن أخذنا ٤٥ ألف أسيراً ، ودمرنا للعدو ، أو أسرنا ، ما يزيد على ألف مركبة مدرعة

وحوالي ٤٠٠ قطعة مدفعية . ولقد مكنتنا يقظتكم وجرأتكم خلال الأسابيع الأربعة التي انقضت في قتال ضار من إحباط الهجمات الرهيبة لقوات العدو . وفقد هذا العدو بفضل جهدكم نواة جيشه التي كان يعدها لمهاجمتكم ، وبصورة خاصة منها قواته المدرعة الضخمة التي دمرتموها . وأغتنم فرصة هذا النصر الرائع لأوجه إلى الضباط والجنود اعترافي بحسن صنيعهم وصادق جهدهم .

يا جندَ الجيش المدرع الافريقي ! لقد أصبح واجبكم الآن هو إبادة العدو وتدميره . وإننا لن نتوقف حتى نسحق ما بقي له من قوات الجيش البريطاني الثامن . وأطلب اليكم بذل أكبر جهد ممكن خلال الأيام القادمة ، لبلوغ النصر النهائي .

رومل

مما قيل في روميل

وجه القائد البريطاني في مصر ـ الجنرال أوكينلك ـ رسالة إلى قواته جاء فيها :

إلى جميع القادة ورؤساء الأركان .

من القيادة العامة للجيش البريطاني في مصر وقوات الشرق الأوسط .

إن خطراً حقيقياً يكمن في أن صديقنا رومل أصبح ساحراً مستحوذاً على مخيلة جنودنا الذين يتحدثون عنه كثيراً ، وبصورة مستمرة ، إنه ليس على أي حال إنساناً أعلى ، وإن كان مقتدراً تتوافر له كفاءة عالية . وحتى لو كان إنساناً أعلى ، فمن المستهجن أن يضفي عليه رجالنا قوى خارقة . وإني لآمل أن تتذرعوا بكل الوسائل الممكنة لتزيلوا هذه الفكرة ، وهي أن رومل يفوق أي جنرال ألماني عادي . والمهم هو أن لا نتفوه باسم رومل عندما نعني في حديثنا العدو في ليبيا ، بل يجب أن نشير إلى (الألمان) أو (قوات المحور) أو (العدو) ، وأن نتجنب ذكر اسم (رومل) بعد الآن . ورجائي أن تضعوا هذا الأمر موضع التنفيذ حالاً ، بحيث

تـظهر نتـائجه ، وأن تؤكـدوا لجميع القـادة بأن هـذه القضية بـالغة الخطورة من وجهة نظر الحرب النفسية .

الجنرال أوكينلك

القائد العام لقوات الشرق الاوسط .

* * *

وقال رئيس وزراء بريطانيا دفاعاً عن هزيمة القوات البريـطانية في العلمين أمام أعضاء مجلس النواب البريـطاني : « إننا أمـام قائـد كبير ماهر » .

* * *

وقال عنه مونتغومري : «لقد تسلم رومل في شباط ـ فبراير ١٩٤٤ قيادة القوات للدفاع عن جدار الأطلسي ـ من هولاندا إلى اللوار ـ . ومن الـواضح الآن أنـه يعمل عـلى إلحـاق الهـزيمـة بنـا فـوق أرض الشاطىء ، فهو قائد شديد العزم والقوة . ولقد أصبح الفارق عظيماً منـذ أن أنيطت إليـه مقاليـد الأمور ، وهـو لا يضـارع في هجمـاتـه المباغتة ، ويمتاز بقدرتـه على زعـزعة قـوات عدوه وتشتيتهـا . ولكنه شديد الاندفاع لذا لا يصلح لمعركة الصفوف ، وخير ما يمكن له أن يعمله هو الحيلولة بيننا وبين وضع أقدامنا على اليـابسة ـ عنـدما يتم الإنزال في النورماندي ـ . وهو لا يرغب في خوض معركة مدرعة في ظـروف لا يفـرضهـا هـو ، بـل سيحـاول تجنبهـا بصـورة كـاملة . وسيحاول منعنا من إنزال دبابـاتنا بـاستخدامـه لدبـاباتـه في الخطوط الأمامية . وسيعمل على دفعنـا بعيداً عن أرض الشـاطىء في ميقات معلوم ، ليضمن الـدفاع عن مـدن : كين ، وبـايـو ، وكـارانتـان ، ومن ثم يتابع هجماته المضادة.

فعلينا إذن أن نشق طريقنا الساحلي باحتلال مواقع صالحة ، قبل أن يتمكن من جلب قوات احتياطية كافية تمكنه من ردنا على أعقابنا . وعلى الأرتال المدرعة أن تتوغل بعمق وبسرعة داخل الأراضي . . . إن علينا أن نكسب مسافة من الأرض لنثبت أقدامنا في الداخل . وعلى سلاح الطيران أن يحكم الطوق لإعاقة حركة القوات الاحتياطية الألمانية سواء بالقطارات أو على الطرق ، ومنعها من الوصول إلى مناطق القتال الصعبة .

إن المعركة البرية ستكون ضارية ومرعبة لذا سنكون دوماً بحاجة للدعم الجوي » .

المقدمة

اكتسب الماريشال فون إيروين رومل شهرة عالمية ، وأثار في حياته وموته ضجة ملأت الدنيا ، واستأثر باهتمام القادة السياسيين بمثل ما ناله من اهتمام رجال الحرب وقادتها . فلقد بهرت انتصاراته على المسرح الأفريقي رجال السياسة وقادة الحرب سواء بسواء . إذ أن تلك الانتصارات قد وضعت الحرب أمام تحولات حاسمة .

وتساءل الناس في يوم من أيام سنة ١٩٤٢ ، وقد دق رومل بفيلقه الأفريقي أبواب مصر : ما هو مصير العالم لو استطاع رومل احتلال مصر والوصول إلى بلاد الشام ؟ . أليس هناك احتمال أن يشكل تقدمه تهديداً خطيراً للاتحاد السوفييتي بتطويقه على جبهتي الغرب والشرق ؟ ثم ما هو مصير الحلفاء لو استطاع رومل الوصول إلى آبار النفط في العراق وإيران والقوقاز ؟ غير أن هذه التساؤلات تبددت عندما استطاع الحلفاء زج إمكانات ضخمة في مصر ، وأسندوا قيادة الحرب فيها إلى قائد أظهر أنه كان نداً ومنافساً خطيراً لرومل ـ هو الجنرال مونتغومري ـ وجاء انزال الحلفاء في المغرب ليضع حداً حاسماً لتهديدات رومل .

لقد تميزت قيادة رومل للحرب في الشمال الأفريقي بصورة

خاصة بأفضل ما يجب أن تتميز به حرب الحركة في الصحراء ؛ من سرعة في الحركة وتنظيم دقيق للامداد الاداري وإدارة رائعة للأعمال القتالية ، وسرعة في اتخاذ القرارات وتنفيذها ، واستطلاع دقيق للأرض ومعرفة صحيحة لموقف العدو الخ . . .

ولقد أسهمت هذه العوامل في رفع اسم رومل حتى درجة (الأسطورة) فبات ظهور رومل على مسرح العمليات كافياً لاحباط الروح المعنوية لجند الأعداء ، مقابل رفع الرصيد المعنوي للمقاتلين الأصدقاء حتى درجة مثيرة ، ولعل مما زاد من تألق نجم رومل هو تسلمه للقيادة بعد قائد ايطالي برهن على فشله في ميدان الحرب (هو الجنرال غرازياني ـ سفاح ليبيا الشهير) .

لقد أبرزت الحرب العالمية الثانية مجموعة كبيرة من القادة الذين توافرت لهم كفاءة قيادية عليا ، وقد يكون بين هؤلاء من ينافس رومل بفضائله الحربية ، غير أنه قلما توافرت لواحد منهم فضائل الرجل الانسان بمثل ما توافرت لرومل .

فقد اكتسب رومل شهرته في وسط جند الأصدقاء والأعداء على السواء بفضل تواضعه ومؤاساته لجنده وبساطة عيشه ، وعطفه على الأسرى من جند الحلفاء ، وإقامته العلاقات الجيدة مع أبناء البلاد ـ العرب ـ . وهنا أيضاً اكتسب رومل رصيداً ضخماً بفضل أخطاء أعدائه . فقد كان الاستعمار البريطاني في مصر وفلسطين والاستعمار الايطالي في ليبيا والاستعمار الفرنسي في المغرب العربي الاسلامي قد ترك أحقاداً دفينة ، فباتت جماهير الشعب العربي تنظر إلى رومل ـ وتتعامل معه ـ نظرتها الى محرر من ربقة الاستعمار .

تميزت معارك رومل بظاهرة غير جديدة في عالم الحرب ، غير أنها اكتسبت أهميتها من خلال هذه المعارك ، وهي الاستخدام الرائع للقوى والوسائط المتوافرة في قبضة القائد . ذلك أن ميزان القوى والوسائط لم يكن باستمرار لمصلحة رومل ، غير أنه استخدم ما هو متوافر له حتى الحدود القصوى الممكنة . وهذا مما رفع أهمية مسرح العمليات الأفريقي من مرتبته الثانوية ، إلى مرتبة مسرح العمليات الأول بين مسارح الحرب العالمية الثانية .

لقد كان هتلر ـ وهيئة أركانه ـ ينظرون إلى مسرح عمليات أفريقية على أنه مسرح ثانوي . وكان العمل على هذا المسرح متروك للقوات الايطالية ، غير أن التطورات الخطيرة دفعت هتلر لدعم موسوليني ، وإرسال قواته إلى بلاد البلقان واليونان وكريت وأفريقية . ولم تكن القوى والوسائط التي وضعت تحت تصرف رومل تتناسب مع خطورة هذا المسرح وأهميته وفقاً لما كان يراها رومل والذي كان يطمح لاجتياح مصر وبلاد الشام للوصول إلى روسيا ، على نحو يشابه تماماً ما كان يطمح موسى بن نصير لبلوغه بالوصول إلى عاصمة البيزنطيين القسطنطينية من بلاد الأندلس إلى غرب بلاد الروم ـ البيزنطيين . وكان ضعف الامكانات في الحالين هو العائق الأساسي في وجه بلوغ الأهداف الاستراتيجية الطموحة .

وعند هذه النقطة تبرز النقطة الحاسمة في حياة رومل ، فقد كان هذا القائد يتعامل مع المواقف من زاوية استراتيجية . فكان في ذلك سبب خلافه مع القيادة السياسية الاستراتيجية التي كان يتزعمها هتلر وحاشيته . وقد برهنت مسيرة الأحداث على صحة وجهات نظر رومل من الأحداث ، لا على المسرح الأفريقي

فحسب ، وإنما أيضاً على مسرح عمليات أوروبا ، حيث وضع رومل مخططه للدفاع عن جدار الأطلسي بما يخالف فيه وجهات نظر قيادته . وقد عمدت القيادة إلى تنفيذ مخططها ، وأدركت خطأها ، ولكن بعد فوات الأوان .

وأمام هذا التناقض في وجهات النظر السياسية ـ العسكرية ، قرر رومل أن الحرب قد بلغت غايتها ، وأن ألمانيا النازية قد خسرت الحرب ، وذلك من قبل أن تضع الحرب أوزارها بأكثر من عام . وحاول رومل انقاذ بلاده ألمانيا ، من مصيرها المشؤوم وهزيمتها المذلة . فقرر هتلر وضع حد لرومل وحياته . فكانت نهاية الرجل القائد الذي أخطأته نار الحرب وميادينها وما تحفل به من أخطار ، فمات بالسم ، ميتة لا تتناسب مع ما قدمه لبلاده من خدمات ، وما حاول تجنيبها لها من مآزق . ولكن الشعب الألماني قدر للرجل خدماته وجهده ومحاولاته ، فبقي اسمه ، نظيفاً ، متألقاً ، في حين أحاطت بأسماء قتلته مشاعر الكراهية والغضب .

ومضى هؤلاء وأولئك . ولكن أعمالهم بقيت درساً بارزاً من دروس التاريخ ، لمن أراد أن يرتاد رحاب التاريخ ، وليتعلم من تجربته . وستبقى أسماء (تونس ، طبرق ، بئر حكيم ، العلمين ، أجدابية وسواها) من الأسماء التي تألقت فيها معارك الصحراء بفضل ما حمله رومل إلى هذه المعارك من تطوير كبير في أساليب حرب الحركة وطرائقها . وسيبقى اسم رومل قبل ذلك وبعده رمزاً من رموز القائد الكبير والانسان الفاضل والرجل المخلص لأهله ووطنه .

بسام العسلي

« حيث وجد رومل وجدت الجبهة »

شعار كان يردده الجنود
الذين خدموا مع رومل في الحرب العالمية الأولى

الفَصْل الأوَّل

١ ـ الوراثة والبيئة

جاء إلى الدنيا ليكون واسطة العقد بين إخوته الخمسة . فقد جاء قبله مانفرد الذي مات شاباً ، وتبعته هيلينا التي لم تتزوج وأنصرفت للتعليم في مدرسة وولد روف في شتوتغارت . وكان إيروين ـ أو إيرفين ـ رومل ثالث اخوته وتبعه كارل الذي دخل الجيش ، والتحق بسلاح الطيران ، وعمل في الأناضول خلال الحرب العالمية الأولى ، فأصيب بالملاريا مما أدى به إلى الشلل . وفضل الأخ الخامس (جيرهارت) عدم العمل في الزراعة ، وانصرف إلى الغناء في المسرح ، وكان حظه من النجاح قليلاً .

وكان والد إيروين (جوان أُوجين رومل) يعمل معلماً كما كان يعمل والده من قبل ، وكان التعليم عملاً مرموقاً ، وقد اكتسب والد إيروين وجدّه شهرة لما كانا يملكان من معرفة في علم الرياضيات .

وتزوج والد إيروين من ابنة رئيس حكومة وورتمبرغ الكبرى (كارل فون لوز ـ واسمها هيلينا) ، وعاشت الأسرة بسعادة في قريتهم الصغيرة (هايدنهايم ـ القريبة من أولم)[1] فعاش إيروين

---

(١) أُولم : (ULM) مدينة في ألمانيا ـ إقليم وورتمبرغ . WURTEMBERG ـ وتقع على نهر الدانوب ، تشتهر بصناعتها ، وفيها كاتدرائية تعود إلى أيام القوط . استسلم فيها الجيش النمساوي الذي كان يقوده ماك MACK لنابليون بونابرت سنة ١٨٠٥ م . وهي موطن عالم الرياضيات الشهير آنشتاين : (EINSTEIN) .

روملِ في أحضان الطبيعة الغناء ، وسط الحقول التي اشتهرت ألمانيا بتنظيرها واستثمارها لتكون نموذجاً للفائدة والمتعة .

لم يكن إيروين روملِ في طفولته حاملاً لتلك الصفات التي سيكتسبها عندما سيصبح قائداً ، إذ كان وديعاً جداً ، وطفلاً مطواعاً ، كثير الشبه بأمه ، قصير القامة بالنسبة لعمره ، بشرته بيضاء وشعره أشقر ، فكان أهله يطلقون عليه لقب (الدب الأبيض) . وكان مقتصداً في كلامه ، لا يتحدث إلا بعد أن يمعن في التروي ، حسن الخلق ، سمح الطباع ، حلو الشمائل ، جريء ولا يهاب أحداً . كان الأطفال من لداته يولون الأدبار عند رؤيتهم لمنظفي المداخن بوجوههم الدكن وقبعاتهم العالية ، في حين كان روملِ يقترب منهم ، ويصافحهم .

وعاش روملِ واخوته في أحضان الطبيعة الغناء ، يمضون نهارهم في الحديقة أو الحقول والغابات، يمرحون بسعادة . ولذلك فقد كان من الصعب على روملِ التكيف مع المدرسة وقيودها . وأظهر تخلفاً عن لداته وأقرانه ، غير أن غريزة التحدي الكامنة فيه ، دفعته لبذل جهد كبير حتى يلحق برفاقهِ فكان من نتيجة ذلك أن شحب وجهه ، وفقد شهيته للطعام ، وأرّقه السهاد ، وأتعبه ذلك ، فعاد إلى الكسل والإهمال ، وأصبح موضع سخرية رفاقه ، حتى فاجأه استاذه يوماً بقوله : « إذا استطاع روملِ أن يكتب الإملاء بدون غلطة ، فسوف نستأجر جوقة موسيقية ونقضي يوماً في نزهة ريفية» .

وأيقظ هذا التحدي روملِ ، فكتب على الفور الإملاء دون أن يخطىء ، حتى في وضع الفواصل والنقاط . ولما لم يفِ الأستاذ

بـوعـده ، عـاود رومـل سيـرتـه في الإهمـال وعـدم المبـالاة . وبقي سنوات ، يعيش في شرود مع أحلامه وعالمـه الخاص ، معـرضاً عن الكتب أو الألعاب .

ولكن مـا إن دخل رومـل مرحلة المـراهقة حتى انقلب إنسـاناً آخر ، فقد استيقظ نشاطه الفكـري والجسمي من سباتـه ، وظهرت لديه الموهبة الرياضية الموروثة ومضى لممارسة الريـاضة التي اختـارها وهي ركوب الدراجة في الصيف والتزلج على الجليد في الشتاء وصار يجتـاز فحوصـه بنجاح ، وفقـد ذهولـه ونظراتـه الحالمـة ، وأخذ عن محيـطه ـ محيط وورتمبرغ ـ الـواقعيـة والـذوق السليم والحـرص عـلى النقود . وشغلته دراسة الطائرات حتى أنه صنع ـ وزميل له ـ طائرة شـراعية كبيـرة ، لم تتمكن من التحليق . وقرر رومـل الالتحاق في الجيش .

بـدأ رومـل حيـاتـه العسكـريـة يـوم ١٩ تمـوز ـ يـوليـو ـ سنة ١٩١٠ م حيث التحق بكتيبة المشـاة ١٢٤ ، ثم التحق بالكليـة الحربية في دانـزيغ في آذار ـ مـارس ـ ١٩١١ م . وخلال هـذه الفترة التقى بفتاة أحلامه (لوسي ماري مولين) التي وجدت في رومل شاباً رصيناً ، جاداً ، لا هم له سوى إتقان عمله . وكان إعجاباً متبـادلاً وصداقة استمرت لمدة أربع سنوات ، عقدت بعدها خطبتهما بصورة رسمية . وبقيت (لوسي ماري مولين) هي المرأة الـوحيدة في حيـاة رومل ، والتي برهنت على أنها رفيقة صالحة لقائد المستقبل .

اجتـاز رومل فحوصه بنجاح ، وتخرج من الكلية برتبة ملازم في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩١٢ م ، فمضى لافراغ نشاطه في تـدريب المجندين ، وكان مدرباً ناجحاً ، يبتعد عن الجدل والنقـاش ، يجيد

الاصغاء أكثر من إتقانه للحديث . لم يكن يدخن أو يشرب ـ المشروبات الكحولية ـ ويتجنب مرابع وصالات اللهو الليلي ، يتعامل مع الناس ومع مجنديه بأسلوب رزين ، لا يتساهل في الابتذال ، أو الظهور بمظهر غير لائق ، يميل إلى الدعابة والنكتة ، يشارك جنده حياتهم ، ويحمل عن رفاقه بعض أعمالهم ومسؤولياتهم ، إذا ما اضطروا للعون والمساعدة وكانوا بحاجة لها ، وعرف بين رفاقه وزملائه بإرادته الصلبة واستقلاله الفكري ، وانتباهه الشديد ، وحذره ، وقوة شخصيته .

انفجرت الحرب العالمية الأولى . وفي اليوم الأول من شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩١٤ ، تحركت الكتيبة ١٢٤ ـ من كتائب مدفعية الميدان ـ من (أولم) إلى الجبهة . وسرعان ما استيقظت روح المحارب البروسي في نفس رومل ، فما إن استقبلته نار المعركة ، حتى بدا محارباً صلباً ، رابط الجأش ، ماكراً ، شديد القسوة ، صبوراً ، لا يعرف التعب ، يتخذ قراراته بسرعة ، شجاعاً ومقداماً حتى التهور .

قام رومل بتنفيذ أول مهمة قتالية صباح يوم ٢٢ ـ آب ـ أغسطس ـ ١٩١٤ ، إذ تولى قيادة دورية استطلاعية للمواقع الفرنسية في قرية (بليد ـ قرب لونغوي) . واستمر رومل في تنفيذ مهمته مدة ٢٤ ساعة ، تناول أثناءها طعاماً ، وظهرت عليه أعراض التسمم ، وأرهقه المرض والتعب ، غير أنه استطاع تثبيت نفسه على سرج حصانه بجهد كبير ، ومضى فأوغل بتقدمه تحت جنح الضباب ، ويظهر أن قوة فرنسية شعرت بالتحرك المشبوه ، فأطلقت النيران ، وأوقف رومل الفصيل الذي يقوده ، وتقدم

بجنديين ورقيب ، فلاح له من خلال الضباب سياج مرتفع يحيط بكوخ في مزرعة، ثم رأى ممراً يصل هذه المزرعة بمزرعة أخرى فسار فيه،وما إن وصل إلى المنعطف حتى بوغت بظهور مجموعة من خمسة عشر أو عشرين رجلا وهم يقفون في عرض الطريق . ولم يتردد رومل فاتخذ قراره بسرعة ، وأمر مرافقيه باطلاق النار ، فشتت قوة العدو ، وسقط من سقط منهم قتيلاً ، ولجأ الباقون إلى السواتر وأخذوا بتبادل اطلاق النار ، ووصل فصيل رومل . فقسم رومل قوته إلى زمرتين ، حملت إحداهما حزم القش وسارت بقيادة رومل إلى البيوت والعنابر ومستودعات الحبوب ، فأشعلت فيها النيران ، ثم تابعت تقدمها تحت حماية نيران الزمرة الثانية ، فعمل على تطهير القرية بيتاً بيتاً ، وعاد رومل وفصيلته من مهمته وقد تكلل جهده بالنجاح التام .

عاد رومل لتنفيذ مهمات مماثلة ، وأصيب يوم ٢٤ أيلول ـ سبتمبر ـ بجرح في فخذه . عندما قام بالهجوم وحده على ثلاثة من الجنود الفرنسيين في الغابة القريبة من قرية (فارين) . وحصل على وسام (الصليب الحديدي ـ من الدرجة الثانية) . وما كاد جرحه يلتئم بعد ثلاثة أشهر حتى عاد فالتحق بفوجه في الأرغون ، وأصبح قائد الفوج أكثر اعتماداً عليه في تنفيذ الواجبات الصعبة ، والمهمات الشاقة . فحصل بجهده على وسام (الصليب الحديدي ـ من الدرجة الأولى) يوم ٢٩ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩١٥ م ، وذلك نتيجة نجاحه في تنفيذ عملية تلخصت بالتالي :

تولى رومل قيادة فصيل ، وتسلل به عبر ثغرة قام بفتحها عبر

سياج الاسلاك الشائكة بعمق مائة متر ، ووصل إلى خط المقاومة الرئيسي للقوات الفرنسية ، واستولى على أربعة حصون ، وجابه هجوماً مضاداً قام به الفرنسيون بقوة فوج ، فرده على أعقابه ، واسترد أحد الحصون التي أخرجوه منها ، ثم انسحب إلى خطوطه ، ولم يخسر أكثر من اثني عشر رجلاً من قوته .

واستمر رومل بعد ذلك في نشاطاته ، وجرح ثانية ، ورفع إلى رتبة ملازم أول . ثم نقل إلى فوج جبلي شكل حديثاً من ست سرايا من حملة البنادق وستة فصائل مسلحة بالرشاشات الجبلية ، وأمضى الفوج زهاء سنة في التدريب الشاق على القتال الجبلي في النمسا ، قبل أن يلحق الفوج بفيلق الألب في جبهة رومانيا . واتيحت لرومل الفرصة لقيادة مجموعات تختلف في حجمها وتشكيلها بحسب المهمة ، وقد نظم أربع سرايا ، واستولى بها على موقع قوي التحصين في قمة كوزنا ـ في رومانيا ـ خلال شهر آب ـ أغسطس ـ سنة ١٩١٧ م . واتبع في تنفيذ المهمة أسلوباً مميزاً . فقد سار بالسرايا بنظام الرتل الأحادي ـ على طريقة الهنود الحمر ـ وتمكن بذلك من المرور عبر الغابات بين مخفرين للعدو تفصل بينهما مسافة ١٢٠ م ، دون أن يستطيع أحد اكتشاف حركة رومل وجنوده . وكان خلال سيره يمد سلكاً هاتفياً ، وأمضى اسبوعاً في تنفيذ المهمة لم يذق خلاله طعماً للنوم أو الراحة ، حتى وصل القمة ، وكان مصاباً بجرح بليغ في ذراعه من رصاصة جاءته من الخلف قبل أيام قليلة من تنفيذه لهذه المهمة . واستطاع رومل تنفيذ مهمته بنجاح مثير .

ثم قام في كانون الأول من السنة ذاتها بالاستيلاء على قرية

(غـاجيستي) . ولقد تـطلب تنفيذ هـذه المهمة من رومـل أن يبقى ممدداً على الجليد في خطوط المخافر الأمامية الرومانية ، والبقاء حتى الساعة العـاشرة ليـلاً ، وقد تـدنت درجة الحـرارة عن العشرة تحت الصفـر ، واحتمال قسـوة الطبيعـة في أصعب أيام الشتـاء من شهـر كانون الأول ـ ديسمبر ـ . وعندما أيقن أن الرومانيين قـد استسلموا للنوم والراحة ، صب نيران رشاشاتـه وقسماً من نيـران البنادق عـلى القـرية ، ثم أغـار بالبقيـة من حملة البنـادق عـلى البيـوت وقـد بلغ صراخهم عنان السماء . وما إن أفاق الأعداء مـذعورين ، وخـرجوا من البيوت يتعثرون من سباتهم ، ويتهافتون كالأنعـام ، حتى أحاط بهم من كـل جـانب ، وأسر ٤٠٠ منهم ، حشـرهم في الكنيسـة وأوصد الباب دونهم . وكانت خسائره طفيفة .

كان رومل يفضل في عملياته الصغرى جميعهـا القيام بـأعمال الالتفاف والاستدارة الواسعة ، وتجنب الهجوم الجبهي . ولكنه كان إذا أرغم على القيام بهجـوم جبهي ، سلط ناراً كثيفـة من رشاشـاته على القطاع بأسره ، مع تركيـز شديـد على النقـطة التي سيستهدفهـا الهجـوم ، ثم يتبع ذلـك بهجوم صـاعق عـلى جبهـة ضيقـة جـداً ، وتكون القطعات المهاجمة مسلحة برشاشـات تسرع إلى نصبهـا حينما تحـدث ثغـرة في خط دفـاع العـدو ، وتسلط نيـرانها الجـانبيـة عـلى الأجنحة ، ثم تضغط بقية القوى المندفعة إلى الأمام ، غير مباليـة لما يجري على مؤخرتها .

نفـذ رومـل بـعـد ذلـك أروع عمليـاتـه يـوم ٢٦ تشـرين الأول ـ أكتوبر ـ سنة ١٩١٧ م ، عندما احتل جبل ماتـاجور الـواقع

جنوب غرب كاوريتو . فقد شن الايطاليون على النمساويين مجموعة من الهجمات المضادة التي استنزفت قوتهم وأضعفتهم ، فاستنجدوا بالألمان الذين استجابوا لطلب النمساويين رغم انشغال القوات الألمانية على كافة الجبهات . فتم ارسال الجيش الرابع عشر الألماني المكون من سبع فرق ممتازة ليقوم بالهجوم على المواقع الايطالية في وادي (ايزونزو) . وألحق فوج رومل الجبلي بفيلق الألب ، للقيام بالهجوم في المنطقة الوسطى ، باتجاه ماتاجور . وأُسند إلى فوج رومل الجبلي في اليوم الأول مهمة حماية الجناح الأيمن لكتيبة بافارية وكل إليها قيادة الهجوم ، ثم يسير الفوج بعد ذلك خلف الكتيبة البافارية. غير أن رومل لم يقتنع بصحة الخطة ، فاقترح على قائده السماح له بالسير على يمين الكتيبة البافارية ليقوم بالهجوم وحده على المواقع الايطالية ، وتمت الموافقة على اقتراح رومل .

وبينما كانت القوات النمساوية متوقفة ، لتعذر تقدمها ، قاد رومل جنوده قبيل الفجر ، عبر الجبهة الايطالية ، دون أن يشعر به العدو ، ونجحت جماعة من قوته في التوغل داخل الخطوط الايطالية ، مع الفجر ، وأسرت بطارية بالحراب ، دون أن تتمكن هذه من إطلاق ولو طلقة واحدة . ثم ترك رومل هناك سرية واحدة لتوسيع الثغرة ، ومضى بسرعة نحو مؤخرة الايطاليين ، ثم عاد بسرعة لمساعدة السرية الأولى التي تعرضت لهجوم مضاد قام به فوج إيطالي كامل . وباغت رومل الايطاليين بهجومه عليهم من الخلف ، فاستسلموا له جميعاً ، فبعث رسالة لآمر فوجه ، أشفعها بأكثر من ألف أسير . وعندها أسرع قائد الفوج (سبروسر) لدعم رومل

ومعـه أربع سـرايا ، فيـما انـطلق رومـل متـوغـلاً في عمق التنـظيم الـدفاعي الايـطالي ، ووجد رومـل طـريقـاً مستـوراً عن الأنـظار ، فسلكـه بعد أن نـظم قواتـه بترتيب الـرتل الأحـادي ، وسار أربعـة كيلومترات تقريباً ، فيما كان الايطاليون يخوضون معركتهم الجبهية ، ثم نشر قواته على الطريق الـرئيسي الممتد خلف المـواقع الايـطالية ، وأسر رتـلاً من سيارات التمـوين ، وسيارة أركـان ، و ٥٠ ضابـطاً وألفي مقـاتل (من رجـال لواء بـرزاغليـري الـرابـع) . وركب في سيارة الأركان التي أسرها ، وقام بجولة استطلاعية سريعة ، ثم قرر المضي إلى جبل ماتاجور ، الذي كان مفتاح مواقـع العدو ، ضـارباً في عرض الريف على خط مستقيم نحو الجبل ، وأمضى سحابة نهاره وسواد ليله وهو يسير برجال أنهكهم التعب والسير الطويل ، ووجد رومل نفسه عنـد الفجر أمـام مخيم لواء سـالرنـو ، فأخـذ ضابـطين وبعضـاً من المشـاة ، وتقـدم إلى جمـاعـة من الجنـود الايــطاليـين المسلحين ، وأمرهم بالتسليم ، فاستسلم له بعد هنيهـة ٤٣ ضابـطاً و١٥٠٠ جندياً ، وقـد صعقتهم المباغتـة ، واحتل رومـل قمة جبـل مـاتاجـور ، بعد أن قضى خمسـين سـاعـة ، لم يتـوقف خـلالهـا عن السـير ، وقطع عشـرين كيلومتراً كـما يطير العقـاب فـوق الجبـال ، وصعـد جبلاً ارتفـاعـه ألفي مـتر . ومنـح رومـل عـلى الأثـر وسـام (الاستحقاق) الذي لم يكن يمنح إلا لكبار القـادة ، ورفع إلى رتبـة (نقيب ـ كابتن) .

وبعـد مدة قصيـرة ، عبر رومـل سباحـة مياه (نهر البيـاف) القارصـة ليـلاً ، مع ستـة من رجالـه ، وقـد شـدوا إلى أوسـاطهم حبلاً . ثم هاجموا قرية (لونغـارون) من نقاط مختلفـة ، مستفيدين

من ستار الظلام ، وعند الفجر تقدم إلى الايطاليين وحده ، وأخبرهم بأنهم محاطون من كل جانب ، ولا مفر لهم ، وأمرهم بالاستسلام ، ومنح حينئذ إجازة .

ثم عين على كره منه في هيئة الأركان ، وبقي في عمله هذا حتى نهاية الحرب ، حيث أعيد في ٢١ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩١٨ إلى كتيبته الأصلية (كتيبة المشاة ١٢٤ في وينغارتن) .

وكانت ألمانيا تعاني من التمزق الداخلي ، والاضطرابات المستمرة . فاسندت إلى رومل (في صيف سنة ١٩١٩) قيادة سرية للاشراف على الأمن الداخلي (في فريدريك شيفن) . وكانت روح التمرد والثورة قد انتقلت إلى الجيش ، فوجد رومل صعوبة كبرى في تدريب المجندين الجدد ، غير أنه استطاع بقوة شخصيته أن يكبح جماح تطرفهم وفوضويتهم ، وأن يفرض عليهم الانضباط الصارم الذي ميز الجيوش البروسية .

وعندما تم تقليص الجيش الألماني ، وتم حل فوجه (كتيبة المشاة ١٢٤) في ١ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٢١ ، أسندت إلى رومل قيادة سرية المشاة ٢٣ في (شتوتغارت) وبقي فيها مدة تسع سنين برتبة نقيب .

٢ ـ على طريق الحرب

لم تترك الحرب في رومل أي أثر ملحوظ سوى جراحه المندملة ، وعندما كان يذكر الحرب ، أو يتذكرها ، يقول إنها عمل غير صالح ، وإنها غباء وحماقة ووحشية وقسوة، وإنه ما من رجل

عاقل يودّ تكرارها . واحتفظ روما بنفسيته المتزنة ، ومرحه ، وطيب معشره ، وميله إلى الحياة العائلية الهادئة المستقرة ، إلى جانب حبه لعمله ، وحماسته له .

كانت معاهدة فرساي التي وقعت عليها ألمانيا مرغمة ، وقد اشترطت على ألمانيا في المادة ١٦٠ ما يلي : « يجب ألا يتجاوز قوام الجيش الألماني المائة ألف، حتى تاريخ ٣١ ـ آذار ـ مارس سنة ١٩٢٠ ، سبع فرق من المشاة ، وثلاث فرق من الخيالة ، وألا يتجاوز بعد هذا التاريخ المائة ألف بما في ذلك الضباط ورجال المستودعات ، وبحيث لا يتجاوز عدد الضباط الأربعة آلاف ضابط » .

وقدر لألمانيا يومها أن يتولى قيادة الجيش فيها الجنرال (فون هانزسيكت)[1] الذي صمم على رفض الأمر الواقع ، ووضع مخططاً

---

(١) فون هانز سيكت : (VON HANS SEECKT) قائد ألماني (جنرال) عمل في هيئة الأركان العامة الألمانية رئيساً لها طوال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ثم أصبح وزيراً للحرب . ومثل ألمانيا في مؤتمر فرساي ، وأصبح قائداً أعلى للجيش الألماني في آذار ـ مارس ـ ١٩٢٠ م فوضع سياسة لبناء نواة لجيش ألماني جديد ، تتوافر لها درجة عالية من التدريب . وقدرة قتالية كبيرة ، بحيث تكون هذه النواة قادرة على التوسع بسرعة ، بمجرد توافر الفرصة لتمزيق قيود معاهدة فرساي ، وزيادة حجم الجيش .
وتبعاً لذلك تم تبني نهج دقيق لاختيار عناصر الجيش من بين أفضل الرجال شجاعة وأقواهم جسماً وأوفرهم عقلاً ـ بحسب منهج اختبارات محكم ، ثم يخضع الجنود لبرنامج تدريب لرفع كفاءة الجنود تقنياً ومهارة في استخدام الأسلحة ، وتنسيق التعاون بين القوات. وقد أرغم سيكت على الاستقالة من منصبه سنة ١٩٢٦ ـ بضغط من فرنسا . فعمل في الفترة من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٥ في تدريب الصينيين الوطنيين لقتال الشيوعيين .

للالتفاف من حول بنود معاهدة فرساي عن طريق التركيز على نوعية الجيش للتعويض عن التضخم الكمي . ومضى لإعادة تنظيم الجيش الألماني تنظيماً جديداً ، وإعداده ليكون متفوقاً إذا ما أتيحت الظروف المناسبة لخوض الحرب .

وكان روميل - حامل وسام الاستحقاق ، والضابط الشهير - أهلاً للقيام بمثل هذا العمل ، ولم يكن روميل قد عرف فون سيكت معرفة شخصية ، أو قابله مقابلة خاصة ، ولكنه عرف مخطط (فون سيكت) وأعجب به ، وأدرك مثله كمثل بقية ضباط الجيش الألماني - الأربعة آلاف - أن واجبه لا يقتصر على حفظ الأمن الداخلي - كما نصت عليه معاهدة فرساي - بل إن واجبه الأول هو تنظيم جيش جديد ، وتدريبه ، ووضعه على طريق الحرب .

ولقد كان الحظ في خدمة روميل ؛ إذ كان يعسكر في (شتوتغارت) ، تلك البلدة الجميلة الواقعة في المقاطعة التي ولد فيها ، والتي عاش فيها أهله . وكان روميل سعيداً هناك ، فشكّل مع (هارتمان وألدنجر) جمعية الأصدقاء القدامى لفوج وورتمبرغ ، ولم يكن بين أعضاء الجمعية أي فارق بين الرتب . وقد أولى روميل هذه الجمعية عظيم اهتمامه ، فكان يمضي أوقات فراغه في كتابة الرسائل إلى كل من خدم في هذا الفوج ، وحاول ما استطاع مساعدة رفاق السلاح الذين قلبت لهم الحياة ظهر المجن ، وعانوا البأساء والضراء في ألمانيا المتعثرة بعد الحرب العالمية الأولى .

وكان من أبرز الأحداث في حياة روميل خلال هذه الفترة استقباله لمولوده الأوَل (مانفرد) سنة ١٩٢٨ م ، ثم ترفيعه لرتبة

مقدم سنة ١٩٣٣ ، وهي السنة التي صعد فيها هتلر إلى سدة الحكم .

لم يكن هتلر يهتم بالسياسة . وكان الجنرال فون هانز سيكت قد أصدر أمراً حظر فيه على الجيش ، التدخل في السياسة أو المشاركة في الانتخابات ، غير أن رومل لم يكن بحاجة لمثل هذا الأمر حتى يبتعد عن السياسة ، فقد نشأ وترعرع في محيط لا يميل للسياسة ، وعاش جندياً ، وانهمك في الحروب ولما يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره . وكان سعيداً بعد أن عاد من ساحة الحرب ليعمل في الجيش بعيداً عن التمزق الداخلي والصراع الأهلي ، الذي هيمن على ألمانيا بعد الحرب .

وكان رومل شأنه كشأن بقية الضباط الألمان - يرون في هتلر منقذاً لألمانيا من حالة التمزق ، ومن التردي في هاوية الفوضى والشيوعية . وكان ينظر بعين الشك إلى (أصحاب القمصان الرمادية) إذ كان يراهم عصابة من الدساسين ، يبغون تشكيل منظمة تزاحم الجيش وتنازعه سلطته . ولقد أتيحت له الفرصة للاحتكاك بأصحاب (القمصان الرمادية) عن كثب ، فنفر من سلوكهم المتقلب وفساد أخلاقهم وانغماسهم في الفوضى . ولهذا فقد رحب رومل باجراء هتلر ضد هذه العصبة حيث عمل على قتلهم وزعيمهم (روهم) في يوم ٣٠ حزيران - يونيو- ١٩٣٤ ، وهو اليوم الذي عرف باسم (ليلة السكاكين الطويلة) .

وإذا كان رومل قد نفر (من أصحاب القمصان الرمادية) فإنه بالمقابل لم يكن ميالاً (للحزب الوطني الاشتراكي - النازي) وقد ظهر ذلك في لقائه الأول معهم سنة ١٩٣٥ ، ويومها كان رومل

قائداً للفوج الجبلي في كزلار ، فوقع اختيار (كـزلار) لإقامـة حفل تذكاري فيهـا يحضره هتلر بـالذات ، واتخـذت الترتيبـات ، وزينت أماكن الاحتفال ، ورفعت الأعـلام ، وعزفت المـوسيقى ، واحتشد القـرويون من المقـاطعـات المجـاورة بلبـاسهم القـومي . وتقـرر أن يستعـرض هتلر الفـوج الجبـلي . فلما انتهت الاستعـدادات لعـرض الفوج ، أقبل أحد قادة الوحدات الخاصة (س . س) وأخبر رومل أن نسقاً من الوحدات سيسير في مقدمة الفوج لحماية هتلر ، فأجاب رومل بأن فوجه لن يشترك في العرض في هذه الحالـة ، فطلب إليـه بعد قليل مقابلة هملر وغوبلز في الـنزل ، ولما قابلهما أظهـرا له لـطفاً وأدباً جماً ، وطلبا إليه أن يتناول طعام الإفطار معهما . ولما أظهر لهـما استياءه من ترتيب العرض ، وأنه قد اعتبر ذلك إهانة له ولفـوجه ، أيدا قوله ، وألقيا تبعـة هذا التصـرف على أحـد أتباعهم الشـديدي العناية بهتلر ، وأعلماه إلغاء تلك الأوامر .

والتقى رومــل بهتلر ، للمـرة الأولى ، فكــان لقـاء رسميـاً للغاية ، فحياه رومل ، ثم قدم إليه وتصافحا . ولاحظ هتلر وسـام الاستحقاق ، ثم هنأه على أعمال فوجه .

عين رومل مدرباً في الكلية الحربية ببوتسدام وهو برتبة عقيـد (في ١٥ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٣٥ م) ووجد نفسه وهو يقترب للمرة الأولى من مراكز القوى . وكان من قبل قـد اجتاز امتحـانات الأركان العامة بنجاح ، وأصبح من الصفوة الممتازة ، وبات مؤهـلاً للحصـول على تـرفيعات متتـالية بفضـل سجل أعمـالـه المشـرف ، ووسام الاستحقاق الذي يحمله ، وثقافته العسكرية . وكان قد جمع محاضراته ، وألف منها كتـاب (هجمات المشـاة) واعتمد في تـأليفه

للكتـاب على خـلاصة خبـرتـه الشخصيـة أثنـاء الحـرب في بلجيكـا وأرغون والفوسك وجبال الكربات وايطاليا . وكان كتابـاً قيماً ـ رغم صغر حجمه ـ في الأساليب التعبوية لقتال المشـاة . وقد وصف فيـه العمليـات الصغـرى وصفـاً تصـويـريـاً ينبض بـالحيـاة ، وأرفقـه بمخـططات واضحة ومفيـدة ، واستخلص فيـه الـدروس التعبـويـة الواضحة . وأصبح هذا الكتاب مرجعاً مدرسياً تم اعتماده لتدريب الجيش السويسري الذي قدم لرومل سـاعة ذهبيـة للذكرى ، نقش عليها اسم الكتاب .

كان رومل يعيش في بوتسدام مع زوجته وابنه ، غير بعيد عن الكلية الحربية ، ولم يكن يتردد عـلى برلـين أو يرتـاد مجتمعاتهـا الا نادراً ، ولهذا لم يكن له أصدقاء ، بين شخصيـات الحزب النـازي . وكان هؤلاء بدورهم يتجنبون الاتصال بضباط الجيش الكبار الـذين كانوا لا يقيمون علاقاتهم إلا مع من يـوازيهم أو يكافئهـم في رتبهم ومكـانتهم . وقـد أخـذ هؤلاء الضبـاط ـ ومنهم رومـل ـ يتـابعـون باهتمام أكبر من ذي قبل ما يدور في أوساط الحكم العليا . وعـرفوا بأمر المنافسة الكبيـرة التي أخذت في الـظهور بشكـل حاد بـين هتلر وبـين هيئة الأركـان العامـة للجيش . فقـد قـرر اقـطاب (الحـزب النـازي) بعـد أن خلف هتلر (الـرئيس هنـدنبـورغ)[1] في القيـادة

---

(١) هـنـدنـبـورغ : (HINDENBURG, PAUL LUDWIG VON) (١٨٤٧ ـ ١٩٣٤ م) مـاريشال ألمـاني ، ورئيساً لجمهـورية ألمانيا ، خـاض الحرب البروسية ـ النمساوية ، ثم الحرب البروسية ـ الفرنسية (١٨٧٠ م) وتقـاعـد سنة ١٩١١ م . واستدعي في الحرب العالمية الأولى لقيادة القوات في بروسيا الشرقية في شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩١٤ ومعه رئيس هيئة أركانه الماريشال=

العليا للقوات المسلحة ، أن يجعلوا من هؤلاء الضباط نازيين ، وأن يدخلوهم في (النظام الجديد) ، وأن يقسم الضباط يمين الاخلاص لهتلر . وقد رأى هتلر ومعه قيادة الحزب النازي أن وجود منظمة مستقلة ، ذات تقاليد تمتد بجذورها إلى الماضي البعيد ، وتسيطر عليها الطاعة البروسية بانضباطها الصارم ، قد تنقلب عليهم ، فتطيح بهم .

وأخذ هتلر في ممارسة لعبة التوازن بين قيادة الحزب وبين هيئة أركان الجيش بكفاءة عالية ودهاء . ومع أن الجيش كان منصرفاً إلى توسيع نطاقه منذ آذار ـ مارس ـ سنة ١٩٣٥ ، ومع أنه كان مديناً بتطوره وتوسعه إلى هتلر الذي أتاح له الفرصة حتى بلغ في ضخامته مرتبة لم يكن يحلم بها أبداً ، إلا أنه لم يكن بعد مستعداً للخضوع لأتباع هتلر والانقياد لهم . وكان بعض القادة ذوي الكفاءات الممتازة (كالجنرال لودفيغ بيك ـ رئيس الأركان) لا يرى كبير فارق مميز بين هتلر وأتباعه ، وكان يرى في (الوطنية الاشتراكية) ومؤسسها نكبة قومية . فاستقال (بيك) من منصبه سنة ١٩٣٨ ، احتجاجاً على الاقتراح بغزو تشيكوسلوفاكيا ، ولم يكن يخامره شك منذ البداية ، بتردي الأوضاع وتدهورها . وكان آخرون ، منهم (الجنرال ويرنرفون فريتش)[١] القائد العام للجيش الألماني ،

= لودندورف ، وانتصر في معركة تاننبرغ . وأصبح قائداً عاماً للقوات النمساوية ـ البروسية على الجبهة الشرقية ، ثم قائداً للجبهة الغربية ، وأصبح هندنبورغ رئيساً للجمهورية (١٩٢٥ ـ ١٩٣٤ م) وعين رغماً عنه هتلر مستشاراً لألمانيا .

(١) الجنرال ويرنر ـ فون فريتش : (FRITSCH, BARON WERNER VON) =

يكرهون النـازية ويحتقـرون زعيمها ، لأنهم هـددوا المكانـة الساميـة للجيش ، ولأنهم غير جديرين بأن يتعـامل معهم الضـابط الألماني . وكـان هناك آخـرون أيضاً من أمثـال (كيتـل)[١]و (جـودل)[٢]ممن هـدروا مكانـة حرفتهم ، واستهـانوا بفضـائلهم الحـربيـة في سبيـل الترفيعات ، فتردوا إلى مهاوي الخدم والتابعين الأذلاء .

هكذا ، أخذ الضابط في هيئة الأركان العامة ، يدرك تـدريجياً ضرورة حصوله على شيء من النفوذ الثابت ، فبـدأ ينظر إلى هتلر ، محاولاً الفصل بينه وبين أتباعه ـ من قـادة الحزب النـازي ـ على أنـه أمل ألمانيا الجديـد . وقد زاد من مكـانة هتلر في نفـوس الضباط مـا حققه من نجاح في احتلال منطقة الراين بطريقة سلمية ، بالإضافة إلى بـرنـامـج إعـادة التسلح ، وكـان ذلـك مما يتفق مـع السيـاسـة الأساسية للجيش . ولا بـد من أن يضاف إلى ذلـك وقوف هتلر إلى

= (١٨٨٠ ـ ١٩٣٩) جنـرال ألماني ، خلف كيـرت فون هـامرشتـين في قيادة الجيش الجـرمـاني ـ الألمـاني ـ سنـة ١٩٣٣ م) ودعم هتلر مـع وزيـر الحـرب بلومبـرغ : (BLOMBERG) في عمليـة (ليل السكاكـين الطويلـة) ضـد (ذوي القمصان الرمادية) واتهمه هتلر وهملر بالشذوذ الجنسي وطلبا إليه الاستقـالة سنـة ١٩٣٨ م . فخلفه بروخيتش BRAUCHITSCH . وقتل فريتش ، وقيل انه مات منتحراً .

(١) كيتـــل : (KEITEL , WILHELM) (١٨٨٢ ـ ١٩٤٦) مـاريشـال ألمـاني ، ورئيس دائـرة الحـرب الألمـانيـة (١٩٣٥ـ ١٩٣٨) ثم رئيسـاً لهيئـة أركـان القيـادة العليـا . وهـو الـذي وقـع النص الـرسمي لـوثيقـة استـسـلام ألمـانيـا في ٩ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٥ ، وحكمته محكمة نورمبرغ بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم .

(٢) جودل : (JODEL , ALFRED) ١٨٩٠ ـ ١٩٤٦ . جنرال ألماني ، رئيساً لهيئة أركان القوات المسلحة الألمانية ، عمل مساعداً لكيتل طوال الحرب العالمية الثانية . ووقع يوم ٧ ـ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٥ وثيقة استسـلام جميع القـوات الألمانيـة ، وحكمته محكمة نورمبرغ بالاعدام .

جانب الجيش ضد روهم وأطماعه . وكان هتلر يعرف يقيناً أن الجيش ، والجيش وحده ، هو الذي حفظ الجذوة العسكرية متقدة طوال السنوات التي كانت فيها ألمانيا مغلوبة على أمرها .

وصحيح أن رجال الفوضى والشغب هم الذين دعموا هتلر للوصول إلى السلطة ، إلا أنه من غير المعقول أن يفضل هتلر هؤلاء المشاغبين ـ النازيين على ضباط المدرسة الألمانية القديمة . ومن المحتمل جداً أن يكون هتلر في موقع انتظار اللحظة المناسبة ليتخلص من هؤلاء ويعود إلى الاعتماد على حماة ألمانيا الحقيقيين .

هذا ما كان يفكر به الرجال من ضباط هيئة الأركان العامة . وقد تسربت هذه الأفكار إلى باقي الضباط ـ ومنهم رومل ـ الذي ظن أن باستطاعته صقل الشبيبة ، وكبح جماح انحرافها ، عندما أعلن في سنة ١٩٣٥ م عن ضم فرق العاصفة إليه (س . آ) وأن قيادة هذه الفرق ستسند إليه . ثم ما لبث هتلر أن أسند إليه مهمة جديدة ـ بالإضافة إلى عمله في الكلية الحربية ـ وهي الاشراف على تدريب شبيبة هتلر ، وتحسين انضباطهم . غير أن رومل سرعان ما اصطدم برئيس منظمة الشبيبة ـ فون شيراخ ـ الذي وصفه بأنه : « شقي ، قوي الشدقين ، يتقعور في حديثه ، وهو مثال الخسة واللؤم » . وقد حاول رومل قدر استطاعته الوصول إلى النجاح في مهمته ، غير أن ـ فون شيراخ ـ انتصر عليه . فعاد إلى عمله (في الكلية الحربية ببوتسدام) .

رفع رومل سنة ١٩٣٧ إلى رتبة عميد ، وفي يوم ٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٣٨ ، أنهى فترة ثلاث سنوات أستاذاً في كلية

بـوتسـدام ، فتم نقله في اليـوم التـالي مـديـراً للكليـة الحربيـة في (وينـرنـوستـادت) . ولكـن ، وقبـل أن يغـادر رومـل بـوتسـدام لـلالتحاق بعمله الجـديد ، كلف بقيـادة الفوج المسؤول عن حمـاية هتلر أثناء اجتياح أراضي السوديت .

وكان هتلر قد قـرأ كتاب (هجمـات المشاة) وأعجب بمؤلفـه رومل ، فاختاره قائداً لحرسـه الشخصي ، حتى إذا ما انتهت المهمـة عاد رومل إلى مقر عمله الجديد .

وفي السنة التاليـة ، انتدب رومـل لمهمة ممـاثلة . فحين كـان الألمـان عـلى أهبـة الـدخـول إلى بـراغ (يـوم ١٣ آذار ـ مـارس ـ ١٩٣٩ م) عين رومل قـائداً لفـوج حمايـة هتلر . وبوغت رومـل إذ سـأله هتلر : « مـاذا كنت صانعـاً لـو كنت مكـاني أيهـا العميـد ؟ » فأجاب رومل على الفور : « كنت ركبت سيارة مكشوفة ، واجتـزت شوارع المدينة دونما حراسة » .

وكان غريباً أن يأخذ هتلر برأي رومـل الذي عـاد بعد انتهـاء المهمة إلى مدينته (وينرنوستادت) الواقعة في الجبال ، جنوب غـرب فيينا ـ ليستأنف عمله الذي أحبه ، وهو تدريب الضبـاط ، وليتابـع حيـاتـه الهـادئـة المستقـرة ، بعيـداً عن مؤامـرات الحكم ودسـائس السلطة .

ولم يلبث أن صـدر الأمـر بتـرفيعـه إلى رتبـة فـريق (في ٢٣ ـ آب ـ أغسطس ١٩٣٩) . وألحق بهيئة أركان مقر قيادة هتلر ، ليكون المسؤول عن حمايـة زعيم الرايـخ ، وضمان سـلامته وأمنـه . وكان ضجيج الحـرب يرتفـع هادراً بصخب متعـاظم ، ولكن رومل

وكثيراً من القادة الألمان ، كانوا يعتقدون أن هتلر سيستطيع تحقيق أهداف ألمانيا في بسط سيطرتها على الممر البولوني ، وسيستعيد دانزيغ ليضمها إلى ألمانيا ، دون ضرورة لخوض الحرب ، ولكن إذا ما كانت هناك ضرورة للحرب من أجل بلوغ هذه الأهداف ، فإن الشعب الألماني وجيشه على استعداد للحرب .

٣ ـ تجربة الحرب على جبهة الغرب

وقعت المعاهدة الروسية ـ الألمانية يوم ٢٣ آب ـ أغسطس ـ ١٩٣٩ م ، وأصبح وقوع الحرب أمراً محتوماً . فقامت القوات الألمانية بغزو بولونيا ـ بولندا ـ .

وبدأ الاجتياح بهجوم جوي في الساعة ٤,٤٠ من صباح اليوم الأول من أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٣٩ م . واستطاع رومل أن يرى من مقر قيادة هتلر تلك الحرب الصاعقة حيث تم اجتياح بولونيا خلال مدة أربعة أسابيع ، بحيث لم تترك للجيش البولوني فرصة الوصول إلى مناطق حشده .

ولقد تابع رومل تحرك القوات الألمانية ، فوصل إلى (براسكزو) يوم ٢ أيلول ـ سبتمبر ـ ثم وصل إلى (كليس) يوم ١٠ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ ، ووصل إلى (لودز) يوم ١٣ منه ، ووصل إلى العاصمة (فارصوفيا ـ وارسو) يوم ١٥ منه . وفي يوم ٣٠ ايلول ـ سبتمبر ـ استسلمت بولونيا ، فرجع رومل إلى برلين .

وقد أفاد رومل من جولته هذه فائدة كبيرة ، فعمل على دراسة فن الحرب الحديثة دراسة موضوعية ، ورأى بأم عينه أهمية التعاون

الوثيق بين القوات الجوية والقوات البرية . وقدر أهمية القصف الساف من الطائرات المنقضة، وهي الطريقة التي رفض أن يتعلمها سلاح الجو الملكي البريطاني إلا على كره منه .

ورأى رومل أن نشر الفوضى في المناطق الخلفية للعدو ذو نتائج سيئة على المعنويات يفوق إلحاق الخسائر الجسيمة بالأرواح . كما أن الطريقة المجدية في الحرب الآلية هي الضغط على مقاومة خطوط العدو ، واختراقها بعمق ، ثم استثمار هذا الخرق ، حتى لو أدى ذلك إلى انقطاع القوات المغيرة بعضها عن بعض في حالة تجاوزها مراكز المقاومة ، وتركها للمشاة المتقدمين للاجهاز عليها . كما أدرك أن المدرعات يجب أن تستخدم بكتل كثيفة ، لا أن توزع بتشكيلات صغيرة . وأدرك فوق هذا كله ، أن رجلاً مثله ، يجب أن يتولى قيادة فرق مدرعة . واتفق أن أيدت معركة بولونيا رأيه السابق عن شجاعة هتلر . فعندما رجع رومل من بولونيا ، قال لزوجته : « لاقيت من هتلر عنتاً ومشقة بالغة ، كان يصر على البقاء مع القطعات الأمامية ، وكأني به يجد متعة في وجوده تحت وابل النار في المعركة » .

انطلقت القوات الألمانية بعد ذلك فاجتاحت جدار الغرب يوم ١٠ أيار - مايو - ١٩٤٠ م ، وسارت على الطريق الذي طالما انتظرت هذا اليوم للسير عليه ، وحققت انتصاراً حاسماً بصورة فورية ، فتغير مجرى التاريخ ، وتأثر مستقبل الأمم جميعها تأثراً بالغاً .

وقد بدأ الفصل الحاسم لهذه المسرحية التي ردد العالم كله صداها ، يوم ١٣ أيار - مايو - إذ اجتازت الفرق المدرعة البانزر

بقيادة غودريان نهر الموز بالقرب من (سيدان) ، فيما كانت فرقة بانزر مدرعة تعبر نهر الموز بالقرب من (دينانت)[١] بقيادة رومل . وكان هذا الاختراق ضيقاً ـ محدوداً ـ في البداية ، ثم ما لبث أن أخذ شكل جيب واسع .

واستطاعت المدرعات الألمانية أن تصل إلى (بادوكاليه)[٢] خلال اسبوع واحد ، مجمدة بذلك ومثبتة للقوات البلجيكية ، وقوات الحلفاء العاملة معها ، على أرض بلجيكا ، مما أدى إلى سقوط فرنسا في قبضة ألمانيا وإلى عزلة بريطانيا عن أوروبا ، حيث عملت بريطانيا على التحصن وراء سدودها البحرية ، ولم ينقذها إلا تحول الحرب إلى حرب عالمية .

ولقد كانت هزيمة الحلفاء في منتصف شهر أيار مايو ـ ١٩٤٠ ، هزيمة ذات ثمن باهظ جداً بالنسبة لأوروبا ، بحيث يصعب تقدير هذا الثمن بصورة حقيقية ، مع ما ترتب عليه من نتائج .

لقد تشبع الرأي العام العالمي على أثر الكارثة ، بأن انهيار أوروبا كان أمراً حتمياً نتيجة الهجوم الألماني الذي لا يمكن مقاومته بسبب تفوقه . غير أن كشف القناع عن موازين القوى في الحرب قد أظهر أن التفوق الألماني المزعوم كان مناقضاً للحقيقة . فقد زج هتلر

---

(١) دينانت : (DINANT) مدينة بلجيكية (نامور : NAMUR) تقع على نهر الموز .

(٢) بادوكاليه PAS - DE - CALAIS ـ إقليم عاصمة آراس ARRAS ومساحته ٦٧٥٢ كيلومتر مربع . وينسب مضيق بادوكاليه إلى هذا الاقليم ، وهو المضيق الذي يفصل فرنسا عن انكلترا ، ، وعرضه ٣١ كيلومتراً وطوله ١٨٥ كيلومتراً .

١٣٦ فرقة مقابل ١٥٦ فرقة فرنسية وبريطانية وبلجيكية وهولاندية (ما عدا ـ ١٣ ـ فرقة فرنسية انتشرت في خط ماجينو والقلاع) ولكن الألمان كانوا يتفوقون في سلاح الجو تفوقاً واضحاً ـ سواء في أعداد الطائرات أو مواصفاتها الغنية ونوعها ـ. وكان عدد الدبابات الألمانية أقل من عدد دبابات الحلفاء ، إذ زج الألمان ٢٨٠٠ دبابة فقط مقابل ٤٠٠٠ دبابة للحلفاء ولكن دبابات الحلفاء كانت بدورها أقل جودة وأضعف تسليحاً ، وأبطأ سرعة من منافستها الألمانية . ولكن الألمان تفوقوا على الحلفاء بطريقة استخدام دباباتهم ، وبالافادة من ميزاتها وخصائصها . وكان لدى الألمان عشر فرق مدرعة فقط من أصل مجموع فرقهم التي بلغ عددها ١٣٦ فرقة . وقد استخدمت هذه الفرق للاندفاع بقوة أمام كتلة الجيش الرئيسية . وبذلك تقرر نتيجة الصراع المسلح مسبقاً ، بحيث لم تترك الكتلة الرئيسة لجيوش الحلفاء فرصة للقتال أو للعمل . وهنا يظهر الدور الحاسم الذي اضطلع به قائدي هجوم المدرعات (غودريان ورومل) اللذين تميزا بالحزم والجرأة في إدارة المعركة .

لقد صمم المخطط الأصلي للهجوم على الغرب ، وفقاً للخطوط العامة التي تضمنها مخطط (شليفن)[1] لما قبل

---

(١) شليفن : (VON ALFRED SCHLIEFFEN) ماريشال جرماني ، ورئيساً لهيئة الأركان العامة (١٨٣٣ ـ ١٩١٣ م) اتبع دورة القيادة في أكاديمية الحرب في برلين (١٨٥٨ ـ ١٨٦١) وعين على الأثر ضابطاً في هيئة الأركان العليا خلال الحرب البروسية النمساوية (١٨٦٦ م) وتنقل في المناصب القيادية في هيئة الأركان التي كان رئيسها فون مولتكه ، وحضر الحرب البروسية ـ الفرنسية (١٨٧٠ م) وأصبح شليفن خلفاً لفون مولتكه سنة ١٨٩١ م . وواجه على الفور مشكلة التحالف الفرنسي ـ البروسي الذي كان يهدد جرمانيا ، وكان مولتكه قد أوصى =

سنة ١٩١٤ . وكان ثقل الهجوم الرئيسي في هذا المخطط يستند إلى الجناح الأيمن حيث كان على مجموعة الجيوش (الكتلة ب) أن تتقدم عبر السهل البلجيكي .

ولقد تم إجراء تعديل على هذا المخطط في بداية سنة ١٩٤٠ حيث تقدم (مانشتاين) باقتراح جريء للقيام بالهجوم الرئيسي عبر وديان اللوكسمبرغ البلجيكية وغاباتها . وبذلك انتقل ثقل الهجوم إلى مجموعة الجيوش (آ) التي كان يتولى قيادتها (فون رونشتد)[1] نظراً لوجود هذه المجموعة في مواجهة قطاع الخرق الجديد . ودعمت هذه المجموعة بسبع فرق مدرعة من أصل فرق البانزر العشرة ، بالإضافة إلى القسم الأكبر من فرق المشاة . وكان

= باتباع سياسة دفاعية ضد الغرب (فرنسا) وسياسة هجومية ضد الشرق (روسيا) فجاء شليفن وعكس الوضع ، فأوصى باتباع سياسة هجومية ضد فرنسا حتى يحرمها من دعم انكلترا ، مقابل سياسة دفاعية ضد روسيا وشرع بوضع مخططات العمليات للمستقبل على هذا الأساس ، وتم له ذلك ما بين سنة ١٨٩٧ ـ ١٩٠٥ . وطبقت خططه على الجبهة الشرقية بنجاح في الحرب العالمية الأولى (بقيادة هندنبورغ ولودندورف) .

(١) فون رونشتد : « RUNDSTEDT, KARL RUDOLF GERD VON » ماريشال جرماني (١٨٧٥ ـ ١٩٥٣ م) خدم في هيئة الأركان العامة خلال الحرب العالمية الأولى ، وتولى قيادة مجموعة الجيوش الألمانية في غزو بولونيا (أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٣٩) ثم قاد مجموعة الجيوش آ في معركة فرنسا (أيار ـ حزيران ، مايو ـ يونيو ، ١٩٤٠) . وتولى قيادة مجموعة جيوش الجنوب في اجتياح روسيا (حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١) واستقال من مركز عمله (في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١) فتم تعيينه قائداً لجبهة الغرب سنة ١٩٤٢ ، وعهد إليه بإعادة تنظيم الدفاع عن (جدار الأطلسي) وتولى قيادة الهجوم المضاد الألماني في الأردين (١٩٤٤) ووقع في أسر القوات الأمريكية بعد الحرب .

على مجموعة الفرق المدرعة هنا (بقيادة كليست) أن تتولى قيادة الهجوم باعتبارها الطليعة المتقدمة للجيش الثاني عشر الذي كان يقوده (ليست) . وكانت هذه المجموعة من الفرق المدرعة وقد نظمت لتعمل على محورين متقدمين : المحور الأول وتعمل عليه القوة الأكثر أهمية بقيادة غودريان وتضم ٣ فرق مدرعة ، وواجبها تنفيذ الهجوم الحاسم على سيدان ، في حين يعمل على المحور الثاني فيلق رينهارد بقوة فرقتين مدرعتين ، وتتحركان إلى يمين الفرق السابقة وواجبها عبور نهر الموز عند (مونثيرميه) . وإلى اليمين أيضاً من هذه القوات كان هناك الجيش الألماني الرابع (بقيادة فون كلوج) وكان على الفيلق المدرع لهذا الجيش أن يسير عبر الأردين لتغطية جناح مجموعة جيش كليست ، وعبور نهر الموز بين (غيغيت) وبين (نامور) وكان التقدم على هذا المحور يعتمد على عنصري الرأس واللذين كانت تشكلهما الفرقة المدرعة الخامسة ، والفرقة المدرعة السابعة ، وكان رومل يقود الفرقة المدرعة السابعة . وكانت فرقة رومل هذه هي إحدى فرق المدرعات الخفيفة الأربعة ، والتي تم تحويلها خلال فصل الشتاء إلى فرقة مدرعة ثقيلة . ولم يكن لديها إلا لواءاً واحداً من الدبابات (بدلاً من لواءين) ولكن اللواء كان يضم ثلاثة كتائب (بدلاً من كتيبتين) أي بمجموع ٢١٨ دبابة كان أكثر من خمسين بالمائة منها من صنع تشيكي[١] .

---

(١) كانت فرقة رومل (السابعة) تتكون من :

المدرعات : ـ لواء البانزر الخامس والعشرين (من ثلاث كتائب) .

ـ فوج الاستطلاع السابع والثلاثين .

المشاة الآلية ـ الميكانيكية ـ : ـ لواء حملة البواريد السادس . =

وكان قد تم هذا التحويل استناداً إلى تجربة الحرب البولونية والدروس المستخلصة منها . **وأسندت إلى رومل قيادة الفرقة السابعة منها يوم ١٥ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٠ـ في (غودسبورغ) على نهر الراين .**

وعلى الرغم من انتماء رومل إلى سلاح المشاة ، إلا أن نفسيته الهجومية ، وخبراته المكتسبة من الحرب البولونية ، وكفاءته العليا للتكيف مع حرب الحركة ، كل ذلك جعله قادراً على ممارسة قيادته بنجاح تام .

أنهت القوات الألمانية استعداداتها للغزو ، وها هو (رومل) يجد فرصة ليكتب إلى زوجته (لوسي) رسالة جاء فيها :

عزيزتي الغالية لو ٩ ـ أيار ، مايو ، ١٩٤٠
أخيراً حزمنا أمتعتنا ، ونأمل ألا يكون ذلك عبثاً ، وستطالعين في الصحف الأخبار جميعها خلال الأيام القادمة . لا تقلقي ، فستسير الأمور على خير ما يرام .

وفي مذكرات رومل وصفٌ للمرحلة الأولى من الهجوم . وفيها ما يلي : « كان العدو قد أعد خلال الأشهر السابقة للهجوم جميع أنواع الحواجز والعوائق في قطاع هجوم فرقتي . فكانت الشوارع

=
ـ لواء حملة البواريد السابع .
ـ فوج راكبي الدراجات النارية السابع .
الهندسة : ـ فوج الهندسة ٥٨ .
المدفعية : ـ كتيبة مدفعية الميدان ٧٨ .
ـ فوج المدفعية المضاد للطائرات ٤٢ .

جميعها ، والطرق التي تخترق الغابات قد قطعت بالحواجز الثابتة ، والألغام التي أحدثت حفراً عميقة في الشوراع الرئيسية .

والآن أصبحت معظم الحواجز مهجورة ، وتركتها الوحدات البلجيكية وهي محرومة ممن يدافع عنها . بذلك أصبح نادراً ما تتوقف وحدات فرقتي أمام الحواجز ، وهي إذا ما توقفت فلفترة قصيرة جداً . وكان باستطاعتنا تجنب كثيرٍ من هذه الحواجز ، إما بالمرور إلى جانبها ، أو بالسير في الطرقات الموازية . وأثناء ذلك ، كانت بقية الوحدات تقوم بتدمير الحواجز ، وأصبحت الطرق نظيفة على الفور . ولقد صدمنا لدى أول اشتباك لنا مع القوات الآلية ـ الميكانيكية ـ الفرنسية ، ففتحنا النار على الفور ، مما حملهم على الانسحاب فوراً . ولقد أكد ذلك ما استخلصته مرات عديدة من قبل ، وهو أن النجاح في مثل هذه الاشتباكات إنما يرتبط بمن يضع العدو أولاً تحت رحمة نيرانه . ولهذا يجب على راكبي الدراجات النارية والذين يتقدمون أمام الأرتال ، أن يكونوا على استعداد دائم لاطلاق نار مسدساتهم الرشاشة ، مع الحرص على تطبيق المبدأ ذاته عندما لا تكون المعلومات المتوافرة عن العدو دقيقة ، بحيث يتم توزيع النار على حدود المواقع التي يحتلها العدو . ولقد استخلصت من تجربتي بأن تطبيق هذا المبدأ ، ينقص كثيراً من حجم الخسائر في صفوف القوات الصديقة . وقد يكون من الخطأ الفادح التوقف واللجوء إلى السواتر ، دون استخدام النيران ، أو الانتظارحتى تبدأ القوى الأخرى بفتح النيران .

لقد ظهر منذ بداية هذه الاشتباكات ، وبصورة خاصة في هجوم المدرعات ، بأن الرمي المباشر ضد المنطقة التي يفترض وجود

العدو فيها ، وعدم الانتظار ، هو الذي يقرر بصورة عامة مصير المعركة . ولقد كان رمي المدفع الرشاش ، أو المدافع المضادة للدبابات من عيار ٢٠ مم، ضد المدافع المضادة للدبابات المعادية في الغابات ، ذو تأثير فعال جداً في معظم الحالات ، إذ كان يحرم العدو من المقاومة ، ويدفعه لترك مواقعه وأسلحته ، كما حقق فتح النار بسرعة على دبابات العدو نتائج مماثلة ، وذلك عندما اشتبكت دباباتنا مع دبابات العدو ، وذلك رغم تفوق الدبابات المعادية » .

وجد رومل في اليوم الثاني من أيام المعركة فرصة للكتابة ، فعاد وأرسل رسالة إلى زوجته (لوسي) :

عزيزتي الغالية لو ١١ - أيار - مايو - ١٩٤٠

وجدت اليوم ، وللمرة الأولى ، لحظة لالتقاط أنفاسي ، ولأكتب إليك . لقد سارت الأمور بشكل رائع حتى الآن . لقد تقدمت على جوادي ، وشغلت تماماً باعطاء التعليمات والأوامر ، ولم أنم إلا ثلاث ساعات ، كما أنني لم أتناول من الطعام إلا قليلاً ، وما بين فترة وأخرى ، وباستثناء ذلك فأنا على خير ما يرام . هل تكفيك هذه الكلمات ، إنني متعب جداً .

وصلت العناصر المتقدمة لقوات رومل إلى نهر الموز بعد ظهر يوم ١٢ أيار - مايو - وهي في مطاردة الفرقتين الأولى والرابعة للخيالة الفرنسيين . وكان هدف العناصر المتقدمة لقوات رومل هو عبور النهر بأسرع ما يمكن لتشكيل رأس جسر على الضفة الغربية من النهر . ولكن القوات الفرنسية نجحت في تدمير جسر (دينانت) و (هوكس) في اللحظة التي بدأت فيها الدبابات الألمانية بالعبور ،

مما أرغم قوات رومل على العبور بواسطة الزوارق المطاطية . لكن هذه القوات تعرضت للهجوم في الصباح المبكر من اليوم التالي ، ووقعت فيها خسائر فادحة ، قبل أن تتمكن من تنفيذ عمليتها . وها هو رومل يكتب عن هذا الموقف .

« وصلت إلى دينانت في الساعة ٤,٠٠ من صباح يوم ١٣ أيار ـ مايو ـ . وكانت المدفعية الفرقية قد نفذت الأوامر التي تلقتها ، فاحتلت مرابضها ، ودفعت رصادها إلى نقاط العبور . ووجدت في دينانت بعض رجال اللواء السابع فقط ، فيما كانت قنابل المدفعية الفرنسية المتمركزة على الضفة الغربية تتساقط على المدينة ، وقد أصيبت دبابات عدة وهي في طريقها إلى نهر الموز ، وكان هدير المعركة يغطي الوادي . وكان لا بد من التوقف أمام حاجز نهر الموز .

لقد كان من المحال إحضار عربة القيادة والاتصالات إلى أسفل المنحدر الحاد المجاور للنهر نظراً لوقوعه تحت أنظار العدو ونيرانه . ولهذا فقد ترجلت من عربة القيادة ، وسرت مشياً على الأقدام عبر الغابات إلى أن وصلت حتى جوف الوادي ، وكان لواء المشاة السادس على وشك العبور إلى الضفة الأخرى بواسطة الزوارق المطاطية . ولكن نيران المدفعية الغزيرة أوقفته ، كما أعاقته جداً رمايات الأسلحة الخفيفة للوحدات الفرنسية التي اتخذت من صخور الضفة الغربية أعشاشاً لمقاومتها . وكان هذا هو الموقف عندما وصلت ، ولم يكن موقفاً يبعث على البهجة أو السرور . وتمزقت زوارقنا المطاطية الواحد بعد الآخر بالنيران الجانبية للفرنسيين ، وفشلت كل محاولات العبور . وكان رماة العدو قد



رومل ـ وقائد الفيلق هوث ـ في قرية فرنسية خلال معركة فرنسا سنة ١٩٤٠

أتقنوا أعمال الاخفاء والتمويه بحيث كان من المحال على عدسات المنظار اكتشافهم ، رغم البحث الطويل والدقيق عنهم . وقد عملوا مرات ، على توجيه نيرانهم نحو النقاط التي كنت أضطجع فيها مع رفاقي من قادة لواء الرماة ـ المشاة ـ وقادة فوج المهندسين . ولكن ستارة الدخان التي غطت وادي الموز هي التي أعاقت هؤلاء الرماة ـ بالتأكيد ـ ومنعتهم من اصابتنا بأضرار كبيرة . ولما لم يكن لدينا وحدات لبث الدخان ، فقد أصدرت الأمر باحراق عدد من المنازل بالوادي للحصول على ستارة دخانية كافية لحمايتنا وستر تحركاتنا . وتزايد موقفنا حرجاً وضيقاً ـ دقيقة بعد دقيقة ـ بسبب رمايات العدو ، وأصيب أحد زوارقنا المطاطية أمام أعيننا ، وصرخ أحد الجنود بنداء الاستغاثة ، غير أننا كنا عاجزين عن انقاذه من الغرق تحت سيل نيران العدو ، وأثناء ذلك ، كان فوج راكبي

الدراجات السابع قد نجح في احتلال قرية (غرانج) على الضفة الغربية من النهر (والتي تبعد ٢ كم عن هوكس والموز ، والواقعة شمال غرب دينانت بمسافة ٥ كم) . ولكن هذه الوحدة لم تعمل على تطهير ضفة النهر ، فأصدرت إليها الأمر للعمل من أجل طرد العدو ، وإخراجه من أعشاش مقاومته . ثم اتجهت جنوباً على طريق الوادي ، على متن دبابة (بانزر ٤) لمعرفة موقف لواء المشاة السابع ، وتعرضت في الطريق للرمايات الصادرة عن الضفة الغربية . وقد شاهدنا بعض جند المشاة الفرنسيين ـ المنعزلين ـ ونحن نقترب منهم . وعندما وصلت إلى لواء المشاة السابع عرفت أن هذا اللواء نجح في ارسال سرية من قوته إلى الضفة الغربية . ولكن رمايات العدو الغزيرة استطاعت تمزيق وسائط العبور وتدميرها ، فبات لزاماً إيقاف العملية . وكان قد تم نقل الجرحى



ـ دبابة المانية دمرتها القوات الفرنسية خلال معركة الدبابات الليلية في قرية أفسنس (تصوير رومل)

إلى عدد من البيوت المجاورة لعلاجهم والعناية بهم .

وكان من المحال هنا أيضاً تمييز أو اكتشاف مواقع العدو التي تعيق عملية العبور لنهر الموز ، لهذا بات الأمل ضعيفاً في متابعة العملية ما لم يتوافر دعم ناري كثيف من المدفعية وأسلحة الدبابات . فتوجهت إلى مقر القيادة العامة للقطاع ، حيث التقيت بالجنرال فون كلوغ قائد الجيش ، وقائد الفيلق هوث . وبعد مناقشة الموقف ، واتخاذ الاجراءات الضرورية ، رجعت إلى دينانت ، متبعاً الطريق المجاور لنهر الموز . وقامت طائراتنا خلال ذلك بقصف الأهداف المعادية .

وبدأت نيران العدو في التزام الصمت تباعاً . لكن مدفعيتنا كانت قد استنزفت ذخائرها وأصيبت دبابات كثيرة من دباباتنا . وأصيبت الروح المعنوية لقواتنا بالتدهور نتيجة للخسائر الكبيرة في الأرواح ، لكن بعض دباباتنا تقدمت إلى نقاط العبور ، وأمكن استخدام الزوارق المطاطية التي أخذت بنقل الجنود تباعاً تحت حماية نيران مدفعيتنا ودباباتنا . وتوليت قيادة الفوج الثاني من اللواء السابع المشاة . ونظمت له عملية العبور لبعض الوقت ، حتى إذا ما أخذت الأمور سيرها الطبيعي ، انطلقت شمالاً نحو السرية التي كانت قد تمكنت من العبور في وقت مبكر . وظهرت دبابة فرنسية بشكل مباغت ، ولما لم يكن لدينا مدافع مضادة للدبابات ، فقد أصدرت الأمر بفتح نيران كافة الأسلحة الخفيفة ، فلاذت الدبابة المعادية بالفرار لمسافة ألف متر ، وتبعتها دبابات فرنسية أخرى انسحبت على عجل » .

لقد جابه رومل وفرقته مقاومة البلجيكيين الضارية ، وقاتل

إلى جانبهم الفرنسيون بعناد ، فقد حولوا البيوت إلى مـواقع دفـاعية منيعـة ، وأفادوا من طبيعـة الأرض فحولـوها إلى معـاقل حصينـة . ونصبـوا المدافـع المضادة للدبـابـات في مـرابض أحسنـوا اختيـارهـا وتمـويهها وتحصينهـا . وكان عـلى رومل وفـرقتـه العمـل تحت نيـران المدفعية المعادية الكثيفة .

وقـد عمل رومـل على دفـع قواتـه لإقـامة الجسـور تحت حمم المـدفعية الثقيلة ، ممـا اضطر رومـل للغوص في الميـاه حتى وسطه ، وسـاعـد رجـالـه عـلى نقـل الأعمـدة الثقيلة . وكـان يـردد معهم (سأساعـدكم بيدي) وبقي إلى جـانبهم حتى سار العمـل بنجاح ، وسرعان ما انتشرت هذه الروح بـين أفراد الفـرقة . واستعـاد رومل شهرته القديمة ، والتي استندت إلى حقيقة أن رومـل لا يكلف أحداً للقيـام بعمل إلا ويبـدأ فيه بنفسـه . وقـام الفـرنسيـون مساء يـوم ١٣ أيـار ـ مايو ـ ١٩٤٠ بهجوم مضـاد بقوات المـدرعات والمشـاة ، ولكن قوات رومل صدتها بنجاح . ولما أقبـل الليل ، كـانت الفرقـة السابعة تعبر النهر ، ودبابة رومل تسير في المقدمة .

وفي اليوم التالـي (١٤ أيـار ـ مايو) أقحم رومل دبـاباتـه في مقالع حجرية ـ رملية ، وأخذت المدفعية والـدبابـات المعاديـة تصب نيرانها الكثيفة عليه فأصيبت مركبة قيادية بإصابتين ، وجرح رومـل في وجهه ، وكان الجرح غير خطير ، غير أن الـدم تدفق من الجـرح بغزارة .

وكـاد رومل يقـع في أسر القوات الفـرنسية لـولا أن أسـرعت كتيبة الدبابات ٢٥ لانقاذه من مأزقه ، وطردوا القـوات الفرنسيـة .



سان فاليري (فرنسا) ١٩٤٠

وشرع بوضع مخططه لعمليات يوم ١٥ أيـار ـ مايو . فقرر دفـع لواء البانزر ٢٥ في المقدمة ومعه المدفعية ، ودعم الطيران الانقضاضي إذا ما أمكن ، وكان عـلى المشاة أن تتبـع هجوم الـدبابـات ـ قسم منهم محمول وآخرون سيراً على الأقدام ـ. وحدد للمـدفعية واجب حمـاية مجنبتي الهجـوم نظراً لانـدفاع قـوات رومـل وتقـدمهـا عـلى القـوات المجاورة لها ، مما يجعلها بحـاجة لهـذه الحمايـة . وقد حـدد للـواء البـانـزر ٢٥ واجب التقــدم بخط مستقيم لـلاستــدارة من حـول (فيليب ـ فيل) والوصول إلى إقليم (سيرفونتين)[١] .

---

(١) فيليب فيل : (PHILIPPEVILLE) مدينة بلجيكية في إقليم نـامور ، وتبعـد مسافة ٢٩ كم إلى الغرب من (دينانت) أما سيرفونتين : (CERFONTAINE) فتقـع على بعـد ١٣ كم إلى الغرب من (فيليب فيـل) . كـما تقـع مـدينـة نـوفيـل NEUVILLE إلى الجنوب من فيليب فيل وعلى بعد ٣,٥ كم منها .

وقرر رومل السير مع القوات المتقدمة لقيادة الهجوم مباشرة ، وتوجيه نيران المدفعية وطيران الانقضاض في اللحظة الحاسمة . وتم الاتفاق مع ضابط اتصال القوات الجوية وقائد المدفعية على تبسيط اجراءات الاتصالات ، وتحديد الاهداف . وسار الهجوم بنجاح ، رغم ظهور بعض المقاومات الضارية ، لا سيما عند (نوفيل) حيث أسرعت القوات الألمانية إليها لقطع طريق تراجع القوات الفرنسية وأمكن أخذ عدد من الأسرى الفرنسيين ومعهم قادتهم ، بالإضافة إلى بعض المدرعات التي كانت بحالة سليمة .

ثم سار رومل باندفاع ـ وبسرعة ٦٥ كم في الساعة ـ نحو الغرب ، وتوقف على المرتفعات المحيطة ببلدة (سيرفونتين) ليتابع الموقف ، فرأى منظراً مثيراً ، إذ كانت سحب الغبار ترتفع في الفضاء ، محددة محاور مسير أرتال القوات . فعرف رومل أن قوات الفرقة تتابع اندفاعها بسرعة ، ودونما مقاومة تذكر .

وتلقى رومل في الساعة ٩,٣٠ من صباح يوم ١٦ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ م، الأمر بمتابعة التقدم ، في الوقت الذي كانت فيه مدرعاته قد وصلت إلى ارتفاع (خط ماجينو) . وبات لزاماً على رومل مجابهة مشكلة التعامل مع المواقع الدفاعية والتحصينات المتفرعة عن خط ماجينو .

٤ ـ تجاوز خط ماجينو

كان ضجيج الفرنسيين يرتفع على ضجيج الحرب ، كلما تصاعد ضجيج الحرب ، بصراخ (خط ماجينو يحمينا) . وكان من حق الفرنسيين أن يفخروا بهذا الانجاز التنظيمي الرائع والذي



الجنرال رومل يقابل أسرى الحرب من قادة الفرنسيين والانكليز بعد الاستيلاء على سان فاليري

استمر العمل فيه طوال خمسة عشر عاماً تقريباً حتى اكتمل في تجهيزه وتسليحه ، وأصبح مدينة دفاعية ممتدة تحت الأرض على امتداد الحدود الفرنسية . وها هو رومل وقد وصل إلى ارتفاع خط ماجينو ، وكان في مواجهته تحصينات وقلاع ليست من خط ماجينو ولكنها استطالة له ، بتنظيمها الدفاعي وتسليحها . ووضع رومل خطته للهجوم وعرضها على قائده (فون كلوغ) ، فوافق عليها كلوغ دون أي تعليق أو تعديل . وتضمنت خطة رومل ما يلي :

التقدم حتى (سيفري)[1] مع دفع فوج الاستطلاع في الوقت

---

(١) سيفري : (SIVRY) بلدة على الحدود الفرنسية ـ البلجيكية ، وتقع على بعد ١٩ كم إلى الغرب من (سيرفونتين) .



رتل من عربات النقل الفرنسية المحترقة على امتداد الطريق الذي سارت عليه الدبابات الألمانية
(تصوير رومل)

ذاته ، لتحديد واكتشاف واستطلاع خط ماجينو على جبهة واسعة ، في حين تحتل الكتلة الرئيسة للمدفعية مرابضها حول سيفري . ويتقدم لواء البانزر المدرع المدعم بالمدفعية لاقتحام خط ماجينو . ثم يأتي لواء المشاة المدعم بالدبابات للاستيلاء على التحصينات ، وليعمل على إزالة الموانع والعوائق . وما إن يتم انجاز هذا الواجب ، حتى يتم تطوير الاختراق للوصول إلى (أفيسنيس) [١] وتقوم بقية قوات الفرقة بمتابعة التحرك وراء

---

(١) أفيسنيس : (AVESNES) منطقة في شمال بلجيكا ، وتحتل موقعاً منيعاً على هلب (HELPE - MAJEURE) ويمر منها نهر السامبر (SAMBRE) وتقع أفسنيس على بعد عشرين كيلومتراً من سيفري ، وإلى الغرب منها .

المدرعات المتقدمة والكتلة الرئيسة للفرقة . وتبقى على اتصال معها .

على هذا ، انطلق فوج المقدمة (الرأس) وتقدم بسرعة ، فتم الوصول إلى سيفري ، دون مقاومة . واحتلت المدفعية ، والمدفعية المضادة للطائرات ، مرابضها ، وفتحت نيرانها على الفور ضد مناطق واسعة بهدف معرفة رد فعل العدو ، واكتشاف مواقع مدفعيته . ولكن ما من مدفع فرنسي أطلق نيرانه ، أو رد على النار بمثلها . وتقدم لواء البانزر ٢٥ فوصل إلى (كليرفليت) . وركب رومل الدبابة الاولى كعادته ، وجاءته معلومات من عناصر الاستطلاع عن وجود ألغام على الطريق ، فقام بعملية التفاف بعيداً عن الطريق بمسافة ٥ كم . وكان لا بد من التحرك بصورة بطيئة لتمهيد الطرق وإزالة بعض الحواجز الطبيعية ، وما إن تم تجاوز ذلك ، حتى وجد رومل والعناصر المتقدمة معه ، أنهم على بعد مائة متر فقط من شبكة تحصينات فرنسية ، وأمامها مجموعات من الجنود الفرنسيين يقومون بزرع الألغام ، وأسرعت إحدى الدبابات المتقدمة ففتحت النار على أهداف تقابلها ، وجاء الرد فوراً . فتعرضت الدبابات المتقدمة لنار غزيرة من المدافع الرشاشة والمدافع المضادة للدبابات ، فأصيبت دبابتان إصابات مباشرة ، وأصيبت دبابات أخرى بأضرار بالغة وأصبحت خارج القتال ، وتم إسكات المقاومة . واندفعت مفارز راكبي الدراجات النارية ومعها عناصر المهندسين لإزالة الموانع ، وتفجير الحواجز ، وتمهيد الطريق . واستمر هذا العمل حتى هبوط الليل ، وظهرت في الظلمة الحرائق المشتعلة في القرى المحيطة . وأصدر رومل أمره بمتابعة التقدم تحت

جنح الظلام . ووقعت بعض الاشتباكات العنيفة مع مواقع الفرنسيين والمدافع المضادة للدبابات ، ولكن رومل وقوته المتقدمة تابعوا سيرهم تحت حماية المدفعية التي كانت تطلق نيران الإعاقة على أهدافها المحددة . وكان رومل طوال الوقت يتابع توجيه التحرك ، مع الاتصال باستمرار مع بقية القوات حتى لا يحدث أي انقطاع فيما بينها ، وأمكن تجاوز (خط ماجينو الشهير) ، ولم يكن ذلك حلماً بل إنه حقيقة واقعة . وتابع رومل وقواته توغله العميق ، فتجاوز خط الدفاع الثاني ، بعد معركة ضارية .

لقد كانت هذه الإغارة الجريئة واحدة من أبرز الأعمال المثيرة للماريشال رومل ، ومن أكثرها فاعلية وتأثيراً ، إذ استطاع بواسطتها إيقاع القوات الفرنسية بحالة من الاضطراب والفوضى والهلع . وقد تضمنت يوميات الجيش التاسع الفرنسي وصفاً لما حدث بالتالي :

« عندما هبط الظلام من يوم ١٦ أيار ـ مايو ـ تقدمت قوة ألمانية من الشرق ومعها ثلاثين دبابة ومركبة ، ونجحت في اختراق المواقع المحصنة في الإقليم ـ جنوب سولر ـ [١] ووصلت حوالي الساعة ٢٢,٠٠ إلى الطريق الممتد بين سولر وأفسنيس . كان الطريق مكتظاً بالمدنيين الذين أصابهم الرعب فالتمسوا طريق النجاة ، ولكن رومل وقوته تجاوزوا أرتال المدنيين دون أن يسببوا لهم قلقاً كبيراً . واجتاحت الفوضى معسكرات الفرنسيين في ليفونتين

---

(١) سولر : (SOLRE LE CHATEAU) بلدة في الشمال من أفسنيس .

وسارسابوتري ، بنتيجة المباغتة . وكانت هناك مجموعة مدفعية فرنسية ـ من الفرقة الأولى ـ قد نشرت مدافعها على طريق سوموزي ، ومع منتصف الليل وصل روميل الى أفسنيس . وسكتت النيران جميعها ، ووقع عدد من الضباط الفرنسيين وجنودهم أسرى في قبضة الألمان ، في حين نجح آخرون بالتراجع الى أفسنيس ، وحملوا معهم قصة الهلع ، وأرتال اللاجئين ، والاضطراب ، مما كان له أثر كبير في تقرير مصير معركة السامبر التي وقعت صباح يوم ١٧ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ »[١] .

كانت هناك كتيبة من الدبابات الفرنسية قد احتلت بلدة (أفيسنيس) . وما إن علمت بتقدم روميل وقوته حتى انتشرت في الشوارع ، وأمسكت بمحاور الطرق . وعندما وصل روميل ، أمر قواته على الفور باقتحام البلدة ودارت معركة ضارية ، قاتل الفرنسيون فيها بتصميم وعناد وتعرضت الدبابات الألمانية للخسائر ، ولكن أمكن اسكات المقاومة الفرنسية في الساعة الرابعة صباحاً .

وحاول روميل الاتصال بقائده (فون كلوغ) لاعلامه

---

(١) سامبر : (SAMBER) نهر ، يمر من بلجيكا وفرنسا ، ينبع من إقليم ايسن AISNE ـ فرنسا ـ ويمر بإقليم لاندرسي وموبوغ ، ويصب في نهر الموز عند (نامور) طوله ١٩٠ كم . وكان الانكليز قد انتصروا على الألمان في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٨ م ، ثم جاء روميل وحقق انتصاره في المنطقة ذاتها في أيار ـ مايو ـ سنة ١٩٤٠ م .

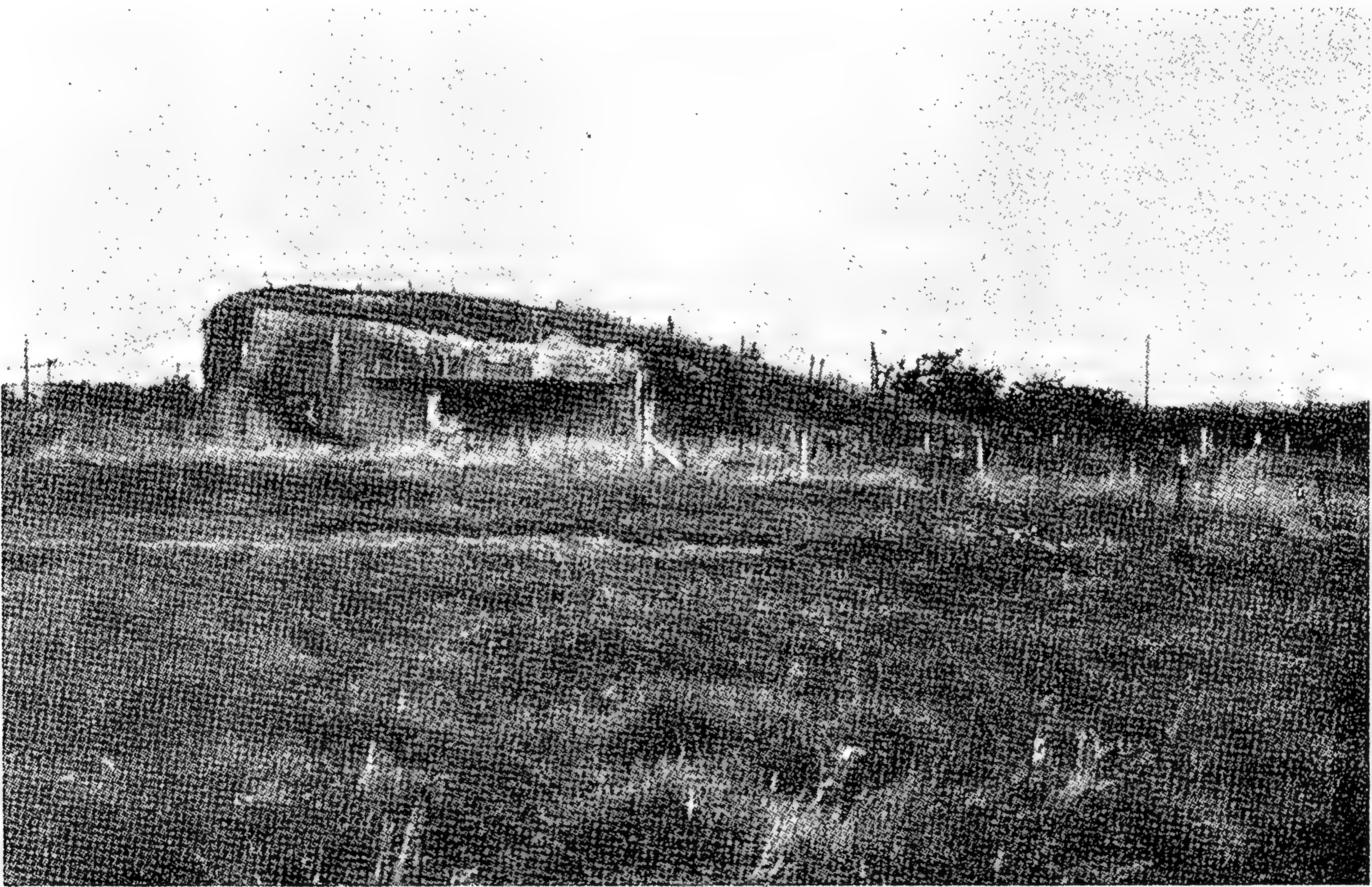
بالموقف ، غير أن الاتصال اللاسلكي كان مقطوعاً فقرر روملمتابعة الهجوم للاستيلاء على جسر على نهر السامبر ـ قرب (لاندرسي)[1] ، وأصدر أمره إلى قوته بالتقدم . ووصف في يومياته ما حدث بالكلمات التالية :

« انطلقت في اتجاه (مدينة لاندرسي) في الساعة الرابعة صباحاً ، وليس معي إلا فوج من دبابات البانزر والفوج السابع لراكبي الدراجات النارية ، غير أني كنت على يقين بأن بقية وحدات الفرقة ستنطلق متسارعة خلف القوة المتقدمة وذلك حتى تشترك في الهجوم . وكان تعطيل الشبكة اللاسلكية قد جعلني في حالة جهل بموقف بقية الألوية ، فكانت الأوامر والتعليمات تضيع في الهواء . ولما لم أكن قد استلمت أي امدادات خلال الليل ، فكان لزاماً علي الاقتصاد باستهلاك الذخائر . وهكذا اندفعنا نحو الغرب ونحن نجر المدافع الصامتة . أشرقت شمس اليوم الجديد ـ يوم ١٧ أيار ـ مايو ـ . وصدمتنا على الفور رؤية أرتال اللاجئين ، ومفارز الجنود الفرنسيين الذين كانوا قد استعدوا للانسحاب . وكان الطريق وأطرافه قد طفح بمزيج ـ أو خليط ـ من المدافع والدبابات والمركبات العسكرية من جميع الأنواع . ولم نكن بحاجة لاطلاق النيران ، وكل ما فعلناه هو أننا أردنا الابتعاد عن الطريق المكتظ ، والسير إلى جواره عبر الحقول ، دونما عناء أو مشقة . لقد بوغتت القوات الفرنسية مباغتة تامة ، فوضعت أسلحتها أرضاً ،

(١) لاندرسي : (LANDRECIES) بلدة في شمال فرنسا اقليم أفسنس ـ على نهر السامبر وهي بلدة حصينة ـ طبيعياً ـ .

وسارت على الطريق نحو الشرق ، ولم تحاول مقاومة تقدمنا على الاطلاق ، فعملنا على تعطيل الدبابات الفرنسية التي وجدناها سليمة ، دون أن تتوقف ، وكانت القوات الفرنسية تستسلم لنا تباعاً ، وبأعداد كبيرة ، ومعها ضباطها .

وهكذا وصلنا لاندرسي ، ووجدنا فيها من الاضطراب والفوضى ما لا يوصف ، لقد كانت الدبابات والمدافع والمركبات في كل مكان ، وفي كل شارع . وعبرنا نهر السامبر إلى الضفة المقابلة دون مقاومة ، حيث عثرنا على ثكنة تجمعت فيها قوات فرنسية ، فدخل أحد الضباط إلى ساحة الثكنة ، وأمر ضباطها بجمع جنودهم ، وقيادتهم نحو الشرق » .



موقع ميداني محصن يشكل جزءاً من تحصينات خط ماجينو الفرنسي الى الغرب من بلدة لونغويون (تصوير رومل)

تابع رومل تقدمه ، فوصل إلى بلدة (كاتو) ثم إلى (بوموروي) . وتم أسر القوات الفرنسية في البلدتين دون مقاومة ، على نحو ما حدث في لاندرسي ، ولم يتوقف رومل إلا في الساعة ١٨,١٥ لإعادة تنظيم قواته . وكانت فرقة رومل قد تجاوزت منذ صباح الأمس مسافة ٨٠ كم (في ٣٦ ساعة تقريباً) وكان تقدمه الليلي نموذجاً للجرأة في التقدم .

وكان غودريان يسير على يساره بسرعة مماثلة . وفشلت كافة جهود الحلفاء لإيقاف سيل الدبابات الجارف في بلجيكا .

وقررت القيادة الفرنسية تشكيل خط جديد للمقاومة ، ولكن دبابات رومل وغودريان تجاوزت هذا الخط قبل أن تتاح للقيادة الفرنسية فرصة حشد الاحتياط اللازم لتنظيم هذا الخط الدفاعي . وكان على رومل أن يطهر المنطقة التي تجاوزها والتي وصل إليها ، وتجمعت حشود كبيرة من الأسرى والوسائط القتالية .

وقد تضمن التقرير الرسمي ـ التاريخي ـ لفرقة البانزر السابعة ، أن هذه الفرقة خسرت منذ أن بدأت عملياتها وحتى تجاوزت خط ماجينو ، ٣٥ قتيلاً و٥٩ جريحاً . وخسر الفرنسيون في قطاع عمل هذه الفرقة أعداداً أكبر بكثير من القتلى والجرحى ، بالإضافة إلى وقوع ١٠ آلاف فرنسي في قبضة القوات الألمانية ، و١٠٠ دبابة و٣٠ مركبة مدرعة و٢٧ مدفعاً ، وتم إسقاط طائرتين فرنسيتين . مع العلم أن سرعة رومل في التقدم قد فوتت عليه الفرصة للحصول على المزيد من الأسرى ، وللتخلي عن قدر كبير من غنائم الحرب .

انتهى رومل من نشر فرقته بين (كاتو) و (سيفري) ، وأصبح باستطاعته أخذ نصيبه من الراحة ، فاسترخى لمدة ساعة ونصف الساعة ، ولكن ، ولما تمض على منتصف الليل سوى فترة قصيرة حتى تلقى أمراً بمتابعة الهجوم في اليوم التالي (يوم ١٨ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠) على اتجاه (كامبري)[١].

وبينما كان رومل يستعد للتحرك في الساعة السابعة صباحاً ، وقد انتهت وحداته من إعادة التزود بالذخائر والوقود، علم بأن قوات فرنسية كبيرة ، قد أفادت من ظلمة الليل ، وانتشرت في غابة (بومورواي) ، وشقت لنفسها طريقاً من الغرب إلى الشرق بواسطة مدرعة . وأسرعت دبابات البانزر للاشتباك مع القوات الفرنسية في الغابة ، ووصل رومل إلى ميدان المعركة في الساعة ٨,٠٠ فوجد المعركة محتدمة بين الدبابات الألمانية والفرنسية التي كانت تغلق الطريق ، وتسيطر عليه ، وكان من المحال القيام بأية محاولة للالتفاف على أحد الأطراف الفرنسية . وظهرت المدفعية الألمانية وهي عاجزة عن التعامل مع الدبابات الفرنسية المتفوقة في تسلحها وتصفيحها (٤٠ ـ ٦٠ مم في حين لم يكن تصفيح الدبابات البانزر يتجاوز ٣٠ مم) . ولما طال أود المعركة وتزايدت حدتها ، قرر

---

(١) كامبري : (CAMBRAI) مدينة في شمال فرنسا تقع على نهر الأسكوت : (ESCAUT) اشتهرت بمعاهدة كامبري أو (سلم السيدات) إذ تم فيها توقيع معاهدة سنة ١٥٢٩ بين لويس دو سافوا ممثلاً لملك فرنسا (فرانسوا الأول) وبين (مارغريت النمساوية) باسم جدها شارل الخامس (شارلكان) ملك اسبانيا وأمبراطور الغرب . وقد استولى الألمان على كامبري سنة ١٩١٤ ، ثم استعادها الحلفاء في هجوم تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩١٨ م .



دبابة فرنسية (سوموا) وقد أسرتها فرقة روميل قرب بلدة أراس الفرنسية (تصوير روميل)

روميل القيام بمحاولة التفاف فتولى قيادة فوج بانزر ، وتوجه به نحو الجنوب عبر الغابة على طريق اورس ، وإلى الجنوب الشرقي من لاندرسي بمسافة ٦ كم) . ولكن روميل اصطدم هنا أيضاً بمقاومة فرنسية ضارية على التخوم الشمالية للبلدة . ووجد روميل أنه بات مرغماً على التأخر في تحركه لأسباب خرجت على إرادته . وانتصف النهار عندما أمكن إسكات المقاومة ، غير أنه بات من الصعب التحرك قبل إعادة التزود بالذخائر والوقود ـ بالنسبة للقوات المتقدمة ـ ، فتركها روميل ، وأسرع لدفع القوات الضرورية من أجل تطهير أقصر الطرق إلى (بومورووي) . وكانت المدفعية الفرنسية الثقيلة قد أخذت في تشكيل سد ناري قوي أمام طريق تقدم القوات الألمانية ، وكانت رماياتها محكمة . ورغم ذلك ، فقد

أصدر رومل أوامره إلى لواء البانزر المتقدم للهجوم على كامبري في الساعة ١٧,٠٠ . وتقدمت دبابات اللواء ٢٥ بتشكيلة منتشرة ، وأثارت في تقدمها سحابة كثيفة من الغبار - على جبهة واسعة وبعمق كبير - وظنت القوات الفرنسية المدافعة عن كامبري أن هجوماً كثيفاً بالدبابات قد انحدر نحوها من الشمال تحت ستار الغبار ، ولم تعرف أن معظم المركبات التي اشتركت في الهجوم كانت مركبات للنقل ، ولم تكن دبابات ، فكفت عن المقاومة ، ودخلت دبابات البانزر مدينة (كامبري) واستولت عليها .

أوقف رومل قواته بهدف إعادة تنظيمها وتأمين إمدادها بالوقود والذخائر ، والإفادة في الوقت ذاته من فترة التوقف لاعطاء الرجال فرصة للنوم واستعادة قواهم . وقرر مبدئياً استئناف تقدمه مساء يوم ١٩ أيار - مايو - بهدف الوصول إلى السهل الواقع إلى الجنوب من (آراس)[١] .

وعكف رومل في مساء اليوم ذاته (١٨ أيار - مايو) بدراسة الموقف مع ضباطه على الخارطة . وبينما هم كذلك ، اقتحم قائد الفيلق - هوث - مقر قيادة رومل بصورة مباغتة ، وأمر بتأجيل التقدم ، وذلك على أساس ما أصاب القوات من تعب شديد نتيجة الجهد الكبير الذي بذلوه طوال الأيام السابقة . ورد رومل على

---

(١) آراس : (ARRAS) مدينة في إقليم بادوكاليه . وكانت آراس هي العاصمة القديمة للأرتوا : (ARTOIS) تقع على نهر سكارب : (SCARPE) وهي إلى الشمال من باريس وعلى بعد مسافة ١٧٥ كم منها . دمرتها المدفعية الألمانية في الحرب العالمية الاولى ، ولكن القوات الألمانية لم تتمكن من الوصول إليها واحتلالها .

الفور : « **لم يتحرك الرجال منذ عشرين ساعة ، وإن هجوماً ليلياً على ضوء القمر سينقص يقيناً من حجم الخسائر** » فما كان من هوث إلا أن سحب أمره ، وترك لرومل حرية العمل وفقاً لتقديراته .

انطلق رومل بهجومه على اتجاه (آراس) في الساعة ١,٤٠ من فجر يوم ٢٠ أيار ـ مايو ـ . وكان رومل مع قوات المقدمة ، فوصل في الساعة ٦,٠٠ صباحاً إلى بلدة (بورين) التي لا تبعد عن آراس أكثر من أربعة كيلومترات ، وهي إلى الجنوب منها .

وما إن توقف رومل ، حتى عرف أن لواء المشاة المحمول لم يلحق بدبابات المقدمة ، فعرف رومل أن عناصر معادية قد تدخلت فأفسدت خطة التحرك ، ورجع بواسطة مركبة مدرعة لمعالجة الموقف الدقيق الذي وجد نفسه فيه ، واستغرق منه ذلك بضع ساعات إلى أن وصل لواء المشاة المدعم بالمدفعية ، فأعاد التوازن للموقف المضطرب . وشرعت قوات رومل بالتعامل مع التنظيمات الدفاعية الواقعة إلى الجنوب من آراس . وهنا وصلت إلى رومل معلومات جديدة بأن مجموعة من الفرق الانكليزية والفرنسية قد تجمعت في آراس ، وأخذت على عاتقها تنظيم الدفاع عنها . وكان على فرقة البانزر السابعة ـ فرقة رومل ـ أن تتقدم يوم ٢١ أيار ـ مايو ـ متجاوزة آراس ، على اتجاه الشمال الغربي ، وعلى يسارها فرقة (س . س . توتنكوف ، أو رأس الموت) ، في حين تتقدم فرقة البانزر الخامسة إلى الشرق من آراس ، وتقوم المدفعية بتغطية المجنبة المكشوفة لهذه الفرقة .

٥ ـ التعامل مع الموقف الصعب

أمسك رومل بالموقف ، كما هو عهده دائماً ، فدفع لواء بانـزر مقدمة له ، ووضع فوج استطلاع الفرقة بقيـادته وراء هـذا اللواء ، ثم يأتي بعده لواء المشاة الآلية ـ الميكانيكية ـ. وبذلك كان باستطاعة رومل السيطرة عـلى تحرك قـواته بصـورة مباشـرة ، فأصـدر أمره في الساعة ١٥,٠٠ من يـوم ٢١/٥/١٩٤٠ إلى لـواء البـانـزر المتقـدم بـالهجـوم ، وعـلى الـرغم من معـرفـة رومـل لتفـوق أعـدائـه في المدرعات ، إلا أنـه كان يـأمل أن يتمكن من متـابعة تقـدمه داخـل فرنسا بمثل السرعة التي سارت عليها عملية الاختراق . وعمل عـلى دفع قواته من المشاة للسير بسرعة من أجل متابعة تحرك اللواء المدرع المتقدم ، ولكن ما إن وصلت القـوات إلى مسافـة ٨٠٠ م من شرق قـرية (ويللي) حتى حـوصـرت بنيـران كثيفـة . وشـرعت مـدافـع الهاوتزر على الفور بالتعامل مع الدبابات المعادية .

كانت قيادة الحلفاء قد قررت العمل بسرعة لإيقاف إندفاعـة القـوات الألمـانيـة ، فتم زج الفـرقتـين البـريـطانيتـين الخـامسـة ، والخمسين ، على اتجاه الجنوب ومعها دبابات الجيش البريطاني الأول (٧٤ دبـابة و٧٠ دبـابـة فـرنسيـة) . وكـان من المفـروض أن يـزج الفرنسيون في هذه المعركة فرقتي مشاة وفرقتين آليتين ـ محمولتين ـ غير أنه تبين بأن زج هذه القوات الفرنسيـة يتطلب وقتـاً أطول ، فـأخذ البريطانيون على عاتقهم قيادة الهجـوم . وقام رومـل بإعـلام قيادتـه بـالموقـف الصعب الـذي يواجهـه ، وأصدر أوامـره باستخـدام كافـة الأسلحة لمجابهة هجوم المدرعات . ودارت معـركة عنيفـة أفاد فيهـا

المقاتلون الألمان من كفاءتهم العالية في الرمي ، فأمكن لهم إيقاف الهجوم على بعد مائة وخمسين متراً فقط من المواقع الألمانية ، وعاد رومل فوجه كافة نيران الأسلحة إلى القوة البريطانية التالية ، فأمكن بعد جهد تدمير قوة الهجوم البريطاني . وبذلك أمكن تجاوز الموقف الصعب ، إلا أن المعركة لم تصل نهايتها بعد ، فاستمرت الاشتباكات الدموية ، وأحدثت رمايات البريطانيين الكثيفة اضطراباً في وسط القوات الألمانية إلا أنه أمكن السيطرة على الموقف، واحترقت دبابات ألمانية عديدة، وأضطرت الوحدة الخاصة (س . س) للتراجع أمام ثقل الهجمة البريطانية ، غير أن المدفعية الفرقية والمدفعية المضادة للطائرات نجحت في إيقاف الهجوم البريطاني من جديد . وشعر رومل أنه بات باستطاعته استئناف الهجوم في الساعة ١٩,٠٠ ، وتجاوزت خسائر الفرقة السابعة للبانزر (فرقة رومل) بعد أربعة ساعات من القتال ، أكثر مما خسرته منذ بدء الهجوم والاختراق في المرحلة السابقة كلها ، إذ فقدت ٨٩ قتيلاً و١١٦ جريحاً و١٧٣ مفقوداً ، بالإضافة إلى الخسائر الكبرى في الوسائط القتالية . وقد صدمت القيادة الألمانية العليا من نتائج هذه المعركة ، فقررت اتخاذ المزيد من تدابير الحيطة والحذر خلال مرحلة التقدم التالية . واضطر رومل للتوقف ، وإعادة تنظيم قواته ، ووجد فرصة للكتابة لزوجته (لوسي) :

عزيزتي الغالية لو **٢٣ أيار مايو ـ ١٩٤٠**

حانت اللحظة لأكتب إليك بعد نوم ساعات قليلة ، لقد حققت فرقتي نصراً ، والأمور على خير ما يرام . الصحة وكل شيء . دينانت ، فيليب فيل ، اختراق خط ماجينو ، تقدم داخل

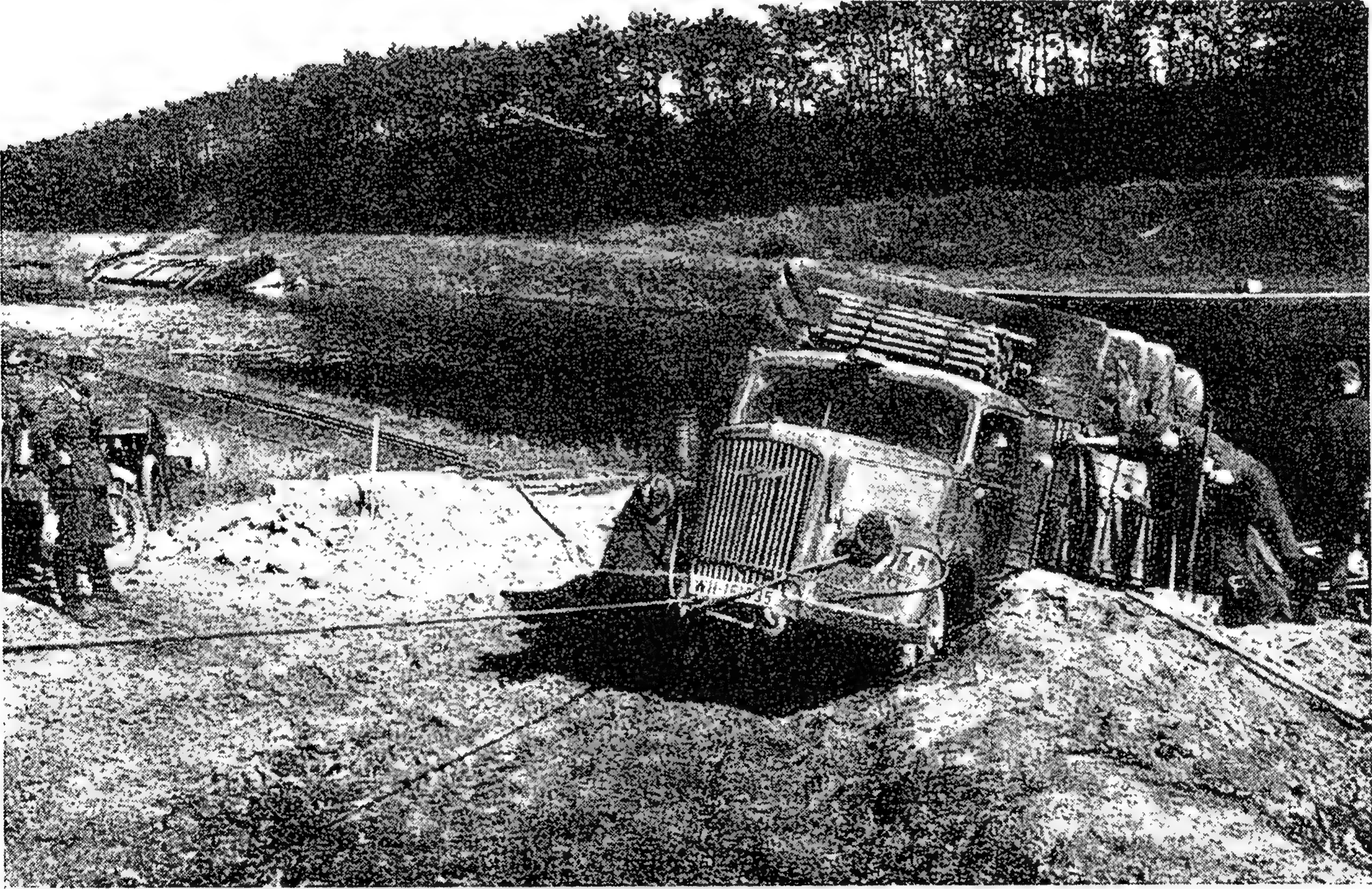
فرنسا لمسافة ٦٥ كم في ليلة واحدة حتى كاتو ، ثم كامبري ، ودائماً بعيداً في الأمام متقدماً على الجميع . ونحن الآن في المطاردة للفرق البريطانية والفرنسية والبلجيكية بسرعة ستين كيلومتراً في الساعة . لا تقلقي من أجلي . إن الحرب في فرنسا بحسب ما أراها ستنتهي خلال خمسة عشر يوماً .

عزيزتي الغالية لو **٢٤ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠**

وصلت إلى (بيثون) ويا له من منظر رائع . نندفع كالسهم من الصباح حتى المساء ، وأعتقد أننا سنربح الحرب في ظرف اسبوعين . الطقس جميل ، والشمس مشرقة .

عزيتي الغالية لو **٢٦ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠**

يوم أو يومان من غير قتال قد جعلانا في حالة أفضل بكثير. لقد فقدت الفرقة ٢٧ ضابطاً قتيلاً و٢٣ ضابطاً جريحاً بالإضافة إلى



الدبابات تقطر عربات نقل الجند بعد عبور قنال (لاباسيه)

١٥٠٠ رجل بين قتيل وجريح ، وهذا يعني أن معدل الخسائر هو في حدود الاثني عشرة بالمائة ، وتلك خسارة زهيدة جداً إذا ما قورنت بما أنجزناه . ولقد انقضى ما هو أسوأ ، والاحتمال ضعيف في أن نواجه أيضاً معارك قاسية إذ أننا أحبطنا إرادة القتال لدى العدو ، وأصبح الطعام والشراب والنوم طبيعياً . **لقد رجع الرائد (شرابلر)** أما خلفه فقد قتل على بعد متر مني .

تقدم رومل يومي ٢٢ و٢٣ أيار ـ مايو ـ محيطاً بضواحي آراس الغربية . ولما وجدت الوحدات البريطانية نفسها مهددة بالتطويق ، فانسحبت في ليل ٢٣ أيار ـ مايو ـ إلى خط القنوات ـ على بعد ٢٩ كم في الشمال ـ إلى الجنوب الغربي من دونكرك ، وقد تلقت القوات المدرعة الألمانية أمراً من هتلر يوم ٢٤ أيار ـ مايو ـ بالتوقف أمام خط القنوات . فأمضى رومل اليومين التاليين في إعادة تنظيم قواته التي تعرضت لخسائر فادحة نتيجة الهجوم البريطاني المضاد يوم ٢١ أيار ـ مايو ـ .

جاء أمر هتلر بعد ذلك بالغاء أمر التوقف ، متوافقاً مع قرار البريطانيين بالانزال في دونكرك ، وتقدم القسم الأكبر من القوات البريطانية التي كانت تحتل خط القنوات لدعم الجبهة البلجيكية والتي كانت تعاني من ضغوط الهجوم الألماني القوية ، مما أدى الى انهيار هذه الجبهة ، واستسلام القوات البلجيكية في اليوم التالي . ما إن تلقى رومل الأمر بمتابعة الهجوم حتى تحرك بسرعة نحو الشمال ، للوصول إلى مدينة (ليل) بهدف عزل قوات الحلفاء التي كانت متمركزة هناك ، ومنتشرة في الإقليم الواقع إلى الشرق من هذه المدينة . ووصل بعد ظهر يوم ٢٦ أيار ـ مايو ـ إلى قناة (لاباسيه) ،

وانتشرت قوات الفرقة على امتداد القناة وجوبهت على الفور بنيران قوية من القوات المتمركزة على الضفة المقابلة . وفي صباح اليوم التالي ، قام رومل بجولة استطلاعية لدراسة الموقف ، وأمكن إقامة جسرين صغيرين على القناة ، رغم المقاومة الضارية ، مما حمل المدفعية الألمانية على تدمير كافة المنازل القريبة من القناة وإحراقها ، ثم أمر بنصب جسر حمولة ١٦ طن .

وحاولت الدبابات الانكليزية القيام بهجوم مضاد (من لاباسيه) لتدمير رأسي الجسر ، ودارت معركة قاسية في ظروف صعبة ، إلا أنه أمكن صدّ الهجوم المضاد ، ولكن المقاومة استمرت . وأخذت عملية عبور القناة شكلاً مؤثراً ، إذ كان على القوات العبور بصورة بطيئة، لتفتح النار وتشتبك مع العدو بمجرد الانتهاء من العبور . وهكذا عبرت مدفعية الميدان في المقدمة ، وتبعتها المدفعية المضادة للمدرعات ، فالمدفعية المضادة للطائرات من عيار ٢٠ مم ، ثم عناصر من لواء البانزر ٢٥ ومعها بطارية مدفعية مضادة للطائرات عيار ٨٨ مم . وكانت عملية توسيع رأس الجسر تتقدم مع تزايد القوات التي قامت بالعبور . وأمكن أسر عدد كبير من الجنود البريطانيين بعد مقاومة ضارية . وتم الاستيلاء على بلدة (غيغنشي) .

وحوالي الظهر من يوم ٢٧ أيار ـ مايو ـ علم رومل أنه قد تم تدعيم فرقته بلواء بانزر جديد (اللواء الخامس) . وبدأ هذا اللواء عبور قناة (لاباسيه) في الساعة ١٥,٠٠ وبدأ هجومه بناء على أوامر رومل في الساعة ١٨,٠٠ واستمر التقدم ، ورغم هبوط الظلام ، ورغم مقاومات العدو الضارية ، إلى أن بلغت الوحدات

المتقدمة ضواحي ليل ، فيما كان رومل يعيد تنظيم القوات أثناء تحركها ، ووجد فرصة فكتب لزوجته :

عزيزتي الغالية لو ٢٧ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠

إنني على خير ما يرام ، ونحاول حصر البريطانيين والفرنسيين في مدينة ليل ، وأنا إلى الجنوب ـ الغربي منها . يقوم غنثر ـ حاجب رومل ـ بالعناية كما يجب ، ولقد التقطت مجموعة من الصور .

تلقت لوسي زوجة رومل مع الرسالة السابقة ، رسالة أخرى من الرائد شرابلر جاء فيها .

فرقة البانزر السابعة ـ الرائد ـ ٢٧ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠

سيدتي .

أسمح لنفسي أن أبلغك بأن الفوهرر قد كلف الملازم هانك بتقليد زوجك وسام الصليب بدرجة فارس . وأعرف أنا بصورة خاصة وقد كان لي شرف مرافقة الجنرال ، كما يعرف كل رجل في الفرقة بأنه ما من أحد يستحق هذا الوسام مثل زوجك ، إذ قاد الفرقة إلى النصر ـ مرات متتالية ـ بطريقة مميزة على ما أرى وأتخيل . ولقد عاد الجنرال الآن إلى منطقة المدرعات ، ولو عرف يا سيدتي بأني أكتب اليك ، لأمرني فوراً بأن أنقل إليك أفضل أفكاره ، وأن أعلمك أنه على أفضل ما يرام . أرجوك قبول اعتذاري فيما إذا كتبت رسالتي على الآلة الكاتبة وبصورة رسمية ، إذ أن ذراعي لم تبرأ من جراحها بعد ، ولا زالت تمنعني من الكتابة . وأنتهز هذه الفرصة لأقدم لكم فائق احترامي باسمي واسم كافة أفراد القيادة . سيدتي .

خادمك المخلص شرابلر

أصدر رومل أوامره لعزل مدينة ليل من الغرب والشمال الغربي ، وانطلقت القوات لتنفيذ واجباتها ، فيما أمضى رومل قسماً من الليل في الاشراف على صحة تنفيذ أوامره ، ومتابعة الاشتباكات العنيفة بين بعض قواته وبين المدرعات البريطانية ، كما تابع عملية إخلاء الطرق مما كان يعيق الحركة عليها بسبب تراكم مدافع العدو ودباباته ومركباته العسكرية ، منها ما هو محترق ومنها ما هو في حالة سليمة ، مع تزويد القوات بما كانت تحتاجه من الوقود والذخائر . وكانت معظم الاشتباكات مع العدو عنيفة ، إلا أنها كانت في الوقت ذاته قصيرة وحاسمة .

وسارت الأمور بحسب ما كان مقدراً لها ، إلا أن أمراً مباغتاً أذهل رومل وقيادته ، فقد انصبت عليهم حمم المدفعية الثقيلة المنطلقة من المدافع الألمانية بسبب خطأ في التقاط الأوامر ، مما



قنبلة فرنسية تنفجر أمام رتل قيادة رومل

(تصوير رومل)

أحـدث ارتبـاكـاً كبيـراً ، وسقط عــدد من ضبـاط رومــل قتـلى أو جـرحى ، وأصيب عـدد كبـير من الجنـود ، ولم تتم السيــطرة عـلى الموقف إلا بعد جهد كبير .

استـطاع رومل تجميـد وتطويق نصف الجيش الفـرنسي الأول بفضل سيطرته على غرب ليل والطرق المؤدية اليها . وأثناء ذلك كان القسم الاكبـر من الجيش البـريـطاني ومـا بقي من الجيش الفـرنسي الأول ، والجيش الفرنسي السابع قد وصلوا إلى دونكرك ، وشرعـوا باقامة خط دفاعي قوي خلف المنطقة الأرضية المغمـورة بالميـاه ، إلا أن هذه القوات رغم ما ضمنته لنفسها من الحمايـة الأرضية ، فإنهـا لم تكن بمنجاة من الهجمات الجوية . وكان الهدف من هذا الدفـاع هو تأمين انسحاب ٣٨٠ ألف رجـل منهم ١٢٠ ألف فرنسي ونقلهم من فـرنسا إلى انكلتـرا (وقد تم ذلـك بـين يومي ٢٦ أيار ـ مـايـو ـ و٤ حزيران ـ يونيـو ـ ١٩٤٠) ، وبقي بضعـة آلاف فقط عملوا على حمـاية الانسحـاب ، وقاومـوا ببطولـة ، إلى أن تم أسـرهم . ورغم ذلـك فقد أسر الألمـان أكثر من مليـون جندي ، ولم تتجـاوز خسارة الألمان ٦٦ ألف مقاتل . ولقد كـان استيلاء رومـل على مـدينة ليـل نقطة تحول حاسمة في مسيرة الحرب على أرض فرنسا . وكتب رومل لزوجته :

عزيزتي الغالية لو **٢٩ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠**

انتهت معـركـة ليـل الآن ، وكنـا أول من وصــل إلـى أمـام المخارج الغربية للمدينة . وقد وضعنـا الآن في حالـة الراحـة خلف الجبهة . وقام الملازم هانك ـ باسم الفوهرر ـ بتقليدي وسام الصليب

برتبة فارس في احتفال كبير ، وعبر لي عن أفضل تمنيات الفوهرر . وبعد ذلك بثلاث ساعات ونصف ، تقدمت فرقتي بألـويتها البـانزر الثلاثة إلى الغرب من ليل ، فوصلتها مع منتصف الليل . ونمت لمدة سـاعـة ونصف السـاعـة ، انـطلقت بعـدهـا إلى الجبهـة عـلى رأس وحدات جديدة ، مع ما يلزم الدبابات من ذخائر ووقود . وللأسف فقد قتل أحـد قادتي بسبب رمـايات خـاطئة من مـدفعيتنا . وأمـامنا الآن يقينـاً بضعة أيـام من الراحـة . وربما تخلت فـرنسا اعتبـاراً من الآن عن القتال اليائس ، وإلا فسنسحق كل مقاومـة حتى لو كـانت في أقصى البلاد .

صحتي جيدة ، والأمور جميعها بخير . أمنياتي أفضلها إليـك بعيد ميلادك ، وهناك كثير مما يجب عمله . لقد أضاعت قيادة فرقتي الكثير من تجهيزاتها ، خلال مرحلة المسير أو خلال القتال مع دبابات العـدو ، ويجب تعويض هـذا النقص بأسـرع مـا يمكن ، وبـانتـظار ذلك ، فإننا نستخدم وسائط الفرنسيين ومدفعيتهم .

عزيزتي الغالية لو **٢ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠**

وصلني أمر اليوم للمثول أمام الفوهرر . وجميعنـا هنا بشكـل رائع ، سأكتب لك غداً بمزيد من التفصيل .

عزيزتي الغالية لو **٣ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠**

كانت زيارة الفوهرر رائعة . وقد استقبلني بـالعبارة التـالية : « روميل . كنا قلقـين عليك جـداً أثناء الهجـوم » . كانت قسمـات وجهه تشع بالمرح ، وكان علي أن أبقى معه بعد ذلك لبعض الوقت لمرافقته . وكنت القائد الوحيد من قادة الفرق الذي بقي معه .

عزيزتي الغالية لو **٤ حزيران - يونيو - ١٩٤٠**

ها قد عدنا للتقدم من جديد ، ولقد كانت أيام الراحة الستة الماضية جيدة جداً بالنسبة لنا ، أفدنا منها فوضعنا أسلحتنا بشكل مناسب ، وبأفضل مما كانت عليه . ولن يكون التقدم الجديد شاقاً أو مضنياً ، ولقد تجاوزنا ما هو أكثر مشقة وأكثر إرهاقاً . إن البلاد هنا تعيش وكأنها لم تلمسها الحرب . لقد مضى كل شيء بسرعة . لي رجاء وهو هل لك أن تقتطعي من الصحف المواضيع التي يتم نشرها وكتابتها عني . إنه ليس لدي وقت لرؤية ذلك في الوقت الحاضر ، غير أنه سيكون من الممتع قراءته فيما بعد .

عزيزتي الغالية لو

الساعة ٣,٣٠ من صباح يوم ٥ حزيران - يونيو - ١٩٤٠

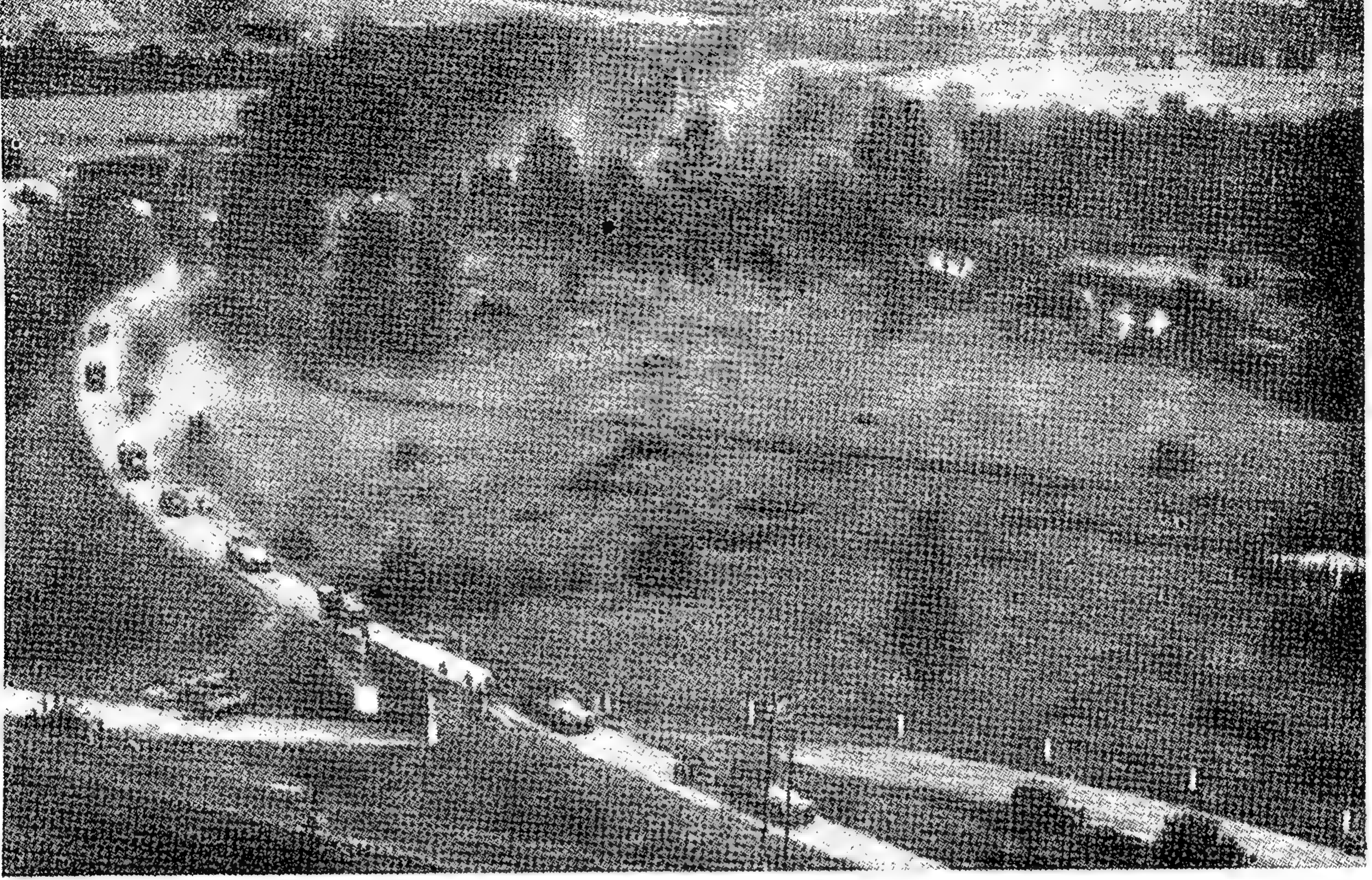
بدأت اليوم المرحلة الثانية من الهجوم . ولقد عبرنا اليوم قناة على السوم خلال ساعة واحدة ، وكان لدينا متسع من الوقت ، فقد تم إعداد الأمور بدقة ، وسار كل شيء كما كان متوقعاً ، وسأتابع الهجوم من مسافة كافية في الخلف ، ولي أمل كبير أن تصل الحرب حتى نهايتها على أرض القارة الأوروبية خلال مدة خمسة عشر يوماً . لقد وصلتني كمية ضخمة من البريد ، ويستمر وصولها تباعاً كل يوم . والجميع يرسلون التهنئة . ولم أتمكن حتى الآن من فتح نصف البريد وقراءته ، إذ ليس لدي إلا القليل من الوقت .

قامت مجموعة جيوش (بوك) بالهجوم بجناحها الأيمن على امتداد نهر السوم . أما مجموعة جيوش (رونشتد) فكانت في مواجهة (الايسن) وقد تأخر هجومها بضعة أيام . وقد تلقى (فون

بـوك) دعماً تمثـل بثلاثـة من الخمسة الفيـالق البانـزر ، اثنتـان منهـا شكلت مجمـوعة (كليست) التي استخـدمت لحركـة تـطويق لإقليم (بين أميان ـ بيرون)، في حين كان على فيلق (هـوث) القيام بـالهجوم في أقصى الجناح الأيمن (بين أميان ـ وأبيغيلل) . وتم وضع الفيلقين الباقيين تحت تصرف (غودريـان) بمهمة استئنـاف التقدم الحاسم حتى الوصول إلى المانش ، وقد تحـرك الفيلقان إلى قـطاع الايسن . وكان كل فيلق من فيـالق البانـزر يضم فرقتي دبـابات وفـرقة مشـاة آلية ـ ميكانيكيـة ـ.وصل الهجوم على الجناح الأيمن حتى نهر السين ـ جنوب روان ـ أي ابتعد مسـافة ١١٢ كم عن نقـطة انطلاقـه خلال ليل ٨ حزيران ـ يونيو ـ . وكان لرومل وفرقته الفضل الأكبر في هـذا التقدم السريع الذي جاء بعد يـومين من القتـال الضاري ، وتجـاوز النهر مباشرة في أعقاب القوات التي كانت تقوم بالانسحاب .

وفي هذا الوقت كـان تقدم مجمـوعة كليست في مـركز الجنـاح الأيمن يسير بصورة بطيئة ، في مواجهة مقـاومة متـزايدة مـع اقترابـه أكـثر فأكـثر من باريس . ولكن مجمـوعة غـودريان تقـدمت بسرعـة بمجرد اجتيازهـا لنهر الايسن ، في أعقـاب الهجوم الـذي بدأتـه يوم ٩ حزيران ـ يونيو ـ . وفي هذه الظروف ، تم نقـل مجموعـة كليست إلى الشـرق لدعم الانقـطاع الذي وقـع في الايسن ، وهي العمليـة التي حملت الضربة الحاسمة . وفي الحقيقة ، فقد استـدار غودريـان نحو الجنوب ـ الشرقي ، وأسرع نحـو الحدود السـويسريـة ، فقطع بـذلـك الـطريق عـلى الجنـاح الفـرنسي الأيمن الـذي كـان يحـاول الانسحاب إلى خط ماجينو .

وفي هذه اللحظة ، انهارت المقاومة الفـرنسية في كـل مكان ،



قوات رومل تندفع في تقدمها بعد عبور نهر السوم . وهي تسير على الضفة الجنوبية للنهر . (تصوير رومل)

فطلبت القيادة الفرنسية الهدنة في ليل ١٦ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠ . وإذا كانت معالجة غودريان لمشكلة الانقطاع عند الايسن هي التي شكلت نقطة التحول الحاسمة ، فإن هجوم رومل على الجناح الآخر هو الذي سجل بداية انهيار المقاومة الفرنسية . فقد عملت فرقته في مقدمة القوات سواء عند العبور للنهر الصغير أو عند استثمار الانتصارات التالية .

ولقد قاد رومل هجومه عبر القطاع الواقع ما بين (لانغبريه) و (هانغست) وكانت الأرض هنا مسحطة ـ مستوية ـ يقطعها مستنقع طوله ١٥٠٠ م ، يفصل بين المواقع الألمانية على الضفة اليمنى لنهر السوم ، وبين المواقع الفرنسية على المنحدرات للضفة اليسرى . وكان هناك خطان حديديان قائمان على النهر ـ فوق جسرين مختلفين ـ ، يتبعها ردم على امتداد الحقول النهرية ثم يأتي

جسـران آخران يخـترقـان طـريق (هـانغست ـ لـونغبـري) . وكـان الفـرنسيون قـد دمروا جسـور الطريق القـائمـة عـلى السـوم عنـد (هـانغست ـ ولونغبـري) ، غير أنهم لم يـدمـروا جسـري الخـطوط الحديدية .

ولقد حرص روملِ على الامساك بهذين الجسـرين ، والسيطرة عليهـما بالنيـران ، وحمايتهـما ، بحيث أنه استـطاع الافادة من هـذه الجسور عندما انطلق في هجومه يوم ٥ حزيـران ـ يونيو ـ فأمر برفـع الخـطوط الحـديـديـة ، وأصبـح الـطريق حـراً لحـركـة الـدبـابـات والمـركبات ، مما ساعـده عـلى عبـور منـطقـة المستنقعـات بسهـولـة وبسرعة . وكتب روملِ إلى زوجته (لوسي) :

عزيزتي الغالية لو ٧حزيران ـيونيو ـ ١٩٤٠

كـان يوم عيـد ميـلادك يـوم نصر حقيقي لي ، فنحن نتحـرك جيداً ، وشواهد التحلل تتزايـد لدى العـدو . ونحن جميعاً بخـير . وقد نمت عميقاً كما اليربوع ـ الجرذ السنجابي ـ .

عزيزتي الغالية لو ٩ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠

أمضينا اليومين السابقين في مطاردة رائعـة ، بدأت عـلى اتجاه الجنـوب ، ثم تحـولت نحـو الجنـوب الغـربي ، وقـطعنـا يـوم أمس ٧٢ كيلومتراً .

عزيزتي الغالية لو

الساعة ٥,٠٠ صباحاً من يوم ١٠ حزيران ـ يونيو ـ

نحن عـلى وشـك الوصول إلى البحر مـا بـين نهري السـوم والسـين . وأنـا عـلى خـير مـا يـرام ، رغـم أنني أنطلـق بـاستمـرار

كالسهم ـ . لقد حققنا نجاحات خارقة ، ويخيل لي أن العدو سينهار قريباً . ولم يكن يدور بخلدنا أبداً أن الحرب على جبهة الغرب ستجري على مثل هذه الصورة . وإنني لم أتلق منك رسائل منذ أيام .

عزيزتي الغالية لو ١١ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠

تجاوزنا نهار الأمس مائة كيلومتراً خلال مطاردتنا للعدو ، ووصلنا إلى البحر ، غرب دييب [١] ، وعزلنا عدداً من الفرق البريطانية والفرنسية ، واستولينا على خليجين يسيطران ببطارياتهما على المراكب والسفن الحربية . غير أن كثيراً من هذه البطاريات نزل بها الدمار . ولم أرجع هذا الصباح إلا في الساعة الثالثة صباحاً . ونقضي اليوم في السباحة والنوم .

لم يكن طريق رومل إلى (شيربورغ)[٢] خالياً من العقبات والمصاعب ، فقد اعترضته مقاومات كثيرة ، إلا أنه استطاع حسم الصراع ضدها بسرعة ، وذلك بفضل حرصه على الامساك بالمبادأة دائماً ، ولمحاولاته المستمرة في مباغتة العدو ، ثم لسرعته في تقدير الموقف الصحيح ، واتخاذ القرارات المناسبة ، ثم إصدار الأوامر والاشراف على تنفيذها . وجاءت الثمرة اليانعة مكافأة له على هذا

---

(١) دييب : (DIEPPE) عاصمة إقليم السين الأسفل ـ على بحر المانش ـ قام المغاوير الانكليز بالإغارة عليها سنة ١٩٤٢ ، لتدمير أجهزة الكشف (الرادارات) .

(٢) شيربورغ (CHERBOURG) مدينة على بحر المانش ، ولها ميناء حربي يتم إغلاقه بسد طويل . حررها الحلفاء يوم ٢٦ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ ، ولكنها أصيبت بأضرار كبيرة نتيجة القصف الجوي .

الجهد في (سان فاليري) حيث أخذ ١٢ ألف أسير منهم ٨ آلاف بريطاني . وكان مجموع الأسرى في (سان فاليري) بمن أرغموا على الاستسلام بعدئذ في حدود ٤٦ ألف أسير . وكتب رومل :

عزيزتي الغالية لو ١٢ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠

انتهت المعركة هنا ، وكانت لحظة رائعة عندما تقدم إلي ٤ قادة فرق وقائد فيلق عند مدخل (سان فاليري) وطلبوا الاستسلام لفرقتي .

عزيزتي الغالية لو ١٤ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠

ذهبت إلى الهافر ، وتفقدت المدينة . لقد جرت الأمور دون مقاومة ودون سفك للدماء . ونقوم في الوقت الحاضر بالرمي على أهداف بحرية بمدافعنا بعيدة المدى . وقمنا بإصابة سفينة نقل وجعلناها طعمة للنيران . وباستطاعتك تصور مدى سعادتنا عندما تقدم إلي وأنا على رمال الشاطىء ١٢ جنرالاً بريطانياً وفرنسياً ـ في سان فاليري ـ ليتلقوا الأوامر مني . ولقد أدخل الجنرال البريطاني وفرقته الفرح إلى قلبي ـ بصورة خاصة ـ . وقد تم تصوير هذه المشاهد جميعها بواسطة الأفلام المتحركة ـ سينما ـ وستعرض يقيناً في اليوميات . ونقضي الآن فترة راحة واستجمام لبعضة أيام . وما كنت أتصور أنهم سيخوضون مزيداً من المعارك الطاحنة في فرنسا . والناس هنا يشعرون بالفرح لانتهاء الحرب بالنسبة لهم ، حتى أنهم استقبلونا بالورود عند مرورنا في بعض الأماكن .

عزيزتي الغالية لو ١٦ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠

أشكرك من صميم القلب لرسالتك الغالية التي حملت تاريخ

١٠ حزيران ـ والتي وصلتني في الساعة ٥,٣٠ من هذا الصباح ، وذلك قبل خروجي للتوجه نحو الجنوب . إذ سنجتاز اليوم نهر السين لننظم خطاً ثانياً على ما أرجوه ، بوثبة جديدة متقدمة على الضفة الجنوبية للنهر . والآن ، وبعد أن تم احتلال باريس وفردان ، ثم بعد أن تم اجتياح خط ماجينو على جبهة واسعة ، فإن الحرب ستتحول بصورة بطيئة لتأخذ شكل احتلال لفرنسا بكاملها ، وفقاً لما تتطلبه عمليات التهدئة . أما السكان فهم مسالمون ، بل إن بعضهم يظهر مشاعر ودية .

٦ ـ شيربورغ ـ النهاية والبداية

توقفت فرقة رومل لفترة قصيرة من أجل الاستراحة ، وإعادة التنظيم ، وذلك قبل إرسالها إلى السين (جنوب روان)[١] ، حيث اجتازت فرقة رومل نهر السين يوم ٩ حزيران ـ يونيو ـ في أعقاب الجيش الفرنسي العاشر الذي هيمن عليه الذعر ، مما ساعد رومل على اجتياز هذا الممر المائي الكبير دون مقاومة . وقد انسحب الجيش الفرنسي العاشر نحو الجنوب ، فيما كان الجيش المجاور له ينسحب إلى مسافة أبعد نحو الجنوب . وبذلك انفتحت ثغرة جديدة في الجبهة الفرنسية ، سرعان ما

---

(١) روان : (ROUEN) مدينة فرنسية قديمة كانت عاصمة لإقليم النورماندي ، تقع على نهر السين ، وتبعد مسافة ١٢٣ كم عن باريس وتقع إلى الشمال ـ الغربي منها . وبها آثار عمرانية ضخمة ، وكاتدرائية كبيرة وصناعات مختلفة ، أحرقت بها بطلة فرنسا (جان دارك سنة ١٤٣١م) . وتعرضت المدينة للدمار بسبب القصف في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) .

استثمرها الألمان ، فدفعوا فيلق المشاة الأول على اتجاه اللوار ، وسارت فرقة رومل السابعة في أثره يوم ١٦ حزيران - يونيو - لتنطلق في اليوم التالي نحو الغرب للهجوم على (شيربورغ). وقام الجيش الفرنسي العاشر ، بانسحاب تراجعي جديد في ليل ١٦ حزيران - يونيو - . فتلقت الوحدات البريطانية التي بقيت ملحقة بهذا الجيش الأمر بالتوجه إلى (شيربورغ) من أجل ركوب البحر والعودة إلى انكلترا . وأخذت المقاومة في الانحلال ، والوهن ، غير أن الوحدات البريطانية وصلت إلى شيربورغ في اللحظة المناسبة ، وقبل أن يقطع عليها رومل طريق تراجعها نحو هذا المرفأ .

ولقد تابع رومل تقدمه يوم ١٧ حزيران - يونيو - على شكل رتلين ، ولم تواجهه مقاومات على الاطلاق حتى إذا ما كانت الساعة ١٣,٠٠ ، وصلت إلى رومل رسالة - بالراديو - أفادت أن قوات فرنسية أمام (فرانشفيلل) ومعها ضباطها وأسلحتها ، قد أمسكت بالطرق ، غير أنها لم تعترض القوات الألمانية . وأسرع رومل نحو المقدمة ، وكان بين الضباط الفرنسيين ضابط برتبة نقيب يجيد اللغة الألمانية فاستخدمه رومل للترجمة والاتصال. وقد أفاد هذا الضابط بأن (الماريشال بيتان)[1] قد تقدم إلى الألمان بعرض للهدنة وإيقاف

---

(١) بيتان : (PETAIN - PHILLIPPE) ماريشال فرنسا (١٨٥٦ - ١٩٥١) نظم الدفاع عن فردان سنة ١٩١٦ ، وتولى سنة ١٩١٧ قيادة مجموعة جيوش الشمال ، والشمال الغربي ، ومنح سنة ١٩١٨ رتبة ماريشال فرنسا ، وأصبح وزيراً للحرب سنة ١٩٣٤ . ووقع وثيقة الاستسلام لألمانيا ١٩٤٠ فحكم عليه بالاعدام في ١٥ آب - أغسطس - سنة ١٩٤٥ بتهمة تعاونه مع الألمان غير أن هذا الحكم =

معركة « فرنسا » بين ٥ و ١٧ حزيران ١٩٤٠

القتال ، فرد رومل بأنه لا علم له بمثل ذلك، وأن الأوامر التي لديه تطالبه بمتابعة التقدم، وطلب إلى الضابط الفرنسي إخلاء الطريق وفتحه أمام حركة القوات الألمانية ، وتعهد بعدم التعرض للقوات الفرنسية إذا ما هي وضعت أسلحتها أرضاً ، ولم تجابه قواته بالمقاومة .

ومضى رومل وقواته في متابعة السير بسرعة ٤٠ ـ ٥٠ كم بالساعة ، ولم يتوقف إلا لفترة قصيرة في الساعة ١٧,٣٠ من أجل إعادة التزود بالوقود . ثم تابع تحركه في الساعة ١٨,٣٠ ، حتى إذا ما وصلت القوات إلى (لاهاي دوبوي) بعيد منتصف الليل بقليل ، اصطدمت العناصر المتقدمة بنيران قوية ، وبسدود نظمت على الطرق ، فأوقف رومل قواته بعد أن تجاوزت في سيرها منذ تحركها في صباح الأمس مسافة ٢٤٠ كيلومتراً ، ، منها ١٦٠ كيلومتراً تم تجاوزها في التحرك الليلي . وبذلك تكون فرقة رومل قد تجاوزت أطول مسافة يمكن لفرقة أن تسيرها في ظروف الحرب ، خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة .

وأشرقت شمس يوم جديد (يوم ١٧ حزيران ـ يونيو) . وكان أول ما صادفه رومل عربة كانت تنهب الأرض فأوقفها ، وكان بها ضابط ميكانيكي من البحرية الفرنسية . ولما استجوبه رومل أفاد بأن لديه تعليمات بتوجيه العمل، والعمال، لإقامة سدود على الطرق

= استبدل بالنفي ـ الإبعاد ـ مدى الحياة ، نظراً لخدمات بيتان السابقة لفرنسا ونظراً لتقدمه في العمر . فقضى بقية حياته في جزيرة يو YEU المجاورة للسواحل الفرنسية في المحيط الأطلسي .

لإعاقة تقدم الألمان، فطلب إليه روميل الرجوع إلى (شيربورغ) وإعلام قيادته بأن الوقت قد فات للقيام بمثل هذا العمل . ثم صادف بعدئذ سيارة أخرى كانت تحمل مجموعة من الضباط البريطانيين وقد عادوا من السباحة في البحر ، فأخذهم وأرسلهم إلى معسكر الأسرى .

وبدأ روميل بالإعداد للهجوم على (شيربورغ) وجمع المعلومات عن دفاعاتها . ودارت اشتباكات عنيفة بالمدفعية، فيما كانت القوات الألمانية تقترب أكثر فأكثر من المدينة لاحتلال مواقع جديدة تصلح للانطلاق . وحصل روميل على مجموعة من الخرائط السرية عن تنظيم الدفاع عن شيربورغ ، فأفاد منها ، ووضع خطته للهجوم . وجرت مفاوضات بين ممثلي روميل وممثلي القيادة المدافعة عن شيربورغ . وكان القائد البريطاني (آلن بروك)[1] مقتنعاً بعدم

(BROOK , SIR ALAN FRANCIS 1 st . VISCOUNT ALAN-- BROOKE)

(١) آلن بروك : فيلد ماريشال بريطاني (١٨٨٣ - ١٩٦٣ م) كان ضابطاً للمدفعية في الحرب العالمية الأولى ، ثم أصبح مديراً لمدرسة المدفعية (١٩٢٩ - ١٩٣٢) . فمدرساً في كلية الدفاع الأمبراطورية (١٩٣٢ - ١٩٣٤) ثم قائداً للفرقة المتحركة (١٩٣٧ - ١٩٣٨) ثم قائداً أعلى للفيلق المضاد للطائرات (١٩٣٨ - ١٩٣٩) فقائداً أعلى للقيادة الجنوبية (تموز - أيلول ، يوليو - سبتمبر ، ١٩٣٩) وحتى (حزيران - يونيو - ١٩٤٠) وهو الذي تولى قيادة عملية إجلاء القوات البريطانية - ومعها قوات الحلفاء - (من دونكرك) في الوقت المناسب . ثم رجع إلى فرنسا في ١٢ حزيران - يونيو - ١٩٤٠ لقيادة بقية القوات البريطانية في (شيربورغ) وانسحب منها مع قواته يوم ١٨ حزيران - يونيو - . وأصبح قائداً أعلى للجبهة الجنوبية ، فرئيساً لهيئة الأركان العامة البريطانية - إلى جانب عضويته في مجلس الدفاع الأمبراطوري - وبقي في مركزه هذا حتى حزيران - يونيو - ١٩٤٦ م . وكان =

جدوى المقاومة ، غير أنه أراد كسب الوقت لاجلاء قواته ، فنظم الدفاع ، حتى إذا ما تم سحب القسم الأكبر من القوات ، حدد الساعة ١٥,٠٠ من يوم ١٨ حزيران - يونيو - ١٩٤٠ موعداً للانسحاب النهائي من شيربورغ . ودخل رومل وفرقته المدينة .

وصلت خسائر فرقة رومل (فرقة مدرعات البانزر السابعة) خلال حملة الغرب التي استغرقت مدة ست أسابيع إلى ٦٨٢ قتيلاً و١٦٤٦ جريحاً و٢٩٦ مفقوداً ، مع إصابة ٤٢ دبابة بالتدمير الكامل . وحصلت بالمقابل على ٩٧,٦٤٨ أسيراً واستولت على ٢٧٧ مدفع ميدان و٦٤ مدفع مضاد للدبابات و٤٥٨ مركبة قتال مدرعة ودبابة ، وأكثر من ٤ آلاف عربة نقل كبيرة ، وأكثر من ١٥٠٠ مركبة عسكرية صغيرة و١٥٠٠ مركبة برمائية . وكتب رومل الى زوجته :

عزيزتي الغالية لو   شيربورغ ٢٠ حزيران - يونيو - ١٩٤٠

لا أعرف إن كتبت تاريخ الرسالة بصورة صحيحة ، ذلك أنني فقدت في زحام الأحداث خلال هذه الأيام الأخيرة عامل الزمن . ولقد قامت الفرقة بالهجوم على شيربورغ بقفزة واحدة من مسافة ٣٥٠ إلى ٣٧٠ كيلومتراً . وأمكن الاستيلاء على قلعة

= له دوره الكبير في توجيه السياسة - الاستراتيجية للحلفاء بفضل تعاونه الوثيق مع رئيس الوزراء البريطاني تشرشل . وكان كثيراً ما يعترض على وجهات نظر تشرشل ، ويرفضها ، في حين كان تشرشل يعتمد أبداً على وجهات نظره ، ويقرها . وكان جهد آلن بروك موجهاً نحو توجيه طموحات تشرشل وأهدافه إلى مشاريع عملية وواقعية ، وفقاً لما كان متوافراً من القوى والوسائط .

شيربورغ الحصينة رغم المقاومة الباسلة . ولقد جابهنا بعض المآزق الصعبة ، واللحظات العسيرة ؛ فقد كان العدو يتفوق علينا في بداية الأمر بنسبة عشرين وحتى أربعين مرة على قدرتنا العددية . وبالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك عشرون وحتى ٣٥ قلعة حصينة في حالة قتالية جيدة ، مع وجود عدد من بطاريات المدفعية المنعزلة . والآن ، أمكن تجاوز الأمور ، ونجحنا في تنفيذ أمر الفوهرر الخاص بالاستيلاء على شيربورغ ، بأسرع ما يمكن .

عزيزتي الغالية لو ‏‏‏ رينس ٢١ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠

وصلنا إلى هنا ـ في الجنوب ـ دون عناء . ولقد أخذت الحرب في التحول التدريجي إلى جولة سياحية في فرنسا . وستنتهي الحرب في الأيام القليلة القادمة لمصلحة الجميع . ويسير الناس جميعاً هنا بهدوء .

عزيزتي الغالية لو ‏‏‏ ٢٥ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٠

وضعت الهدنة أخيراً موضع التنفيذ . ووصلنا الآن إلى مسافة ٣٢٠ كيلومتراً من الحدود الاسبانية . ونأمل أن نصل إلى هناك مباشرة ، بحيث نستطيع السيطرة على كافة السواحل المشرفة على المحيط الأطلسي . وكم هو رائع إنجاز ذلك كله . لقد تناولت طعاماً بالأمس سبب لي بعض الازعاج ، ولكنني اليوم بحالة أفضل ، ولقد انتشرت معسكرات إقامتنا في كل مكان .

عزيزتي الغالية لو ‏‏‏ ٨ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٠

إن حالة الحرب بين الأسطول الفرنسي والأسطول البريطاني

هي من الأحداث المستجدة(*) وقد يكون من الأفضل لفرنسا الوقوف إلى جانب المنتصرين . وستكون شروط السلم بالنسبة لهم أكثر ليونة ومرونة .

عزيزتي الغالية لو ٣٠ ـ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٠

إن الشروط التي فرضتها روسيا على رومانيا هي شروط قاسية جداً ، واعتقد أن ذلك لن يكون أبداً لمصلحة ألمانيا . إنهم يستولون على كل ما يستطيعون أخذه ، غير أنهم لن يجدوا باستمرار سهولة للاحتفاظ بما يغنمونه .

اضطر رومل إلى مخالفة تعليمات قيادته مرات عديدة ، خلال مرحلة التقدم السريع لفرقة المدرعات البانزر السابعة ، واستخدم مجموعة من الأساليب التقنية التي أبدعها لقيادة قواته ، من ذلك تخليه عن النهج المتصلب ـ الأرثوذكسي ـ في القيادة ، والأخذ بالأساليب المرنة . ومن ذلك أيضاً حرصه على متابعة التقدم بسرعة ومحافظته (على زخم الهجوم) ، وكذلك تطهير طرق المواصلات بمختلف الوسائل حتى يساعد قواته المتقدمة خلفه على اللحاق بسرعة بقواته الأمامية . وأدى ذلك كله إلى الاحتكاك برؤسائه ، والتعرض لتأنيبهم له ، ومجابهة انتقاداتهم . غير أن رومل عرف كيف يدافع عن نفسه بحزم ، وأن ينتصر عليهم .

وكان مما أثار رومل حقاً ، هو وقوف بعض ضباط هيئة أركان

(*) اعتقد رومل على ما يظهر بأن حالة من الحرب قد اندلعت بين الأسطول البريطاني والأسطول الفرنسي على أثر الاشتباكات التي وقعت في المرسى الكبير وفي انكلترا يوم ٣ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٠ م .

حربه الى جانب وجهات نظر القيادة ، مما أغضبه بحق ، وبصورة خاصة . وقد وصلته على سبيل المثال رسالة من القيادة يوم ١٣ حزيران - يونيو - ١٩٤٠ تتضمن مذكرة شديدة اللهجة بسبب انقطاع الاتصال مع القيادة ، وأنه كان من واجب رومل البقاء على مسافة كافية في المؤخرة للمحافظة على هذا الاتصال ، وللاشراف على القوات الرئيسة . غير أن رومل كان مضطراً للتقدم باستمرار على قواته بسبب افتقار الضباط ،قادة الوحدات الصغرى ، للخبرة الكافية في العمل تحت نيران المعركة ، وعدم قدرتهم على التكيف بسهولة مع نهجه القيادي ، وهذا مما حرم رومل بدوره من قيادة فرقته ، وتوجيه مناوراتها باعتبارها تشكيلاً قتالياً واحداً . وهذا مما حمل رومل خلال المرحلة الأولى من الهجوم لابتكار حلول تبادلية لمجابهة المواقف المختلفة لمعركة كل قوة من قوى الفرقة ، مما أدى في النهاية إلى تنسيق التعاون بشكل كامل ، ثم أدى تطور القتال إلى اكتساب المرونة اللازمة لعمل الفرقة بكاملها .

ولقد كتب رومل الى زوجته لوسي ، على أثر تلقيه رسالة قيادته :

« أشعر بالكثير من الضيق والضجر تجاه القيادة التي أرسلت لي انتقادات عن نهج العمل يوم ١٨ أيار - مايو - . وقد كان علي تنفيذ الواجب بأسرع ما يمكن ، الأمر الذي أدى إلى ابتعادي مسافة ثلاثين كيلومتراً عن مقر قيادتي ، وبالتالي فقد الاتصال مع الوحدات المقاتلة التي أتولى قيادتها في قطاع كامبري . وبدلاً من أن يقوم رئيس هيئة أركان فرقتي بالتقدم إلى الأمام ، ذهب إلى مقر قيادة الفيلق واستشارهم ، فتصرفوا وكأنه لم يعد هناك وجود حقيقي لقائد

الفرقة ، فاعتقد رئيس هيئة الأركان هذا أنه حقق نصراً بطولياً . وسأقوم بدراسة الوثائق دراسة عميقة لأضع هذا الصبي في موضعه الصحيح ».

غير أن رئيس هيئة أركان فرقة رومل كان على علاقة جيدة مع رومل . فكتب رومل بعد بضعة أيام من انقضاء الأزمة ما يلي :

« أمكن تسوية الأزمة مع رئيس هيئة الأركان في الفرقة ـ هيد كامبر ـ وطويت المسألة تماماً ، ولدي شعور بأن الأمور ستسير على خير ما يرام اعتباراً من الآن ، وقد تحدثت إلى قائد الفيلق ـ هوث ـ طويلاً بشأن هذه المشكلات . وأنا سعيد أن تهيمن العلاقات الجيدة من جديد على سير الأمور . ولكن كان من الضروري أن أجابه الموقف بحزم لتأكيد سلطتي وصلاحياتي ».

جاءت الأشهر التالية متماثلة بالنسبة لرومل ، ولسواه من قادة الجيش الألماني ممن عملوا على احتلال فرنسا . فكانت رسائله الكثيرة لزوجته خالية من الإثارة ، غير أن بعضاً منها يكشف عن حياة رومل خلال هذه الفترة ، وعن تفكيره . ومنها التالية :

عزيزتي الغالية لو ٦ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤١

تلقيت نهار الأمس مجموعة ضخمة من الرسائل بينها رسالتيك تاريخ ٢١ و٢٣ كانون الأول ـ ديسمبر ـ . ويظهر أن الخدمات البريدية عادت للانتظام بصورة طبيعية . ولقد شاهدنا بعد ظهر اليوم فيلم ـ قلب الملكة ـ لماري ستيوات ـ واستمتعت به كثيراً . وننتظر الغد حيث ستحضر لزيارتنا شخصيات هامة بهدف تفتيش معسكراتنا ومراكز إقامتنا . إذ أننا لسنا في أماكن مريحة ـ كما

يقال ـ . والفلاحون هنا في الإقليم يعيشون حياتهم ـ وهم يقومون بقطاف العنب حالياً ـ كما كان أجدادهم قبل ألف عام ، ويعرفون الشقاء ذاته ، وحتى بيوتهم لا تزال كما كانت على عهد الرومان ، بجدرانها وأسقفتها المسطحة . وكثير من القرى لا زالت محرومة من المياه الجارية ، ولا زالت تستخدم الآبار . وما من منزل جهز لمقاومة البرد ، كما أن النوافذ غير المحكمة تسمح للهواء بالصفير فيها ، وآمل أن تتم تسوية الأمور إلى الأفضل » .

زوجتي الغالية لو ٨ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤١

مرت زيارة الأمس على خير ما يرام . ويخيل لي أنه أمر هام جداً رؤية الحياة المغرقة في البدائية والتي يعيشها الناس هنا ، ومعرفة مدى البؤس الذي تعيشه بعض القرى والمدن . ولقد ترك جنودنا انطباعاً حسناً لدى السكان في كل مكان . آمل أن أحصل على إجازتي في مطلع شهر شباط ـ فبراير ـ . وستصبح الأمور أكثر وضوحاً من الآن وحتى موعد الإجازة . إنني لم أباغت من موقف حلفائنا في أفريقيا الشمالية ، وهم يعتقدون يقيناً أن خوض الحرب هو من الأمور السهلة ، وها هم يظهرون الآن ما يستطيعون إظهاره . فبدؤا بأسبانيا بالطريقة ذاتها ، غير أنهم سرعان ما هزموا . . .

عزيزتي الغالية لو ١٧ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤١

لا شيء جديد يستحق الذكر هنا . أقضي معظم الأمسيات مع ضباطي ، ونتحدث عن يومياتي للحرب في شهر أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ ، والتي يظهر أنها مثيرة للجميع . لقد تلقى الأسطول الانكليزي في البحر الأبيض المتوسط ضربات موجعة ، ونأمل ألا تكون هذه هي النهاية .

انطوت بذلك صفحة من حياة رومل . كانت آخر أحداثها المثيرة في (شيربورغ). غير أن هذه النهاية لم تكن سوى البداية فقط لأحداث أكثر إثارة وأكثر أهمية . فاجتياح الألمان للغرب ، بمثل تلك السرعة المذهلة ، لم يضع نهاية للحرب ، ووقفت انكلترا بزعامة تشرشل ، فألقت بثقل أمبراطوريتها المترامية الأطراف ضد أَلمانيا النازية . وفي الوقت ذاته ، انفتحت على ألمانيا جبهة جديدة ، هي جبهة الاتحاد السوفييتي . وبدأت الأحداث بالتطور بصورة خطيرة ، وبدأت الثغرات المتفجرة في الظهور تباعاً ، فكان لا بد لهتلر من الاستعانة بكبار قادته الذين أظهرت الحرب كفاءتهم ، والذين أفادوا في الوقت ذاته من خبرات الحرب ، لمعالجة هذه الثغرات ، وللتغلب على المصاعب . فكانت نهاية رومل في شيربورغ ، هي البداية الحقيقية لتألقه وصعوده وارتفاع نجمه .



« رومل » المغلوب على أمره كما كان الانكليز يظنون في مطلع ١٩٤٢

« إن مثل روسيا والغرب ، كمثل الماء والنار . ويظهر لي بأنه لا بد من وقوع خلاف بينهما يؤدي إلى الحرب . ولن يحدث ذلك بعد انهيار ألمانيا مباشرة ، لأن العالم اكتفى بما عاشه من الحرب . وإذن فستقع المحنة بعد هذه الحرب بسنوات »

رومل

الفصل الثاني

رومل في أفريقيا

١ ـ الموقف على جبهة أفريقيا .

٢ ـ رومل المنقذ .

٣ ـ صيف حار على حدود مصر .

٤ ـ قصور الإمكانات ، وحرب المواقع .

٥ ـ على أبواب مصر .

٦ ـ في (مرسى مطروح) و(العلمين) .

٧ ـ ضد تيار الزمن .

١ ـ الموقف على جبهة أفريقيا

ألقى الدوتشي موسوليني خطاباً في شهر شباط ، فبراير ، ١٩٤١ ، أعلن فيه أن إيطاليا قد أرسلت إلى ليبيا ما بين سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٤٠ جيشاً من ١٤ ألف ضابط ، و٢٣٧ ألف جندي ، مع امدادات ضخمة من الوسائط القتالية والذخائر . وكان يحق لموسوليني أن يتفاخر بارسال هذا الجيش الضخم للقضاء على ثورة العرب المسلمين في ليبيا بقيادة السنوسيين وعمر المختار ، والذين كانوا لا يمتلكون في مواجهة القوى الاستعمارية إلا القليل من الأسلحة والذخائر ، والكثير من الإيمان .

ولقد استطاع هؤلاء المجاهدون في سبيل الله أن يتعبوا القوات الايطالية التي استخدمت ثقل جهازها الحربي لاقتلاع شعب من أرضه ، وابعَاده إلى جوف الصحراء في إطار حرب بربرية وحشية لم يعرف لها التاريخ مثيلاً ـ حتى في غزوات المغول التتار ـ . ولكن ما هي القدرة الحقيقية لهذا الجيش اللجب في مواجهة متطلبات الحرب الحديثة ؟ .

لقد كانت دبابات الايطاليين ومركباتهم المدرعة خفيفة جداً ، وكانت قدرة محركاتها ضعيفة ، كما كانت مدفعية الايطاليين من انتاج الحرب العالمية الأولى ، ولا ترمي إلا لمسافة قصيرة . ولم يكن لدى الجيش الايطالي إلا القليل من المدفعية الحديثة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات ، وحتى بواريد هذا الجيش الاستعماري ومدافعه

الرشاشة كانت من النماذج القديمة . وكان معظم الجيش الايطالي في ليبيا مكوناً من المشاة الذين نظموا لاحتلال مواقع دفاعية ثابتة ، ومراكز محصنة . وكان مثل هذا الجيش قادراً على فرض سيطرته ضد سكان عزل ، غير أنه كان يفتقر للقدرة على الحركة السريعة والتي تتناسب مع طبيعة الصحراء الشاسعة ، وهذا هو الجيش الذي قاده (الجنرال غرازياني)[1] في ايلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٠ لقتال الانكليز في مصر . غير أن الانكليز في مصر لم يكونوا يمتلكون في هذه الفترة ما يكفي من القوات للدفاع عن وادي النيل ، فتقدم غرازياني الى «البردية فالسلوم »وتابع تحركه على الساحل حتى سيدي براني ، ثم توقف هناك ، رغم عدم اشتباكه مع الوحدات الانكليزية في معركة حاسمة ، وشرع في استقدام قواته وحشدها في هذه القاعدة المتقدمة ، مع تكديس كميات كبيرة من الامدادات . ومرت الأسابيع والشهور وغرازياني لم يتحرك ، مما أتاح لقائد حازم مثل (ويفل)[2] أن يعيد تنظيم قواته ، وأن يحشد ما تلقاه من دعم في

---

(١) غرازياني ـ رودولفو : (GRAZIANI - RODOLFO) ماريشال ايطالي (١٨٨٢ ـ ١٩٤٢) عين سنة ١٩٣٠ لاخماد ثورة ليبيا ، فقمعها بوحشية حتى لقب بسفاح ليبيا ، عين سنة ١٩٣٦ نائباً للملك أثيوبيا ـ الحبشة ـ فرئيساً لهيئة أركان الجيش الايطالي (١٩٣٩ ـ ١٩٤١ م) . كان يفتقر للكفاءة العسكرية .

(٢) ويفل : (WAVEL, SiR ARCHIBALD PERCIVAL) فيلد ماريشال بريطاني (١٨٨٣ ـ ١٩٥٠) خدم في جنوب افريقيا والهند قبل الحرب العالمية الأولى . ثم أمضى معظم خدمته في العالم العربي ، وأصبح قائداً أعلى للقوات البريطانية (١٩٣٩ ـ١٩٤١ م) فقاد معارك اليونان وكريت والحبشة وكينيا وسوريا والعراق ، ثم حملة الصحراء ضد غرازياني . لم تكن علاقته جيدة بتشرشل فنقل إلى الهند بدلاً من اوكنلك AUCHINLECK'S ، الذي حل محله في قيادة قوات =



الجنرال البريطاني - ويفل -

(مرسى مطروح) . وعلى الرغم من بقاء جيشه ضعيفاً جداً في عدد أفراد قواته وذلك بالمقارنة مع الايطاليين ، إلا أن تسليحه كان أفضل بكثير من الايطاليين . ولهذا قرر البدء بالهجوم ، فانطلق في ليل ٩ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤٠ ، وزج جميع طائراته - أقدمها

= الشرق الاوسط . وخاض ضد اليأبانيين صراعاً مريراً في الهند (بورما) وأصبح نائب ملك الهند سنة ١٩٤٣ وبقي في منصبه هذا حتى سنة ١٩٤٧ . اشتهر بكفاءته القيادية العليا ، وبمؤلفاته التي صدر منها (حملة فلسطين - ١٩٢٨) و (اللنبي ١٩٤٠) و (القادة والقيادة ١٩٤١) و (الجنرال اللنبي في مصر ١٩٤٣) .

وأحدثها - في إغارة مباغتة على المطارات الايطالية المتقدمة وعلى قاعدة (سيدي براني) . وقامت مدافع السفن الحربية بقذف قنابلها الثقيلة لتغطية سيدي براني والطريق الساحلي . وانطلقت القوات البريطانية مستفيدة من ضوء القمر فتوغلت داخل الخطوط الدفاعية الايطالية ووصلت إلى نقطة دفاعية قوية تبعد ٢٤ كيلومتراً إلى الجنوب من سيدني براني ، فاستولت عليها ، وأسرت أربعة آلاف ايطالي (في نبوه) .

كان معظم قوات الحملة من البريطانيين ، ومعهم قسم كبير من الهنود - الفرقة الرابعة - مع فصائل من قوات بولونية وفرنسية ومجموعها ٣١ ألف مقاتل ومعها ٢٧٥ دبابة (منها ٣٥ دبابة ماتيلدا حديثة جداً) ، في حين كانت قوات الايطاليين في قطاع الهجوم تزيد على ٨٠ ألف جندي ومعهم ١٢٠ دبابة فقط . وقد قسمت القوة البريطانية إلى رتلين توجه أولهما إلى سيدي براني في الشمال بينما توجه غرباً للوصول إلى مؤخرة الايطاليين (الفرقة البريطانية السابعة) . ورافق عملية الهجوم على سيدي براني إنزال للقوات وقصف جوي وقصف بحري ، فدمرت الفرق الايطالية المتمركزة في سيدي براني تدميراً تاماً ، وتلاشت كما تتلاشى أوراق الأشجار الميتة عندما تهب عليها عواصف الخريف العاتية .

وتابعت هذه القوة تحركها فاصطدمت بفرقة ايطالية (من فرق القمصان السوداء) واشتبكت معها في معركة ضارية . غير أنها سرعان ما دمرت هذه الفرقة ، ووصلت القوة البريطانية إلى (كابوزو) يوم ١٦ كانون الأول - ديسمبر - فسحقت القوات الايطالية فيها واستسلم ٣٨ ألف جندي ايطالي ، وغنم البريطانيون

أيضـاً ٥٠ دبابـة و٤٠٠ مـدفعـاً وخسر البـريـطانيـون ٥٠٠ قتيـلاً . وانسحبت فلول القـوات الايطاليـة إلى البرديـة وطبـرق ، وزال من الوجود الجيش الايطالي العاشر ، ووصلت الفرقة البريطانية السابعة إلى البردية يوم ١٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ وشرعت في تطويقها .

ولما كانت الفرقة الهندية الرابعة قـد أرسلت إلى السودان بعـد معركة سيدي براني ، فقد وقع عبء الحصار على الفرقة الاستـرالية السادسة التي وصلت حديثاً ، والتي قامت بالهجوم على البردية يـوم ٣ كـانون الثـاني ـ ينايـر ـ ١٩٤١ . وبعد ثـلاثـة أيـام من القتـال ، اقتحم الاستراليون البردية وأسـروا ٤٥ ألف جندي و٤٦٢ مـدفعاً . وتابع البـريطانيـون تقدمهم ، فـوصلوا إلى (طبرق) يـوم ٨ كانـون الثـاني ـ ينايـر ـ ١٩٤١ ، وشرعـوا في مجابهـة دفـاعـاتهـا الحصينـة ، واستمر الصراع طـوال اسبوعـين ، حتى إذا ما كـان يوم ٢١ كـانون الثاني ـ يناير ـ قامت الفرقة البريطانيـة السابعـة ـ المدرعـة ـ والفرقـة الاسترالية السادسة ـ مشـاة ميكانيكيـة ـ بالانقضـاض على طبـرق ، وانهارت مقـاومة الايـطاليين فـاستسلم منهم للبـريـطانيـين ٣٦ ألف جندي ، وغنم البريطانيون ٢٣٦ مدفعاً .

وتابع البريطانيون تقدمهم ، واستولوا على درنة والمخيلة بعـد اشتبـاكات قصيـرة وحاسمـة مع الايطاليين. وتقـدم البـريـطانيـون بسـرعـة ، رغم صعـوبـة التحـرك عـلى أرض وعـرة ، فـوصلوا إلى بنغـازي يوم ٧ شبـاط ـ فبرايـر ـ واستولـوا عليهـا ، فيـما كـان رتـل بـريـطاني يتحـرك بسـرعـــة حتى وصل إلى مسافة ٥٠ كيلومتـراً الى الجنوب ـ الغربي من بنغـازي. ودارت معركـة عند (فم البيضـاء) أمكن حسمهـا بسرعـة لمصلحة البـريطانيـين الذين أسـروا ٢٠ ألف

ايطالي و٢١٦ مدفعاً و١٢٠ دبابة . ثم احتلت القوات البريطانية المتقدمة (العقيلة) ووصلت إلى الحدود الفاصلة برقة عن طرابلس . وبذلك زال جيش غرازياني من الوجود ، ولم يبق منه إلا مجموعات من الجنود الذين تخلوا عن أسلحتهم وأخذوا في التماس الطريق نحو الغرب ، فيما كانت عربات نقل الجند تتناثر على أطراف الطرقات . وكان مجموع غنائم البريطانيين قد ارتفع إلى ١٣٠ ألف أسير و١٣٠٠ مدفعاً و٤٠٠ دبابة . وكان باستطاعة (ويفل) متابعة تقدمه للقضاء على بقية الوجود الايطالي في طرابلس ، ولكن تشرشل أصدر أمره إلى ويفل بإيقاف الهجوم ، من أجل ارسال فيلق إلى اليونان لتهديد مجنبة الألمان في البلقان . ونقل (ويفل) إلى الهند ، وحل محله أوكنلك . وحرم (ويفل) من قطف ثمرة هجومه ، غير أن ما حققه من انتصارات كان كافياً لترك دوي هائل في العالم . فقد تم إبعاد الخطر الايطالي عن مصر ، وبات موقف الديكتاتور الايطالي (موسوليني) حرجاً للغاية ، حتى أن هتلر خاف من خروج ايطاليا من الحرب ، وعقد صلح مع البريطانيين المنتصرين . وكان لا بد لألمانيا من التحرك بسرعة لانقاذ الموقف المتدهور على رمال الصحراء الليبية .

٢ - رومل المنقذ

حصل رومل على إجازته التي طالما انتظرها وحلم بها ، وجاء إلى بيته في مطلع شهر شباط ، فبراير ، ١٩٤١ ، وكله أمل بأن يستطيع الاسترخاء بعد طول توتر ، وأن يتمكن من الراحة بعد عناء مديد ومشقة مستمرة . ولكن ، ولما يكد يمضي يومان على وصوله

حتى باغتته زيارة قائد المقر العام لقيادة هتلر ، ودعاه لزيارة (الماريشال فون براوختش) ومقابلة (الفوهرر) .

وفي يوم ٦ شباط ، فبراير ، ١٩٤١ ، قابل رومل (براوختش) [١] الذي أوضح له مهمته القادمة وهي معالجة الموقف الحرج للحلفاء الايطاليين في أفريقيا الشمالية ، وأنه سيتم دعمه بفرقتين : فرقة مدرعة وفرقة خفيفة ، يتولى قيادتهما ، وهذا ما يتطلب منه الذهاب ، إلى ليبيا بأسرع ما يمكن للتعرف على امكانات استخدام هذه القوة الجديدة .

وعلم رومل من براوختش أن عملية نقل القوات قد نظمت بحيث تصل أولى الوحدات الألمانية إلى ليبيا في منتصف شهر شباط ـ فبراير ، وسينتهي نقل الفرقة الخامسة الخفيفة في منتصف شهر نيسان ـ ابريل ، وستصل بعد ذلك آخر قوات فرقة البانزر الخامسة عشرة في نهاية شهر أيار ـ مايو ـ ١٩٤١ ، وتكون القوات عندها جاهزة للعمل . وتعهدت الحكومة الايطالية أن تعمل مقابل هذا الدعم العسكري على تأمين الدفاع عن طرابلس وعن المنطقة الساحلية ما بين خليج سرت واقليم البويرات حتى الجنوب من هذا

---

(١) (BRAUCHITSCH , HEINRICH ALFRED HERMANN - WALTHER , VON) ، براوختش . جنرال ألماني (١٨٨١ ـ ١٩٤٨) . كان قائداً للمدفعية الألمانية سنة ١٩٣٣ ، فقائداً أعلى للقوات الألمانية سنة ١٩٣٩ وهو الذي قام بإعداد المخططات لاحتلال النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا ـ بولندا ـ وفرنسا . وقد عارض هتلر في توجيه حملة روسيا . وكان يعاني من اعتلال صحته ، فقدم استقالته مرات متتالية إلى أن قبلها هتلر في آخر سنة ١٩٤١ . واعتقل سنة ١٩٤٥ ومات وهو في أسر القوات البريطانية .

الاقليم ، مما سيسمح لاستخدام التشكيلات الجوية الألمانية في أفريقيا . وكان على الايطاليين تبعاً لذلك التخلي عن مخططهم الدفاعي لحماية المواقع التي تغطي طرابلس ، وأن يعملوا على وضع الوحدات الايطالية المنقولة تحت تصرف رومل والذي سيمارس عمله تحت قيادة الماريشال (غرازياني) .



« الآن ، وإلاّ فلا » . « رومل » في « أفريقيا الشمالية » ، في آب ١٩٤٢

تقدم رومل لمقابلة الفوهرر بعد ظهر اليوم ذاته ، فشرح الفوهرر لرومل الموقف على مسرح العمليات الأفريقي بالتفصيل ، واعترف له بأن مستشاريه قد أجمعوا على اختياره ـ أي رومل ـ لمعالجة الموقف نظراً لأنه الرجل الأكثر قدرة على التكيف بسرعة مع الظروف الخاصة لمسرح العمليات الأفريقي . ثم قام هتلر في المساء باطلاع رومل على الصحف البريطانية والأمريكية المصورة ، والتي أسهبت في وصف تقدم الجنرال ويفل عبر اقليم برقة . ولم يحاول

روميل إخفاء صدمته من الطريقة المثيرة التي نهج عليها ويفل في تنسيق التعاون بين التشكيلات المدرعة والقوات الجوية والقوات البحرية . وكتب روميل إلى زوجته (لوسي) في اليوم ذاته رسالة جاء فيها :

عزيزتي الغالية لو ٦ شباط ، فبراير ، ١٩٤١

وصلت إلى مقر القيادة (في ستاتسن) الساعة ١٢,٤٥ ، وتقدمت إلى القائد العام ، ثم قابلني الفوهرر وجرت الأمور بسرعة ، ولحق بي متاعي إلى هنا ، غير أني لم أتمكن أن آخذ منه إلا ما هو ضروري جداً ، ولست بحاجة أن أقول لك إن فكري مضطرب جداً ، فهناك الكثير مما يجب عمله ، وقد تنقضي أشهر قبل أن تسير العجلة كما يجب لها أن تسير . وها هي إجازتنا قد اقتطعت من جديد . لا تحزني ، هكذا يجب أن نكون . وواجبي الجديد هو على درجة كبيرة من الأهمية .

عزيزتي الغالية لو ٧ شباط ، فبراير ، ١٩٤١

لقد نمت الليلة بمتاعي وثيابي . وهذه هي الطريقة التي بها أوصيت لعلاج آلام الروماتيزم(*) لدي الكثير مما يجب علي أن أعمله ، لأجمع كل شيء ، خلال الساعات القليلة التي بقيت أمامي .

وصل روميل إلى روما يوم ١١ شباط ـ فبراير ـ وقابل القائد الأعلى لقوات المغاوير ـ الجنرال غوزوني ـ وعرض عليه مشروعه

(*) كان روميل يعاني من آلام الروماتيزم . وقد نصحه طبيبه بأخذ العلاج والنقاهة في مصر عند وصوله إليها .

للدفاع عن خليج سرت ، والساحل ، فأظهر هذا حماسته للمشروع . ثم قابل رئيس هيئة أركان الجيش الايطالي ـ الجنرال رواتا ـ الذي كان قد تلقى أمراً بمرافقة رومل إلى ليبيا. وانتقل بعد الظهر بالطائرة إلى (كاتاني) لمقابلة قائد القوة الجوية العاشرة ـ الجنرال غيسلر ـ ، واستعرض معه آخر التطورات على مسرح العمليات الأفريقي .

ولم تكن هذه التطورات باعثة للطمأنينة ، فقد استولى (ويفل) على بنغازي ، ودمر في طريقه آخر الفرق المدرعة الايطالية جنوب هذه المدينة ، وأخذ في الاعداد لاجتياح طرابلس. وكان أسوأ ما في الموقف هو فقدان الثقة بامكانات الاعتماد على بقية القوات الايطالية لتنظيم دفاع قوي وحازم عن طرابلس . وهذا يعني أنه إذا ما تقدمت القوات الانكليزية واستولت على طرابلس ، فإن وصول قوات الدعم الألماني ـ بحسب ما هو مخطط له ـ سيأتي متأخراً جداً فكان لا بد من إيقاف الهجوم البريطاني ، والتحرك بأقصى سرعة ممكنة . والتمس رومل من الجنرال غيسلر ،برجاء ، أن يقذف في الليل بثقل طائراته للهجوم على (بنغازي)، ثم يقوم في صباح اليوم التالي (يوم ١٢ شباط ـ فبراير) بالهجوم على الأرتال الانكليزية التي كانت تتقدم إلى الجنوب الغربي من هذه المدينة . ولكن الجنرال غيسلر عارض اقتراح رومل بشدة ، لأن المستوطنين الايطاليين في هذه المدينة ـ وبينهم عدد كبير من الضباط ـ كانوا يمتلكون بيوتاً فخمة وقد جهزوها بالأثاث الفاخر ، وطلبوا إلى الجنرال غيسلر تجنب قصف المدينة أو التعرض لها ، لكن رومل رفض الأخذ بهذه الحجج .

وحصل رومل في الليل على موافقة هتلر بقصف القوات البريطانية . وما هي إلا ساعات قليلة حتى كانت القاصفات الألمانية في طريقها لقصف قوافل الامداد البريطانية المتجهة إلى بنغازي .

غادرت قوة الاستطلاع الجوي الألمانية مدينة (كاتاني) في الساعة العاشرة من يوم ١٢ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤١ وحطت على مطار طرابلس ، فيما غادر رومل المطار في الوقت ذاته ، وشاهد وهو في الجو أسراب طائرات الجونكر الألمانية وهي تحلق على ارتفاع منخفض حتى كأنها تلامس أمواج البحر ، وهي في طريقها لنقل الإمدادات المخصصة للقوات الجوية الألمانية ، في مطار كاستل ـ بنيتو إلى الجنوب من طرابلس .

ووصل رومل حوالي الظهر إلى هذا المطار ، فعلم فور وصوله باستقالة غرازياني من منصبه القيادي ، وتسليم هذه القيادة إلى رئيس هيئة أركانه ـ الجنرال غاريبولدي ـ

وعلم أيضاً أن الوحدات الايطالية قد انسحبت من مواقعها وهي ممزقة ، وأن الجنود قد تركوا وراءهم أسلحتهم وذخائرهم ، وحاولوا الوصول إلى طرابلس بمركبات النقل التي حملت فوق قدرتها على الاحتمال ، وأنهم أثاروا بانسحابهم قدراً غير قليل من الاضطرابَ والفوضى ، حتى أن بعضهم تبادل اطلاق النار مع البعض الآخر ، وأن الروح المعنوية للايطاليين في طرابلس متدهورة حتى أدنى درجاتها ، وأن القسم الأكبر من الضباط قد حزموا أمتعتهم ولا أمل لهم إلا بالعودة سريعاً إلى ايطاليا .

وأصبحت صورة الموقف قاتمة جداً أمام رومل الذي قابل (الجنرال غاريبولدي) في الساعة الواحدة بعد الظهر ، وعرض

عليه مشروعه للدفاع عن طرابلس ، وإقامة موقع دفاعي لحماية خليج سرت ، وعدم السماح بالتراجع ولو خطوة واحدة نحو الوراء ، واستخدام كل القوى الجوية المتوافرة لضرب البريطانيين مع استخدام كافة القوى المتوافرة لتنظيم الدفاع . لكن غاريبولدي لم يظهر حماسه لهذه الخطة ، وأخذ في إظهار الحجج عن ضعف الامكانات المتوافرة ، وعن طبيعة الأرض الصعبة للدفاع الخ . . . . فما كان من روميل إلا أن استقل طائرة استطلاع بعد الظهر ، وقام بجولة حول طرابلس ، فرأى المواقع الدفاعية الايطالية ، ورأى الأرض الرملية التي لا تساعد على تقدم المركبات أو الدبابات في كثير من المناطق ، والتي تشكل عائقاً طبيعياً أمام التقدم نحو المواقع الدفاعية الحصينة في طرابلس .

وعاد رومل من جولته الاستطلاعية وهو أكثر قناعة بتوافر القدرة للدفاع عن سرت وما حولها ، فقابل غاريبولدي ، بحضور رئيس هيئة الأركان الايطالي ـ الجنرال رواتا ـ الذي قام بدعم رومل وأجرى الاتصالات مع روما لاصدار الأوامر باسم الدوتشي .

وهكذا أمسك رومل بالموقف في قبضته ، وأكره القيادة الايطالية في ليبيا على قبول مشاريعه ، وتولى القيادة رغماً عنها ، وشرع بالتعاون مع القوات الجوية الألمانية التي بذلت كل ما تستطيعه من جهد لإخراج رومل من مأزقه، فزجت طائراتها للعمل في الليل والنهار إلى أن تمكنت من إيقاف تقدم قوات ويفل أمام (العقيلة). وقام رومل بعد بضعة أيام بزيارة للمواقع الدفاعية التي أعاد تنظيمها ، فوجد القوات الايطالية وقد استعادت الثقة بقدرتها .

وفي يوم ١٤ شباط ـ فبراير ـ وبناء على إلحاح هتلر ، توجهت

أول فـرقة إيطاليـة إلى (سـرت) وفي اليوم ذاتـه ، كـانت الانسـاق الأولى من القوات الألمانية قد بدأت بالانـزال على أرض طـرابلس ، فأمر رومـل بالاسـراع في عملية الإنزال ، وأن تستمر هـذه العملية طوال الليل ، للإفـادة من ضـوء القمر ، فـأمكن بذلـك إنزال ستـة آلاف طن ، وتم نقلها بعيداً عن الساحل لتجنب إغـارات طائـرات سلاح الجو الملكي البـريطاني . وفي السـاعة الحـادية عشـرة من نهار اليـوم التالي ، كـانت القوات الألمـانية وقـد وقفت بـأسلحتهـا وهي جـاهزة للمعـركة ، أمـام قصر الحكومـة . وارتفعت الروح المعنـوية للايطاليين ولسكان طـرابلس ، وبعد يـومين (١٦ شبـاط ـ فبرايـر) كانت القوات الألمانية قد احتلت مواقعها المتقدمة جنباً إلى جنب مع القوات الايطالية . وكتب رومل إلى زوجته (لوسي) .

عزيزتي الغالية لو ١٤ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤١

تتطور الأمور قدر المستطاع نحو الأفضل ،ولي أمل في الوصـول إلى تسيير هذا الجهاز الحربي.صحتي جيدة ، وبإمكـانك عـدم القلق من هذه الناحية . العمل هنـا ضخم ، وقمت بجولـة على الأمكنـة جميعها ، وعيناي مفتوحتان جيداً .

عزيزتي الغالية لو ١٧ شباط فبراير ـ ١٩٤١

تسـير الأمور بشكـل رائع بـالنسبة لي ولمن معي ، تحت هـذه السماء . ووجدت طريقة ناجحة جداً للتفاهم مع القيادة الايطالية ، وليس بالمستطاع توقع تعاون أفضل . وقد وصلت قواتي إلى خـطوط الجبهة ، التي دفعت مسافة ٥٠٠ كم تقريباً نحو الشرق ، وما يهمني الآن هو وصول بقية القوات .

أصبح من عادة رومل أن ينطلق بطائرته يومياً ما بـين الجبهة

وطرابلس ، لاكتساب المزيد من المعرفة عن طبيعة الاقليم . وكان يرقب انتظام قوافل الامداد اليومية والتي كانت تنقل إلى الجبهة أرتال القوات الألمانية أو الايطالية . أما الامداد بالمواد التموينية ، فقد لجأ رئيس الشؤون الادارية لنقلها بالزوارق الصغيرة التي كانت تسير على امتداد الساحل وذلك للتخفيف عن مركبات النقل العسكرية التي كانت واقعة تحت ضغط كبير بسبب الافتقار للخطوط الحديدية والتي أهمل الايطاليون قضية مدها على طول الساحل ، والتي كان باستطاعتها لو انشئت أن تسهم إلى حد بعيد في نقل القوات والامدادات .

ولما كان رومل بحاجة لكسب الوقت ، فقد لجأ إلى الحيلة من أجل خداع البريطانيين عن الحجم الحقيقي لقواته وحملهم على اتخاذ المزيد من تدابير الحذر . فأمر بصنع عدد كبير من هياكل الدبابات في مصنع كان يقع إلى جنوب طرابلس وعلى بعد خمسة كيلومترات منها ، ثم ركبت هذه الهياكل على السيارات الألمانية الشعبية ، فولكسفاغن ، فكانت أشبه ما تكون بالدبابات الحقيقية . وقام رومل يوم ١٧ شباط ـ فبراير ـ بجولة تأكد خلالها من توقف كل نشاط للقوات البريطانية ، وهدأت مخاوفه من احتمال القيام بهجوم على طرابلس .

وفي اليوم التالي (١٨ شباط ، فبراير) وجه إغارة للتأكد من الوحدات البريطانية الجديدة التي انتشرت بين العقيلة وأجدابيا ، ووجه إغارة ثانية يوم ٢٤ شباط ، فبراير . ونجحت هذه الإغارة في تدمير ثلاث مركبات مدرعة ومدفع رشاش ، وعادت بثلاثة أسرى بينهم ضابط انكليزي . واستمرت مثل هذه الانشطة ورافقتها عمليات زرع ألغام في النقاط الخطرة والتي تسمح بتحرك الآليات .

وكتب رومل الى زوجته :

عزيزتي الغالية لو **٥ آذار ـ مارس ـ ١٩٤١**

عدت من جولتي ـ بالطائرة ـ والتي استمرت طوال يومين ، وشملت خطوط الجبهة وقد تقدمت حتى مسافة ٧٢٠ كيلومتراً إلى الشرق ، وتتطور الأحداث بشكل رائع . وقد يكون من المحال ابتعادي عن هنا في الوقت الحاضر ، لما يقع على عاتقي من المسؤولية . فكثير من الأشياء باتت مرتبطة بعملي وبمبادأتي الشخصية . وأرجو أن تكوني قد تسلمت بعض رسائلي . إن قواتي تسير على الطرق ، والسرعة هنا هي أفضل ما يمكن الاعتماد عليه . المناخ يلائمني تماماً ، ولقد امتد نومي هذه الليلة حتى الساعة السادسة صباحاً . وقد عرض اليوم فيلم (انتصار في الغرب ـ وهو يصور اجتياح فرنسا سنة ١٩٤٠) وحضر العرض عدد كبير من المدعوين ومعهم زوجاتهم . وأعلنت بعد انتهاء العرض أننا في سبيلنا لتحقيق (نصر في أفريقيا) . وكانت عملياتنا في المقطع بهدف حمل البريطانيين على مزيد من الانسحاب نحو الشرق ، وأفترض أنهم يعملون حالياً على تجميع **قواتهم الرئيسة حول أجدابية ، وعلى امتداد** الساحل حتى درنه .

حاول البريطانيون إعاقة وصول القوات الألمانية إلى ليبيا ، سواء بقواتهم البحرية أو بطائراتهم التي أغارت على طرابلس ، غير أن المحاولات البريطانية باءت بالفشل . وفي ١١ آذار ـ مارس ـ انتهى إنزال اللواء الخامس البانزر المجهز بمائة وعشرين دبابة ، منها ستين دبابة حديثة جداً ، أثارت اعجاب الايطاليين واهتمامهم . وكان لدى الايطاليين فرقة دبابات ، جهزت بثمانين دبابة ، وهذا

هـو ما كـان لـدى رومـل حتى الآن ، فقـام بنقـل مقـر قيـادتـه إلى (سـرت) حـتى يصبح أكـثر قـربـاً من الجبهـة ، ثم قـام يـوم ١٣ آذار ـ مـارس ـ بجولتـه الاستطلاعية اليومية ، وجابهته عـاصفة (القبلي) التي كادت تدمر طائرته ، بعدما دمرت احدى الطائرات ، لكن مهارة الطيار أنقذته . وكانت تجـربة جـديدة لـرومل في معـرفة الصحراء ؛ فقد كانت الرياح العاصفة تحمل حبيبات الرمـل لتنقلها كما تحمل سيول الأمطار . وكان من المحال التحـرك أو النظر لمسـافة قـريبـة ، وكـان من الصعب حتى التنفس في وسط الغبـار .

ركب رومل الطائرة يوم ١٩ آذار ـ مـارس ١٩٤١ ، ولم يتوجـه كعادته إلى الجبهة ، وإنما توجه إلى ألمـانيا ، فقد كان عليه تقديم تقريره لهتلر ، وتلقي تعليمـاته الجـديـدة ، وقـد قلده هتلر بهـذه المنـاسبـة أوراق البلوط على وسامه الحديـدي اعترافـاً بجهوده في قيـادة فرقـة البانزر السابعة . وقال له القائد الأعـلى ـ براوختش ـ أنـه من غـير المتوقع في الظروف الراهنة حدوث أعمال قتالية حاسمة على المسرح الأفريقي ، ولهذا فإنه من غـير المحتمل ارسـال دعم جديـد لقوات أفريقيا ، وأن على رومل عندما تصله الفرقة ١٥ ـ البـانزر ـ في نهايـة شهر أيار ـ مايو ـ الانتقـال إلى الهجوم لتـدمير القـوات البريـطانية في أجـدابيـة . حيث يصبـح بـالمستـطاع متـابعـة التقـدم إلى بنغـازي للاستيلاء عليها .

خـرج رومل من هـذه المقابلة وقـد ملأ الغيظ صـدره ، فقـد عرف أن واجبه هو استعادة برقة بكـاملها ، وإخـراج البريـطانيين ، بقواته الهزيلة ، وكان يأمل في الحصول على دعم كـاف يتناسب مـع أهميـة الـواجب ومـع اتسـاع مسـرح العمليـات ، لا سيـما وأن البـريطانيـين سيعملون بسرعـة إذا ما تم تـدمير قـواتهم ، إلى جلب

قـوات جديـدة وبتشكيلات أكبـر . وقـال رومـل : « إذا لم نستثمر ضعف الانكليز في الشرق الأوسط ، خلال المرحلة الـراهنة ، فإننا قد نفقد المبادأة بصـورة نهائية ».ولكن لم يكن باستطاعة رومل إلا أن ينفـذ ما أمـر بتنفيذه في حـدود الامكانـات المتوافـرة لـه . فعـاد إلى طرابلس وهو مثقل بالهموم .

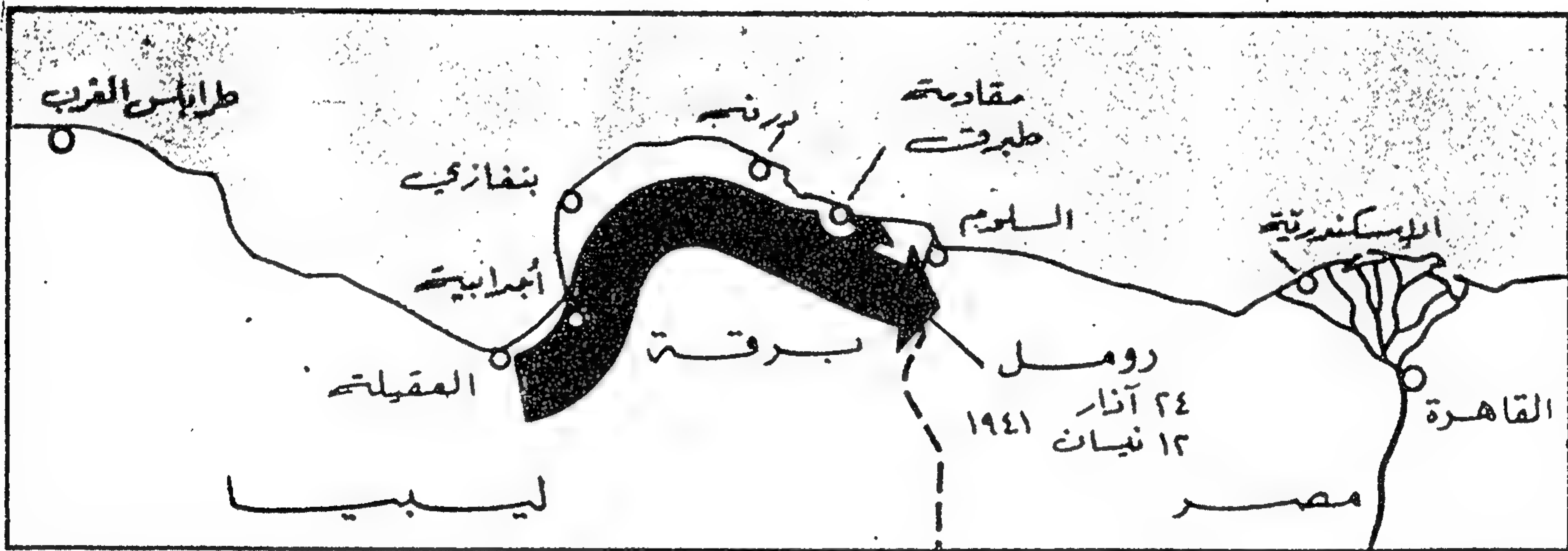
كان رومل قد أصدر أمره قبل زيارته القصيرة لألمانيا بالإعداد للإغـارة عـلى العقيلة ، بهـدف الاستيـلاء عـلى المـطار ، وتـدمـير الحامية ، فلما رجع من زيارته نفذت الإغارة في الساعات الأولى من صباح يوم ٢٤ آذار ـ مارس ، وتم الاستيلاء عـلى العقيلة ، وكتب رومل :

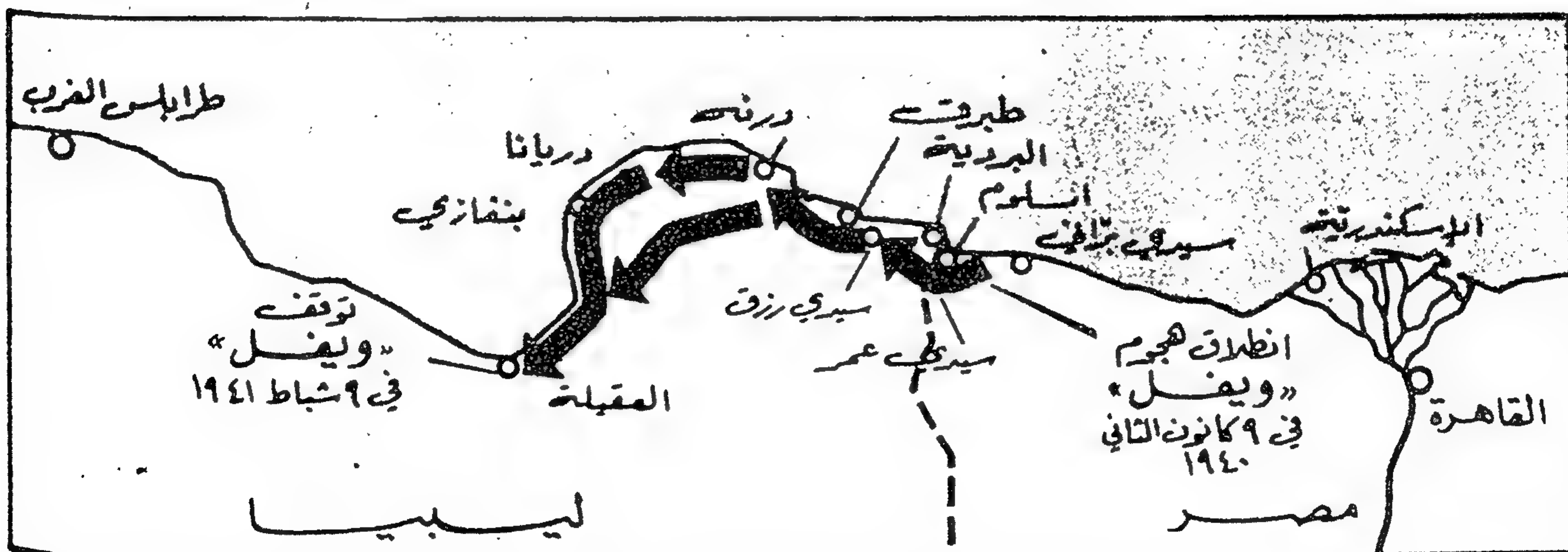
عزيزتي الغالية لو **٢٦ ـ آذار ـ مارس ـ ١٩٤١**

قضينا أيامنـا الأولى على شـاطىء البحر ، إنـه مكان رائـع ، وإنني في عـربتي الفـاخـرة وكـأنني في فنـدق . نسبـح في الصبـاح ، والطقس دافىء إلى درجة ممتعة . وأقيم في خيمة قريبة من خيمة هيئة أركاني ، ونصنع القهوة في الصباح بـأوعيتنا الخـاصة بـالطبـخ وطهو الطعام . وقدم لي بالأمس جنرال ايطالي هـدية هي (بـرنس) جميل بلون أزرق مـوشى بـالحـريـر الأحمـر ومـطرز ، سيصلك قـريبـاً ، وبإمكانك الخروج به إلى المسرح . . . لقد عدت من الجبهة ، وعلي أن أكبـح جماح جنـودي حتى لا يـوغلوا في تقـدمهم . ولقـد احتلوا موقعاً جديداً متقدماً نحو الشرق بمسـافة ٣٠ كيلومتـراً عن سابقـه ، وتوجد بعض الألغام المستطيلة بين مواقع أصدقائنا الايطاليين .

أصبح الهجوم على (**مرسىٰ البريغا**) هو الهدف الأول وذلـك تمهيـداً للهجوم عـلى القـوات البـريـطانيـة المتمـركـزة في قـطاع

(أجدابية) . وكـانت القوات البـريـطانيـة قـد احتلت المـرتفعـات المسيـطرة على مـرسى البريغـا وأخذت في تحصينها بالخنادق وسيـاج الأسـلاك الشائكـة والألغام . وكـان أمام رومـل أحد خيـارين فإمـا الهجوم بالقوات المتوافرة لديه وعدم إتاحة الفرصة أمـام البريـطانيين لتنظيم مواقع قوية ، وإما انتظار وصول قوات الدعم مـع ما يـرافق ذلك من احتمال معـدل الخسائـر في قواتـه . وفضل رومـل الهجوم (في وقت مبكر جداً) عن الانتظار إلى (وقت متأخر جداً) . وبـدأ بـالهجوم في السـاعات الاولى من يـوم ٣١ آذار ـ مـارس ـ ودارت معـارك طاحنـة استمـرت طـوال النهـار ، وانتهت بـالاستيـلاء عـلى (مـرسى البريغـا) وغنمت القوات الألمـانية خمسـين مدرعـة خفيفـة (بـرن) . وثلاثـين مجنزرة . وأسـرع رومل لاستثمـار النصر فدفـع





قواته للاستيلاء على (**أجدابية**) وأمكن احتلالها بعد معركة قاسية ، إلا أنها قصيرة . وأصبح لدى رومل بذلك قاعدة متقدمة لهجوم قادم ، مع توافر المياه العذبة في هذه القاعدة .

نجح رومل في خداع ويفل عن قواته الحقيقية وحجمها ، ولهذا قدر الانكليز أن حجم أعدائهم هو أكبر بكثير من واقعها ، فتابعوا انسحابهم متجنبين الصدام في معركة حاسمة ، وكان كل ما وقع في قبضة رومل من البريطانيين لم يتجاوز الثمانمائة أسير ، فقرر رومل الافادة من خطأ تقدير خصمه ، ومتابعة الضغط عليه . واختار لتحركه أصعب الطرق (مثل طريق الموت ـ كما كان يسميه الايطاليون ـ ما بين أجدابية وجفر الماطر) ، وركز اهتمامه لتأمين الامداد بالوقود لمتابعة التحرك نحو بنغاري حيث توافرت المعلومات عن قيام البريطانيين بالجلاء عنها .

ولما عاد رومل من جولته الشاقة في الساعة السادسة مساء ، وقد أنجز استعداداته لواجب اليوم التالي، وجد الجنرال غاريبولدي في انتظاره ، وبادره بتوبيخه على تقدمه السريع ، وإهمال تدابير الحيطة والحذر ، وأعلمه أنه لن يسمح بالتقدم مجدداً إلا بعد الحصول على موافقته . ودافع رومل عن وجهة نظره ، وضرورة الافادة من الموقف حتى الحدود القصوى . وارتفعت حدة النقاش ، واستمرت لفترة طويلة . وقرر (غاريبولدي) العودة إلى القيادة الإيطالية في كل تحرك جديد . وخدم الحظ رومل ، فقد وصلته في تلك اللحظة برقية القيادة الألمانية العليا بإعطائه كامل الحرية للتحرك في عملياته وفقاً لتقديراته . لم يبق أمام (غاريبولدي) إلا الانسحاب خائباً .

وقامت القوات الألمانية في ليل ٣ ـ ٤ نيسان ـ أبريل ـ باقتحام بنغازي وسط هتاف الأهلين وترحيبهم ، فيما كانت الحرائق لا تزال مشتعلة في خزانات الامدادات والتي أحرقها الانكليز قبل جلائهم عن بنغازي . وكتب رومل :

عزيزتي الغالية لو ٣ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١

نتابع الهجوم منذ يوم ٣١ آذار ـ مارس ـ ونحقق انتصارات مدوية ، وأجابه معارضة قوية وسط القيادة الايطالية في طرابلس وروما وربما في برلين أيضاً . وقد قبلت احتمال أخطار المجازفة في تجاوز الأوامر والتعليمات ، لأن الظروف تبدو لي مناسبة . وقريباً ستصدر تصريحات بأنه كان عملاً جيداً ، وقد يقول كل واحد أنه كان سيفعل ما فعلت لو كان مكاني . لقد حققنا هدفنا الأول ، والذي كان من المفروض ألانحققه قبل منتصف أو نهاية شهر أيار ـ مايو ـ . وفقد البريطانيون توازنهم فشرعوا بالانسحاب وخيراً ما فعلوا . خسائرنا زهيدة ، ومن المحال تقدير ما حصلنا عليه من الغنائم . وستدركين أنني لا أنام أبداً ، من الفرح . . .

عزيزتي الغالية لو ٤ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١ .

لقد بعث لي الفوهرر بتهنئته لهذه الانتصارات غير المتوقعة ، كما أرسل لي تعليماته للعمليات القادمة ، وهي تعليمات تتطابق تماماً مع أفكاري . لقد اتسع أفق ميدان العمليات ، وبات باستطاعتنا الآن تنفيذ مناوراتنا .

عزيزتي الغالية لو ٥ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١ .

انطلقت في هذا الصباح منذ الساعة الرابعة صباحاً ، والجبهة

في حـركة مستمـرة . وأملي كبـير أن تنجح ضـربتنا الكبـرى الآن . أتابع العناية بصحتي ، الحيـاة هنا بسيـطة وهي تلائمني بـأفضل مما كـانت تـلائمني الحياة في فـرنســا الغـاليــة . كيف حـالكـما أنتـما الاثنين ؟ . . .

كـان رومل خـلال هذه الأيـام الحاسمـة يتقـدم إلى الأمـام ، ليوجه القوات نحو أهدافها ، وليحـدد لها واجبـاتها ، وليشـرف على تنـظيمها ، ثم يعـود إلى المؤخرة لـدفع قـوات المشاة المحمـولـة حتى تلحق بـالقوات المتقـدمة ، مـع تعـديـل خط سـير القـوات لتحقيق واجبات متتالية في أوقات مختلفة ، أو حشدهـا ضد هـدف رئيسي . وإعادة تنظيم القوات باستمرار للمحافظة على وتيرة عاليـة في التقدم والهجـوم ، إلى جـانب الاشـراف عـلى التـأمـين الإداري للقــوات وإمدادها بـالوقـود والذخـائر خـاصة بسبب الاستهـلاك الكبير لهـذه المواد . وقد جابه رومل نتيجة ذلك مآزق صعبة ومواقف خطرة ، إذ كان عليه أن يتنقل طوال النهار والليل ـ بالطائرة والسيارة ـ وقد علم بتحرك القوات البريطانية لاخلاء بـرقة والجـلاء عنها ، فـدفع قـواته المدرعة وقوات الاستطلاع للتحرك بسرعة حتى لا يتيح للبريطانيـين فـرصة التـوقف أو تنظيم الـدفاع . وحـدد للقوات المتقـدمة واجب الاستيـلاء عـلى (المخيلة) . واصــطدم رومـل مــرات بـالقــوات الانكليزية ، وتمكن من النجـاة في كل مـرة بفضل سـرعة تحـركه ، ومجابهته للموقف بحزم . وكثيـراً ما تـاه وسط الصحراء ليجـد نفسه عند بزوغ الفجر وراء القوات البريطانية ، وعلى مسافة قريبة منها . كما ضاعت منه وحدات كثيرة ، الأمر الذي كان يرغمه عـلى متابعـة

البحث عنها بالطائرة ثم الهبوط بالقرب منها ، وتوجيهها نحو هدفها .

وهكذا ، وخلال بحث روميل عن احدى وحداته هبط بالقرب من وحدات انكليزية ، وكاد يقع أسيراً في قبضتها لولا أن تبين له الموقف بسرعة ـ من شكل خوذة جندي ـ فأسرع للاقلاع ، وأطلق الانكليز عليه النار ، وأصابوا طائرته ، غير أن الإصابة لم تؤثر على سير الطائرة ، وتابع روميل بحثه . ولم يكن هذا هو كل ما جابهه روميل من أخطار ، بل إن إحدى الوحدات الايطالية ، وجهت نيرانها إلى طائرته (يوم ٨ نيسان ـ ابريل) وكانت نجاة روميل من الموت المحقق أعجوبة حقاً . وكتب روميل إلى زوجته :

عزيزتي الغالية لو ٨ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١ .

أجهل تماماً ما إذا كان هذا الموعد جيداً . فنحن نقوم بالهجوم منذ أيام وأيام عبر الصحراء الواسعة ، ونفقد في هذه اللعبة كل إحساس بالزمن والمسافات . وتتطور الأمور بسرعة كبرى ، كما تعرفينها من خلال الأخبار ، وسيكون اليوم أيضاً نهاراً حاسماً . فقد اندفعت كتلة قواتنا الرئيسة للهجوم بعد مسير مسافة ٣٥٠ كيلومتراً عبر الرمال والصخور الصحراوية . وقد انطلقت بالطائرة بحثاً عن القوات ووجدتها ، وقد يكون من الصعب عليك تصور مدى فرحي . وستكون هذه معركة مشابهة لمعركة (كاني) ولكن باسلوب جديد .

صحتي جيدة ، ولا تقلقي .

استولت قوات رومل على (المخيلة) بعد قتال نهار شاق (يوم ٨ نيسان ـ أبـريل) وأَسرعت قوات الاستطلاع للمـطاردة ، فأسـرت عـلى طريق المخيلة دونـه ، قـوة من ثمانمـائة انكليـزي ومعهم جهاز القيادة البريطاني . فكان في جملة الأسرى قائد القوات الانكليزية في مصر ـ الجنرال نيم ـ والقائد البريطاني الأعلى ـ اوكنوز ـ . ثم تابعت القوات الألمانية المتقدمـة سيرهـا السريـع نحو (طبـرق) . وبذلـك استعاد رومل السيطرة على برقة . وكتب إلى زوجته .

عزيزتي الغالية لو ١٠ نيسان ، ابريل ، ١٩٤١ .

وصلت مسـاء أول أمس إلى البحـر بعـد مسيـرة طـويلة في الصحـراء . ويخيل لي أنـه أمر رائـع أن نصل إلى هنـا بـالـرغم من مقاومة الانكليـز . إنني على أفضـل حال . وصلت عـربة السيـاحة أخيراً (كارافان) وكل أملي هو أن أستطيع النوم فيها من جديد .

أصبحت (طبرق) هي الهدف الجديد لقوات رومل . وكـان القائد البـريطاني (ويفل) قد قـرر الدفـاع عن طبرق بـأي ثمن ، والافادة في ذلك من تحصينـاتها الـدفاعيـة القويـة ، ومن توافـر الماء فيها ، ومن امكانـات دعمها وامـدادها عن طـريق البحر . ومقـابل ذلك ، صمم رومل على انتزاعها حتى لا تبقى موقعاً يهدد مؤخـراته عند تقدمه نحو مصر ، بالإضـافة إلى رغبته في الافـادة من موقعهـا الاستراتيجي للهجوم على مصر وللدفاع في حالة التراجـع ، مع مـا يتوافر لها من مميزات بحكم موقعها على البحر ، وبحكم توافر الميـاه فيها . ولهذا جمع عناصر قيادته في يـوم ٩ نيسان ـ أبـريل ـ وأوضـح لهم مخططه للهجوم ، وكلف القوات بمهامها المتنوعة وواجباتها .

وفي الساعات الأولى من يوم ١٠ نيسان ـ ابريل ـ بدأ الهجوم على طبرق . ولكن هذا الهجوم فشل أمام مقاومة الحامية البريطانية المدافعة عن المدينة . فنظم رومل الحصار على طبرق في يوم ١١ نيسان ـ ابريل ـ وفي الساعة ١٦,٣٠ من اليوم التالي (٤/١٢) شنت القوات الألمانية والايطالية هجوماً ثانياً ، غير أن المدفعية البريطانية والمدفعية المضادة للدبابات نجحت في إيقاف الهجوم وتبين لرومل أن الخنادق والتحصينات الدفاعية المحيطة بطبرق هي أكثر عمقاً وأكثر اتساعاً مما كان يعتقده .

وفي يوم ٤/١٣ قامت قوات رومل بهجوم جديد ، وأمكن لها الوصول إلى تقاطع (سيدي محمود) ، غير أن الهجوم توقف عند هذا الحد بسبب المقاومة العنيدة للبريطانيين .

وفي يوم ٤/١٤ نظم رومل هجوماً قوياً أمكن بواسطته تدمير بعض أعشاش المقاومة ، وإحداث خرق محدود ، غير أن البحرية البريطانية تدخلت بمدفعيتها الثقيلة ، فأحبطت الهجوم ، غير أن رومل لا زال يأمل في الاستيلاء على طبرق . وكتب إلى زوجته :

عزيزتي الغالية لو الساعة ٣,٣٠ يوم ١٤ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١

قد نشهد اليوم نهاية معركة طبرق . ولقد أظهر البريطانيون عناداً كبيراً في القتال ولديهم مدفعية ضخمة ، ونحن نقوم الآن بالهجوم على مواقعهم . لقد خرجت معظم قواتي الآن من الصحراء

بعد أن أمضت فيها مدة خمسة عشر يوماً . وحقق جندنا انتصاراً على عدوهم وانتصاراً على الطبيعة . ووجدنا هنا ما يكفي من المياه . . .

وعاد رومل فكتب إلى زوجته يوم ١٦ نيسان - أبريل - ١٩٤١ .

« هدأت معركة طبرق قليلاً ، وأبحرت بعض قوات العدو ، ولي أمل أن تنتقل القلعة إلى قبضتنا قريباً ، وقد نجد عندها فرصة للاستراحة قليلاً . لقد حققنا بأعدادنا القليلة نتائج ضخمة ، حولت موقف هذه الحملة تحويلاً كاملاً . تنقل مستمر وكثير من العمل » .

وتكررت الهجمات اليومية ، وخاب أمل رومل في الاستيلاء على طبرق . واحتملت القوات الألمانية - الايطالية خسائر فادحة ، حتى أن بعض الوحدات الايطالية أبيدت إبادة شبه كاملة ، فتدهورت الروح المعنوية للايطاليين ، في حين استطاعت الوحدات الألمانية المحافظة على رصيدها المعنوي .

وخرج رومل يوم ١٩ أيلول - سبتمبر - قاصداً (البردية) فشاهد على طرفي الطريق أكداساً من الأعتدة الايطالية ، كان قد تركها غرازياني منذ أشهر ، فأمر رومل بجمعها على الفور في البردية . وعندما هبط الليل ، قام البريطانيون بانزال قوة من المغاوير للقيام بأعمال التخريب ، فتم أسرهم جميعاً مع قائدهم (وكان عددهم ٥٦ رجلاً) .

وفي طريق عودة روميل ، ولما يبتعد عن البردية بأكثر من خمسة عشر كيلومتراً ، هاجمته طائرات بريطانية كانت تحلق على ارتفاع منخفض ، فقتل سائقه ، وقتل سائق الدراجة النارية المرافق له ، كما جرح سائق مركبة القيادة المرافقة له ، فتولى روميل قيادة سيارته بنفسه ، وعاد إلى مقر قيادته قرب طبرق . وكتب روميل .

عزيزتي الغالية لو ٢١ نيسان - أبريل - ١٩٤١

هدأت الأمور نسبياً ، وأستطيع أخيراً جمع بعض أفكاري بعد ثلاثة أسابيع من الهجوم ، وكانت هذه الأسابيع الأخيرة مرعبة حقاً . ولدينا الأمل الآن بمهاجمة طبرق بأفضل مما كان في السابق . اننا موجودون الآن في جوف صخرة ، وقد تناثرنا بسبب قصف الطائرات البريطانية بنشاط مكثف ، ونحاول تسوية الأمور بشكل أفضل على الجنب الآخر - من طبرق - ولكن القوى في حالة من التوازن . ونتساءل ما إذا كان البريطانيون سيجلبون في كل يوم قوات جديدة .

وكتب مساعد روميل - الرائد شرابلر - رسالة في اليوم التالي إلى زوجة روميل ، جاء فيها .

العزيزة السيدة روميل ٢٢ نيسان - أبريل -

أعتقد أن إرسالي برسالة لك قد يسبب لك صدمة . وقد قبلت احتمال المجازفة لأطمئنك بأن كل شيء على ما يرام بالنسبة لزوجك العزيز ، الذي يفتقد لما يكفي من الوقت حتى يكتب إليك خلال هذه الأيام الأخيرة ، حيث كان مثقلاً جداً بأعباء العمل . وأملنا جميعاً هو ألا نصل إلى طبرق فقط ، بل أن ننطلق منها إلى

الشرق في اللحظة المناسبةالتي تبدو بعيدة المنال . فالقوات الألمانية قليلة جداً ، ولا يمكن الاعتماد بشيء على الايطاليين . إنهم لا يريدون التقدم أبداً ، وإذا ما شعروا بالخطر ، فإنهم يولون الادبار عند سماعهم لأول طلقة . وما إن يظهر لهم أول جندي انكليزي ، حتى يرفعوا أيديهم إلى الأعلى - ويستسلمون - وتعرفين بذلك سيدتي مدى الصعوبات المتزايدة التي يعانيها زوجك في قيادته . غير أني على ثقة بانك في اللحظة التي تصلك فيها هذه الرسالة ، حتى تسمعين الأنباء الخاصة عن سقوط طبرق ، وعندها ستعود الحركة إلى سابق عهدها .

اننا نقيم الآن في ملجأ صخري ، يصعب على الطائرات المعادية الوصول اليه . ولدينا بعض الطائرات المطاردة الألمانية التي تجابه القاصفات البريطانية الضخمة ، وتقوم بالتحليق فوق القوات البريطانية على ارتفاع منخفض . وقد تلقى زوجك وعداً بدعمه بطائرات جديدة .

اننا لا نعيش هنا كما كنا نعيش في فرنسا ، إلا أننا لسنا في وضع سيء . فالأغذية والمواد التموينية التي استولينا عليها من الانكليز قد حسنت كثيراً من طعام الجيش . وباستطاعتك أن تكوني على ثقة من أن حاجب الماريشال رومل - غنشر - يبذل قصارى جهده للعناية بزوجك ، ورعاية شؤونه وأشعر بفرحة كبيرة لاستلام زوجك لقطار من العربات الايطالية ، والتي تستطيع أن تؤمن له بعضاً من الراحة والرفاه ، وتحميه من البرد في الليل. ولا بد من الاعتراف بأن الايطاليين هم سادة هذا النوع من الترف . وقد نجد بديلاً لها في القاهرة .

لقد وصلنا العدد الأخير من مجلة (دازرايخ) وتضمن مقالاً عن زوجك ، لا شك أنك طالعتيه وقرأتيه . وقد علق عليه زوجك بكلمة كتبها على الهامش وهي (غباء) . وقد ناقشت مندوب وزارة الاعلام الموجود معنا في هيئة أركان الفيلق في موضوع المقال . ويعرف الألمان جميعاً مكانة زوجك السامية ، وأعماله الرائعة . ومن العبث أن يتطاول قلم غبي ليقص قصصاً مبتكرة في هذا الموضوع . (التوقيع) .

زوجتي الغالية لو　　　　　　　　　٢٣ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١

جرى بالأمس قتال ضار على جبهة طبرق . وكان الموقف صعباً ، ولكننا نجحنا في السيطرة عليه ، غير أنه يصعب الثقة بالايطاليين ، فلديهم حساسية بالغة من مشاهدة دبابات العدو . ولولا وصول وحدات ألمانية جديدة لما أمكن السيطرة على الموقف . قابلت بالأمس (غاريبولدي) ورئيس هيئة أركان الجيش الايطالي (رواتا) ! كما حضر الوزير الايطالي تيروزي هذه المقابلة ، حيث منحوني في احتفال فخم (وسام الشجاعة) الايطالي ، ووسام (الاستحقاق) أيضاً ، ولكن هذه الأشياء جميعها ليست ذات أهمية بالنسبة للحياة التي نعيشها هنا . إنني لم أنم إلا قليلاً خلال الأيام القليلة الماضية ، ولكن ها أنذا لا أزال أعمل من جديد بنشاطي الكامل . وعندما تسقط طبرق على ما آمله خلال عشرة أو خمسة عشر يوماً ، فسيصبح موقفنا صلباً جداً ، ويومها سننعم بالراحة لبضعة أسابيع قبل أن نستأنف عملا جديداً.

كيف أنتما ؟ . . يجب أن يكون لديك كوم من البريد في قاع البحر الأبيض المتوسط .

ملاحظة : لقد مر بنا عيد الفصح دون أن نشعر به ، أو نتذكره .

وعاد رومل للكتابة لزوجته يوم ٢٥ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١ :

لا تزال جبهة طبرق ساخنة جداً . وسأكون سعيداً لو وصلت وحدات جديدة ، لأن خطوط جبهتنا هي خطوط رقيقة جداً في هذه الجبهة الواسعة والمواجهة للقلعة . ولم أشعر بالقلق ـ من الناحية العسكرية ـ قدر ما أشعره خلال هذه الأيام الأخيرة . وعلى كل حال ، فقد تتغير الأمور عما قريب . لقد بات بالمستطاع الآن تسوية الأمور في اليونان بسرعة ، وباستطاعتهم مساعدتنا بقدر أكبر من قبل . وقد يصل (باولوس)[1] خلال الأيام القريبة القادمة ، فالقتال على جبهة مصر والقنال اكتسب الآن أهمية متعاظمة ، ويدافع خصمنا العنيد بكل قواه . . .

وكتب رومل إلى زوجته يوم ٦ أيار ـ مايو ـ ١٩٤١

لم أجد نهار الأمس فرصة للكتابة إليك بسبب وفرة العمل ، فقد تعرضنا خلال الأيام الماضية لعاصفة الرياح القبلية التي أرغمتنا على البقاء في المجنبات ، ويظهر أن الطقس الآن آخذ في التحسن التدريجي . لقد عاد باولوس من زيارته لنا . . . بتنا نعاني كثيراً من نقص المياه في طبرق . ولدي أمل في أن يساعدنا قصف طيراننا

---

(١) باولوس ، فريدريك : (PAULUS ,FRIEDRICH) ماريشال ألماني ، ولد سنة ١٨٩٠ م وأصبح قائداً للجيش السادس ، وأسره الروس على جبهة ستالينغراد سنة ١٩٤٣ م .

الانقضاضي على زيادة مخصصات المياه . تتزايد درجة الحرارة حدة يوماً بعد يوم ، وأصبح العزاء بالنسبة لنا هو في انتظار قدوم ساعات الليل ـ بما تحمله من برودة ـ ، ولقد أخذ كل واحد منا جرعة من العطش ـ الظمأ ـ لا يمكن إطفاؤها .

كان (فون باولوس) قد أعلن عندما جاء لزيارة رومل في أفريقية ، بأن التقدم السريع ، وغير المتوقع ، لرومل في برقة هو الذي أرغم القيادة البريطانية على سحب قواتها من اليونان ، وأن هذا لم يكن في تقدير القيادة الألمانيا أو في حسابها .

وعلق رومل على هذا بالاعلان أنه لم يكن على علم بمخططات القيادة العليا أو أهدافها فيما يتعلق بالحملة على اليونان . غير أن الهجوم الألماني على اليونان كان سيرغم البريطانيين على الجلاء إن عاجلاً أو آجلاً ـ على نحو ما فعلوه من قبل في دونكرك ـ وكان من الأفضل على كل حال لو لم يتدخل الألمان في اليونان ، وجعلوا من شمال أفريقيا مركزاً للثقل في عملياتهم مما كان سيساعدهم على طرد البريطانيين من حوض البحر الأبيض المتوسط . ومن أجل ذلك كان لا بد من إعادة حشد الطيران الذي خصص لليونان وتوجيهه لحماية القوافل البحرية ، وعدم إهمال أي جهد ، لنقل أكبر حمولة من المواد عبر البحر الأبيض المتوسط لدعمنا بها . وباستطاعة الوحدات الميكانيكية الآلية المتمركزة في قواعد أفريقيا أن تحتل جميع سواحل هذا البحر ، فتعزل بذلك أوروبا عن الجنوب ـ الشرقي . وستضطر اليونان ويوغوسلافيا وكريت للخضوع عندما تعرف أنها معزولة عن كل دعم وامداد بريطاني . وعلاوة على ذلك فإن الخسائر التي قد تنجم عن هذه العملية والتي تسمح لنا بالهيمنة على البلقان وحوض

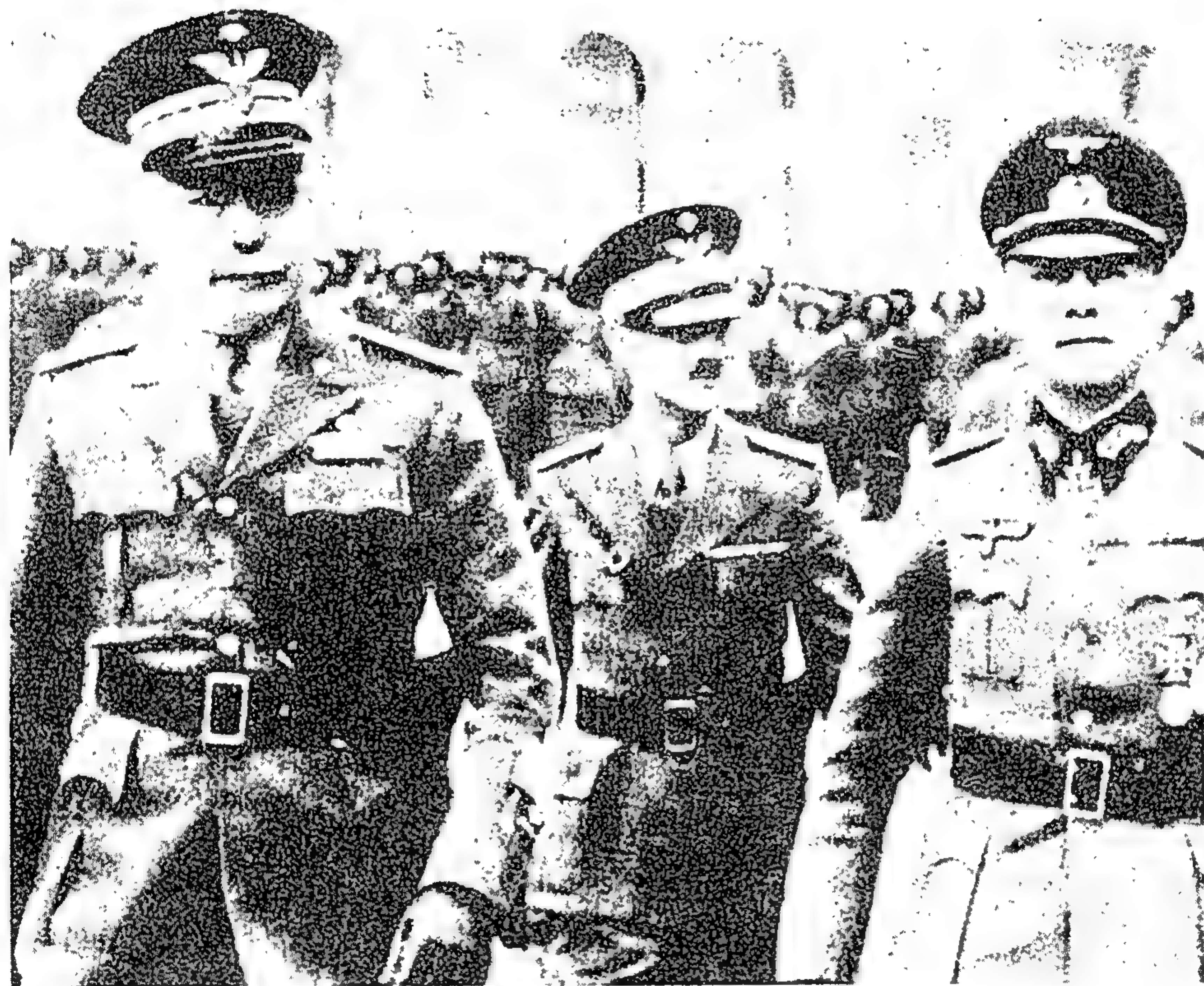
البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط ، ستكون يقيناً أقل بكثير من الخسائر التي تعرضنا لها خلال حملة الصيف في اليونان والبلقان وكريت وأفريقيا الشمالية . ولكن القيادة الألمانية العليا ترددت في زج قواتها على مسرح عمليات واسع لا بد وأن تمر إمداداته بالبحر ، **بالإضافة إلى أن الدوائر العسكرية تشبثت بمبادىء باطلة تجاوز الزمن ، وتصدت للمعارضة بوحشية ، متجاهلة أهمية الوصول إلى الشرق الأوسط ، وهو مركز الامداد الرئيسي بالبترول ، والقاعدة التي يمكن الانطلاق منها للهجوم على روسيا .**

تلك صورة لموقف رومل من قيادته ، وكان هذا الموقف وأمثاله تعبيراً عن متاعب رومل ، وكان لرومل متاعبه أيضاً مع حلفائه الايطاليين . فعندما اصطدم رومل بمقاومة (طبرق) دفع قواته لاحتلال **خط السلوم ـ حلفايا ـ البردية** ، وأمر بحفر الخنادق وتحصين المواقع ، وإقامة بعض نقاط الاستناد الدفاعية على امتداد الحدود المصرية . وبينما كان يقوم رومل بتفتيش المنطقة المحصنة في البردية ، وجد في الخنادق والتحصينات الهندسية الضخمة التي تخلى عنها جنود جيش الماريشال غرازياني قبل عام ، كمية ضخمة من الأعتدة والوسائط القتالية ، فأمر على الفور باستخراجها ، وجمع كافة المدافع واصلاحها . فتم بسرعة تشكيل عدد كبير من بطاريات المدفعية ، ووزعها رومل على المواقع الدفاعية ، وأقبل (غاريبولدي) فقال لرومل بأن هذه المدافع تخص الايطاليين ، وأنه لا يمكن أن يستخدمها غير الايطاليين . ورفض رومل طلب (غاريبولدي) .

وقد كان لهذه المدافع المضادة للدبابات من عيار

٨٨ مم دور كبير في الدفاع عن مواقع حلفايا والنقطة الساحلية ٢٠٨ ، حيث أمكن اخفاء هذه المدافع بعناية واستخدامها بمهارة بعد أن استخرجت من التراب ومن بين الانقاض ، ونسي (غاريبولدي) بأن السلاح جميع الناس تحمله ؛ وليس كل ذوات المخلب الأسد .

وقصة أخرى من متاعب رومل مع الايطاليين : لقد كان غرازياني عدواً لدوداً للعرب المسلمين في ليبيا . فلما هزمه البريطانيون ، تحرك عامل الثأر والانتقام في نفوس القبائل



وصول أروين رومل الى « طرابلس الغرب ». ويُرى في استقابله الجنرال الإيطالي « غاريبولدي ».

البدوية ، وبدأوا بالتحرك ، ولكن انتصارات رومل أخمدت بعض ثائرتهم . فجاء الجنود الايطاليون في ركب رومل ، وعاودوا نهجهم في استثارة العرب المسلمين والتحرش بنسائهم . فوقعت اشتباكات دامية ، وأسرع رومل فطلب إلى القيادة الايطالية بإلحاح

أن تأمر جندها بتجنب الاحتكاك بالمواطنين ، وذلك لتجنب اندلاع ثورة على مؤخرة القوات الألمانية ـ الايطالية . غير أن بعض أفراد فرقة (ترنتو) ارتكبوا جرائم ضد البدو ، فقام هؤلاء بذبح عدد من الجنود الايطاليين ، وأمسكوا بسلاحهم ، ورفضوا أوامر الايطاليين بالجلاء عن مناطقهم ومضاربهم . ولما كان من الصعب على رومل في مثل هذه الظروف معرفة المسؤولين عن مثل هذه الانتهاكات ، فإنه لم يبق عليه إلا أن يغمض عينيه ، وأن يترك للعرب المسلمين حرية التصرف بما يناسبهم .



بعد الاستيلاء على « بئر حكيم) رومل يصدر أوامره بالهجوم على (طبرق)

بقيت (طبرق) هي هاجس رومل ، فوضع مخططه على ضوء الموقف الجديد ، وشكل قوة قتالية واجبها احتلال مواقع محصّنة تحيط

بالمدينة وتعزلها . وشكل مجموعة ثانية واجبها احتلال السلوم ، ومجابهة أي انزال بريطاني محتمل في قطاع (بير حكيم ـ الغزالة ـ السلوم ـ سيدي عمر) .

وقد حاول البريطانيون التعرض للخط الدفاعي الذي نظمه روميل فهاجموا حلفايا ، والبردية صباح يوم ١٥ أيار ـ مايو ـ ونجحوا في احتلال حلفايا . ولكن روميل نظم هجوماً مضاداً طرد فيه البريطانيين من حلفايا يوم ٢٧ أيار ـ مايو ـ . وكتب روميل لزوجته (لوسي) :

عزيزتي الغالية لو ٢٦ أيار ـ مايو ـ ١٩٤١

تلقيت مساء الأمس صدمة قاسية من (براوختش) لأسباب أجهلها تماماً . ويظهر أن تقاريري التي أرسلتها إلى القيادة وشرحت فيها الموقف على حقيقته لم تناسب أذواقهم ، وهم يريدون أن تبقى أفواهنا مغلقة ، وأن نكتفي بارسال تقارير موجزة جداً . وليس لنا إلا أن نعزي أنفسنا بشرب قدر كبير من البيرة البافارية . وفيما عدا ذلك ، فقد أصبح كل شيء هادئاً هنا على الجبهة القريبة من السلوم ، ولا أعرف ما إذا كان هذا الهدوء هو الصمت الذي قد يسبق هبوب عواصف جديدة .

وكتب روميل رسالة أخرى يوم ٢٩ أيار ـ مايو .

سيحمل رسالتي هذه إليك غداً صباحاً ، رئيس هيئة أركان ـ فون ديم بورن ـ ولهذافإني آمل أن تصلك بأسرع مما تصلك رسائلي الأخرى ـ تلقيت تهنئة من الدرجة الاولى من القيادة العليا وهي تشكر كل ما أنجزناه حتى الآن ، وهي تهنئة في غير محلها من

وجهة نظري ، وأعتزم ألا أترك الأمور على ما هي عليه . فقد أرسلت رسالة إلى (فون براوختش) بهذا الصدد . وأريدك أن تعرفي أن صحتي جيدة جداً ، فلتطمئني ، كما شهد الموقف بعض التحسن . ولكن الحرارة باتت هنا غير محتملة ، ومن الأفضل تجنب الخروج في ساعات القيظ أثناء النهار .

وأتبع ذلك برسالة أخرى يوم ٢حزيران -يونيو- ١٩٤١ .

وصلت درجة الحرارة بالأمس إلى ٤٢ درجة ، في حين بلغت درجة الحرارة في الدبابات المتوقفة في الشمس حتى ٤٦ درجة وهي تحرق أصابع من يلمسها . علاقتي بالقيادة العليا على حالها ؛ فإما أنهم يثقون بي ، أو أنهم لا يثقون . وفي الحالة الثانية ، فإني سأطلب اليهم استخلاص النتائج ، وأتلهف لمعرفة ما سيؤول إليه الأمر . فقد يكون من السهل جداً وضع النظريات الجميلة ، عندما لا يكون الانسان معرضاً للغرق ، على نحو ما نحن فيه . وقد رجع بورن - رئيس هيئة أركان رومل - وهو يحمل معه بعض الأخبار الطيبة . إنهم غاضبون مني في القيادة الايطالية العليا لأن تقاريري قد وصلت بدورها إلى القيادة الألمانية العليا ، وهذا خطأ ملحقنا العسكري في روما، الذي تصرف بحسب القواعد المحددة لعمله . وإني لم أتسلم حتى الآن رداً على رسالتي من (فون براوختش) .

٣ - صيف حار على حدود مصر

قرر القائد البريطاني (ويفل) تنظيم عملية استطلاع بالقوة حملت الاسم الرمزي - أو الكودي - (البلطة) وهدفها الطموح هو : « تدمير قوات رومل والحصول على انتصار حاسم في شمال

أفـريقية » وحشـد لهذه العمليـة فرقتـين ـ فرقـة المدرعـات السـابعـة والفرقة الهندية الـرابعة ـ بالإضافـة إلى لواء الحـرس ». وكان لـدى هذه القوة ١٧٠ ـ ٢٥٠ دبابة ، وكان لدى رومل بالمقابل ١٥٠ دبـابة فقط غير أنه كان يعاني من النقص الشديد في المحروقات ـ البترول ـ ومن ضعف قواته العددي .

انـطلق الهجـوم البـريـطاني في السـاعــة ٤,٠٠ من يوم ١٥ حـزيران ـ يـونيو ـ ١٩٤١ وتـركز عـلى الاتجاه الجنـوبي ـ الشرقي للسلوم ، وعـلى الاتجاه الجنـوبي . وحقق الانكليز نجـاحـاً أوليـاً في اختـراق المواقـع الألمـانيـة الضعيفـة ، وأسـرعـوا في التقـدم خـلال السـاعات التسعـة التاليـة ، فهاجمـوا (كابـوتزو) . وكـانت صـورة المـوقف غامضـة ، فتمهل رومـل في زج قواتـه ـ البانـزر ـ في هجوم مضاد . واشتبكت القوات الانكليزية في معركة حـامية مـع الحاميـة المـدافعة عن ممـر حلفايـا ، وتكبـدت القـوات الانكليـزيـة خسـائـر فادحة ، أرغمتها على إيقاف الهجوم على ممر حلفايا ، فيما قامت بقية القوات الانكليزية بالهجوم على (كـابوتـزو) وعلى جبهـة البرديـة .
وكتب رومل الى زوجته :

عزيزتي الغالية لو **١٦ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١**

قتال ضار استمر طوال نهار الأمس على قطاعنا الشرقي ، على نحو ما علمت من نشرة أخبار الجيش الألمـاني . وسيصدر القـرار في السـاعة ٢,٣٠ من صباح هذا اليـوم ، وستكـون معـركـة قـاسيـة ، وتعرفين بذلك عدم تمكني من النوم . كتبت لك هذه الكلمات على عجل ، لتعرفين أني أفكر بكما دائماً ، وسأكتب لك رسالة مـطولة في القريب العاجل ، عندما ينتهي كل شيء .

اهتزت فرقة البانـزر ـ ١٥ ـ وهي تتحرك للهجـوم على اتجـاه كـابـوتـزو في الـسـاعـة الخـامـسـة مـن صـبـاح يـوم ١٦ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١ ، ووقعت معركة عنيفة بالدبابات . غير أن حظ الفـرقة من النجـاح كان معـدوماً في مـواجهة تقدم حازم . وكان عدد الدبابات التي قامت بالهجوم ٨٠ دبابة ، لم يبق منهـا حتى الساعة ١٠,٣٠ سوى ثلاثين دبابة .



رومل يستمع إلى تقرير الكابتن « باخ » ، حامي مدينة « حلفاية » على أثر الهجوم الحليف الثاني في « برقة »

ولكن وبينما كان هـذا الهجوم يصـطدم بمقاومـة عنيدة ، كـان رومل قد دفع الفرقة الخفيفة ـ الخـامسة ـ عـلى اتجاه سيـدي عزيـز ـ سيـدي سليمان ـ ممـر حلفايـا . واصطدمت هـذه الفرقة بمقـاومـة بريطانية قوية ـ شمال شرق سيدي عمر ـ ولكنها نجحت في التغلب عـلى المقاومـة ، فتابعت تقـدمها إلى سيـدي سليمـان . وكـان هـذا التحرك هو نقطة الانعطاف الحاسمة في مسيرة المعركة ؛ فقد أسـرع

روميل لحشد كافة القوى المتوافرة له ، وزجها على اتجاه كابوتزو لتعزيز ما أمكن احرازه من نجاح . ولم يكن البريطانيون بدورهم على استعداد للتنازل عن المبادأة التي أمسكوا بها ، فزجوا ما لديهم من دبابات لتدمير الدبابات الألمانية في (كابوتزو) . وكان روميل أكثر سرعة في تنظيم قواته وزجها في المعركة ، فانطلقت هذه القوات في الساعة ٤,٣٠ من صباح يوم ١٧ حزيران ـ يونيو ـ على الاتجاه الجنوبي لسيدي سليمان ، واشتبكت مع القوات البريطانية ، إلا أنها نجحت في متابعة التقدم في الساعة٩,٠٠ . وفي الساعة ١٦,٠٠ مساء ، كانت القوات الألمانية قد شرعت في تطويق القوات البريطانية عند ممر حلفايا من جانبين . غير أن الثغرة كانت واسعة فتمكنت القوات البريطانية من الهرب إلى خارج دائرة الحصار ، وخوض قتال تراجعي . وانتهت بذلك معركة السلوم ، بعد ثلاثة أيام من المعارك القاسية . وخسر البريطانيون ٢٢٠ دبابة و ٥٠٠ قتيل وأسير ، بينما خسرت القوات الألمانية ١٠٠ دبابة وحوالي٥٧٠ بين قتيل وأسير . وكتب روميل إلى زوجته .

عزيزتي الغالية لو ١٨ حزيران ـ يونيو ١٩٤١

انتهت معركة الأيام الثلاثة بانتصار كامل . وقمت بجولة على الوحدات في هذا اليوم لأشكرها ولأعطيها الأوامر الجديدة . وقد خرجت لهذه الجولة منذ السادسة صباحاً ، ولهذا ليس باستطاعتي أن أكتب كثيراً .

ثم عاد روميل فكتب لزوجته يوم ٢٣ حزيران ـ يونيو ـ .

ومضت أيام ثلاثة وأنا أسير على الطرق في أفق ميدان المعركة . ولقد غمرت الفرحة الكبرى أفراد الفيلق الأفريقي .

لقد كان البريطانيون يفكرون بتدمير دباباتنا الأربعمائة ، ولكن تجمعنا ، والمقاومة الضارية للوحدات الألمانية والايطالية التي بقيت مطوقة طوال يومين ، قد ضمنتا لنا فرصة توجيه ضربتنا الحاسمة بكافة القوى المتحركة ، المتوافرة لدينا . وقد يعاود العدو محاولته ، وعندها سيتلقى ضربة أكثر قوة وأشد صلابة .

* * *

دوى انتصار رومل دوياً هائلاً في العالم ، وتردد صداه عميقاً في وسط القيادة العليا للمحور ، وجاء رئيس هيئة الأركان الايطالي ـ الجنرال رواتا ـ بعد هذا الانتصار بقليل إلى أفريقيا ، وأعلم رومل أن القيادة الايطالية العليا ترى أنه لا بد من دعم قوات المحور في أفريقيا وزيادة حجمها ، بحيث يرتفع عدد الفرق الألمانية إلى أربعة فرق آلية ، وبحيث ترتفع القوات الايطالية إلى مستوى الفيلق الذي يضم ثلاثة فرق مدرعة وفرقتين أو ثلاث آلية ـ محمولة ـ . وافترض رومل ـ بالاستناد إلى هذه المعلومات ـ أنه إذا ما تم وصول الدعم في خريف سنة ١٩٤١ ، وإذا ما أمكن ضمان الامدادات ، فإنه سيصبح لديه ما يكفي من القوات لإبادة القوات البريطانية في مصر خلال فصل الشتاء من السنة التالية (١٩٤٢) ثم لاجتياح بلاد الشام والوصول إلى البصرة والتقدم منها شمالاً لقطع روسيا وتجزئتها ، وستكون ضربة مزدوجة لبريطانيا وروسيا في وقت واحد .

وكتب إلى زوجته يوم ٢٨ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١ .

لم تعد بك حاجة للقلق على صحتي ، فأنا بأتم صحة وعافية ، وتتوافر الشروط الصحية بدرجة أكبر في المنطقة التي وصلنا

إليها حالياً ، وهي ترتفع ١٨٠ متر عن سطح البحر ، والأكثر من ذلك ، لقد وجدت نفسي داخل بناء له أربعة جدران . كان رئيس هيئة أركاني ـ ألدنجر ـ مريضاً لأيام خلت ، وقد تماثل للشفاء . لدينا عمل ضخم .

ثم عاد فكتب رسالة أخرى يوم ٣ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١

الحرارة لاهبة حقاً في الليل . أتقلب على سريري ، وأتقلب ، وسواقي العرق تغرقني . لقد سعدت وأنا أسمع أن أخبار انتصارنا قد ترددت في روسيا بقوة ، ولكنني لا أخدع نفسي أبداً . فعناد أصدقائنا ـ البريطانيين ـ سيحملهم على العودة للهجوم عاجلاً أم آجلاً . وقد بدأت تردني رسائل التهنئة بمناسبة ترفيعي لرتبة قائد المدرعات ، رغم أنني لم أتلق هذه الرتبة رسمياً . وأعتقد أنه قد تم الاعلان عن ذلك بواسطة الاذاعة ـ الراديو ـ .

وكتب يوم ٥ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١ .

أقضي قسماً كبيراً من وقتي في تفقد القوات والتردد على الوحدات ، وبقيت بالأمس ثمانية ساعات وأنا أسير على الطرقات . وباستطاعتك تصور مدى ما أصابني من الظمأ ، بعد مثل هذه الجولة . آمل أن أتمكن من التوجه بالطائرة خلال خمسة عشر يوماً للمثول أمام القيادة العليا للفوهرر . وقد يكون من غير المناسب القدوم قبل أن تنتهي المشكلة مع روسيا بشكل أو بآخر ، لأنهم في مثل هذه الحالة لن يعيروا كثيراً من الاهتمام لمتطلباتي ، ولن يوافقوا عليها .

شعرت بالسعادة عندما علمت أن مانفرد ـ ابن روميل ـ قد

أظهر تفوقاً في الرياضيات ، ويتعلق ذلك بنهج التعليم ، وأشعر بالرضى أيضاً ، إذ هو يتابع نجاحه في دراسته .

اني أناضل ضد البعوض حتى لا يجتاح مكتبي : وابقى في الظلام ، وأوقع بالبعوض خسائر كبيرة وأعمل وأنا أكتب على توجيه ضربة إلى هنا وإلى هناك ، ما بين فترة وأخرى .

ورسالة أخرى بتاريخ ٢١ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤١ .
(وقد تلقى من القيادة لقب : قائد مجموعة المدرعات الافريقية) .

لا شيء يستحق الذكر . زارني نهار الأمس القائد الأعلى الايطالي ، وهو رفيق سلاح حقاً . غير أنني لم أكن معه على وفاق في عدد من الأمور التي جرت . واستخلصت أن هذه الزيارة قد تكون مجرد زيارة مجاملة ودية . واستقبلت اليوم عدداً من الزوار . وقدموا لنا طعام الدجاج ـ الفراريج ـ على الغذاء ، فأكلت منها متجاوزاً تعليمات نظام الأكل ـ الريجيم ـ . فالأكل المسلوق باستمرار قد أفقد لساني طعم تذوق الطعام . وأشعر بالسرور البالغ إذ تلقيت التسمية الجديدة .

٢٧ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤١ .

لا جديد يذكر ، سوى أن الحرارة باتت لاهبة في الليل كما في النهار . قتلت أربع بقات . ووضعت سريري الآن فوق علب مملوءة بالماء . وآمل أن يصبح الليل اعتباراً من الآن أكثر رأفة ورحمة . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، فقد تركتني البراغيث أنعم بالراحة حتى الآن ، غير أنها أخذت تضجرني وتقلقني .

٢٨ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤١

صحتي جيدة . أتفاهـم جيدا مع رئيس هيئـة أركاني الجـديد (غوز) وهو أمر بالغ الأهمية بالنسبة لي .

٢٩ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤١ .

حر لاهب ، ونعتمد على السباحـة ، ولا جديـد غير ذلـك . تدور أحاديث كثيـرة عن احتمال هجـوم بريـطاني وشيك الـوقوع ، ولكن ما هي إلا أحاديث خادعة . فهم يبعثون بقواتهم إلى إيران ، واتصـالاتهم مع روسيـا عبـر سيبيـريـا بـاتت مهـددة بسبب المـوقف الياباني . فلم يبق لهم إلا طريق الخليج العربي . هل استطيع قضاء ليلة بدون ازعاجات البق . وربما أمكن لي القضاء على الذباب .

٣٠ آب ـ أغسطس .

توافرت لنا الإقـامة الجيدة في مـركزنـا الجديـد . تخلصت من البق ، بعـد أن أغرقت سـريري بـالبترول ، وأوقـدت فيـه النـار . ويظهر أن البق كان يختبىء في هيكل السرير ـ لقد استحمينا بالأمس في ميـاه البحـر التي كـانت حـارة جـداً فلم تسـاعـد عـلى إنعـاشنـا وتبريدنا . وهناك قطار من العربات في طريقه إلينا ـ نظريـاً ـ ولكـن يحتمـل أنه غـرق في مياه البحـر . ونحن هنا لا نستـطيـع أن نفعـل شيئاً .

٣١ آب ـ أغسطس .

يغرقنا التعرق منذ الصباح المبكر بسبب الحرارة اللاهبة . وما عدا ذلك ، فجمود كامل ، إلا أن القيادة العليـا الايطاليـة لا تشعر

بالرضى لأنه لا رأي لها فيما يحدث هنا . إنها تزعجنا بألف قضية تافهة من التفاصيل التي لا معنى لها ، ولكننا لا ندعهم يفعلون شيئاً . ولعلهم يريدون تفجير موقف ليتخلصوا من وجودي ، أو حتى من القوات الألمانية . ولا أشعر بالأسف يقيناً إذا ما نقلت إلى مسرح عمليات آخر .

١٠ أيلول ـ سبتمبر .

ذهبت بالأمس ومعي ضباط من هيئة القيادة للقنص . وكان يوماً مثيراً ، رميت في نهايته غزالاً فيما كانت السيارة تجري ، وأصبته . وجعلنا من كبده طعاماً للعشاء ، وكان عشاء شهياً . زارني اليوم زائر له أهميته ، وهو الرائد ميلشيوري ، أحد الرجال الذين يثق بهم الدوتشي ـ موسوليني ـ . وانتظرت الكثير من هذه الزيارة . فعواطفهم تجاهنا في هذه الأيام ليست ودية . لقد تغيرت الأيام . إنهم لا يتركون لنا حرية العمل . ونحن بدورنا نقول رأينا بصراحة . . .

وكتب رومل يوم ٢٩ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤١ .

كانت الأيام الأخيرة أياماً حافلة . فقد وصلتنا قافلة ضخمة إلى طرابس ، وتطلب إفراغ شحنتها خمسين ساعة ، ومر كل شيء على خير ما يرام . وبالإمكان تصور مدى فرحي . إذ لم يكن من السهل وصول هذه الحمولة ، في ظروف التدخل البحري البريطاني في البحر الأبيض المتوسط . وفي الوقت الحاضر فنحن لسنا ـ بالنسبة للايطاليين ـ إلا أقارب فقراء، وعليهم أن يحملوا نصيبهم من العبء . وعلى كل حال ، فإن جيوشنا تتقدم في روسيا بشكل

جميل ، وسيأتي دورنا . الرياح تعصف في الخارج ، ولكنها ليست لحسن الحظ الرياح القبلية . انهم يعدون البطاطا المقلية للعشاء . وسأنظم طعامي بعد عدة أيام من الحمية ـ الريجيم ـ .

٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤١ .

كان من المحال أن أكتب إليك نهار الأمس . فقد عادت آلام المعدة لتضجرني وتزعجني . وقدم لنا على عشاء الأمس فروج ـ دجاجة ـ لا بد وأنها جاءت من مركز تربية الدواجن أيام رمسيس الثاني ـ ذلك أنها قدمت بعد طهوها على النار لمدة ست ساعات وبقيت قاسية كالجلد ، ولم تتمكن معدتي من احتمالها أو هضمها .

٧ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤١ .

عادت معدتي للعمل بصورة طبيعية . وأمضيت النهار أجري بين المواقع وأنا في أتم صحة وعافية . ما رأيك في مشاريعي للاجازة ؟ قد يكون لزاماً علي في البداية التوجه إلى روما في شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ لقضاء ثمانية أيام فيها من أجل تسوية مشكلات كثيرة جداً ، وأعود بعدها إلى ميدان القتال بصورة طبيعية . وأملي كبير أن تتوافر لي إمدادات كبيرة حتى نستطيع التوغل عميقاً . وأستطيع بعدها الحصول على إجازة ، في نهاية شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ . وأعرف جيداً أن هذه الفترة غير مناسبة لقضاء الاجازة ، وسيكون من الصعب علي التكيف مع المناخ البارد ، غير أن هذه الفترة هي أفضل وقت من وجهة نظر الموقف هنا . ولكن من المحتمل أن يقلب التقصير في الامدادات الموقف ، مما قد يحدث تأخراً كبيراً .

٩ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤١ .

تلقيت نهار الأمس أخباراً جيدة من ناشر كتابي (هجوم المشاة)(*) وقال إن حق المؤلف من الطبعة الكبرى لن يقل عن ٢٥ ألف مارك . وفي الوقت ذاته أعلمتني مؤسسة نشر (ميتلر وابنه) بأن رصيدي لديهم قد بلغ ١٠٢١٥ مارك ، ويشكل ذلك مبلغاً ضخماً .

تتركز الآن كافة الأخبار اليومية على جبهة روسيا . وأتساءل ما إذا كانت بريطانيا قد بدأت تشعر بالرياح الباردة وهي تعصف في ظهرها . لدينا عمل كثير هنا . وصل اليوم قائد الفيلق الايطالي ـ غامبارا ـ. وأخشى ألا تكون الأخبار التي حملها معه هي أخبار جيدة .

١٠ تشرين الأول ـ أكتوبر .

كان اللقاء ـ مع غامبارا ـ عاصفاً نهار الأمس . وسيتم استئناف هذا اللقاء اليوم . ولكن لا تقلقي ، فقد كان لا بد من حدوث ذلك . صحتي جيدة ـ إلمسي الخشب ـ وأنا في حركة دائمة من الصباح حتى المساء .

١٢ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤١ .

أخبار رائعة عن جبهة روسيا . وبعد انتهاء المعارك الكبرى يصبح لدينا أمل في التقدم سريعاً نحو الشرق ، فنحرم العدو بذلك

(*) جدير بالذكر أنه قد بيع من هذا الكتاب قبل الحرب وأثناءها أكثر من ٤٠٠ ألف نسخة .

من تشكيل قوات جديدة بأعداد كبيرة . ويظهر أن حركة التمرد قوية في وسط العمال الانكليز . وستكون بريطانيا العظمى سعيدة جداً إذا ما قامت بالهجوم ، ولكنها لا تمتلك لمثل هذا الهجوم لا القوى ولا الوسائط الكافية للقيام بإنزال كبير في أوروبا ، وستصل متأخرة جداً إلى روسيا ، في حين أن قيامها بهجوم جديد على جبهة ليبيا سيكون مغامرة ولن يؤثر تأثيراً مباشراً على تطور الأحداث في روسيا ، وما إن يتم لنا الاستيلاء على طبرق ، حتى تتبدد آمالها في أفريقيا . . .

١٣ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤١ .

أرجو ألا نجد صعوبة في لقاء أحدنا بالآخر في اليوم الأول من تشرين الثاني - نوفمبر - . استعلمي عن القطارات ، واخبريني عن موعد وصولك إلى روما بدقة . وسأتخذ الترتيبات لأصل في الموعد . وأعتقد أن الموقف سيسمح لي بالبقاء في روما حتى منتصف الشهر . واحضري لي معك الثياب المدنية (الطقم الكستنائي) .

عزيزي مانفرد (ابن رومل) . ٢٤ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤١ .

سأوجه رسائلي إليك في هذه الفترة ، لأنك ستبقى وحدك في المنزل . تسير الأمور جميعها هنا كما هو متوقع لها ، وأقوم بزيارة الوحدات يومياً وأتفقدها ، ومعظم هذه الوحدات تنتشر حالياً على شاطىء البحر . ونسبح في البحر أحياناً ، ولو أن المياه لا تزال حارة جداً . ولا زالت الحرارة مرتفعة جداً في النهار ، غير أن الليالي أصبحت باردة بحيث أحتاج إلى غطائين . ومنزلي الجديد مؤثث

جيداً ، تغطي جدرانه الخرائط المختلفة . وتوجد بصورة خاصة خرائط لروسيا حيث نقوم كل يوم بتسجيل كل تقدم جديد فوراً .

عزيزي مانفرد ٢٨ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٤١ .

هبت علينا نهار الأمس مجدداً الرياح القبلية . وكانت غيوم الغبار كثيفة أحياناً إلى درجة كان من الصعب رؤية الأشياء لمسافة تبعد مترين أو ثلاثة . ويظهر أن الطقس آخذ بالتحسن اليوم . وسأستقل الطائرة مجتازاً البحر خلال الأيام القادمة . وأشعر بالسعادة لرؤية أمك في روما من جديد ، غير أنه يؤسفني شيء واحد وهو أنك ، أيها الرجل الشاب ، لا تستطيع أن تكون معنا . وأنا على يقين بالحصول على إجازة في هذا الشتاء ، ولو لبضعة أيام ، وسنقوم معاً بجولة حلوة للقنص . ولا يتوافر في المنطقة التي نقيم فيها حالياً ما يمكن اصطياده . وقام بعض الضباط بقتل فهود اتخذت من الأودية الصخرية مخابىء لها . كما يتم العثور ما بين فترة وأخرى على حباري (ج حبارات) أو ثعلب أو ابن آوى أو غزال . واكتستِ شجيرات الأشواك التي تتغذى بها الجمال لوناً أخضر شاحباً، ونمت فيها زهيرات صغيرة . قام الانكليز في الليل الفائت بقصفنا من البحر . وقامت الطائرات القاصفة وقاذفات الطوربيد باغراق قطعة أو قطعتين من طراداتهم . وفيما عدا ذلك فنحن نعيش بسلام . وهذا كل شيء عن أخبار اليوم .

* * *

٤ ـ قصور الامكانات ، وحرب المواقع

لم ترسل ألمانيا إلى رومل أية قوة إضافية لدعم الفرقتين اللتين أرسلتا منذ البداية ، وذلك طوال سنة ١٩٤١ والربع الأول من سنة ١٩٤٢ . ولكن رومل دمج الوحدات المستقلة وشكل منها فرقة أطلق عليها اسم (الفرقة ٩٠ الخفيفة) وكانت هذه الفرقة محرومة من الدبابات وقد ضمت أربعة أفواج فقط من المشاة ، إلا أنها كانت تمتلك قدرة نارية كبيرة ، إذ كان لديها ثلاث سرايا مدفعية ميدان وفوج مدفعية مضاد للدبابات وفوج مدفعية عيار ٨٨ مم للاستخدام المزدوج ـ ضد الطائرات وضد الدبابات ـ . وقد أعيد تنظيم (الفرقة الخامسة الخفيفة) ، فحملت اسم (فرقة البانزر ٢١) ولكن فيما عدا التسمية ، فانه لم يتغير شيء لا في تنظيم هذه الفرقة ولا في تسليحها . وكذلك الأمر بالنسبة لفرقة البانزر ١٥ ، والتي كانت تضم فوجين من الدبابات وثلاثة أفواج من المشاة . وقد ضمت الفرقتان في تشكيل (الفيلق الأفريقي)(*) الذي أصبح قسماً

(*) كانت كل فرقة من فرقتي البانزر تضم :

ـ لواء دبابات من فوجين (وكل فوج من أربع سرايا) .

كانت السرية تتكون نظرياً من ٢١ دبابة . فكان مجموع دبابات اللواء هو ٢٠٠ دبابة ، بما في ذلك دبابات القيادة والاتصالات . وقد بقيت خلال هذه الفترة سرية دبابات من كل فوج في ألمانيا ، وذلك عندما شن البريطانيون هجومهم في عملية (البلطة) خلال شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١ ، ولم تصل هذه السرايا إلى مسرح العمليات في أفريقية إلا في ربيع سنة ١٩٤٢ ، فأصبح عدد السرايا في كل فوج بانزر هو أربع سرايا ، وتزايدت بذلك نسبة الدبابات المتوسطة ، ولكن السرايا بقيت أقل من قوتها النظرية . وتناقص عدد الدبابات في كل لواء ـ خلال شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٢ إلى ١٨٠ دبابة . =

من (جيش البانزر الافريقي) اعتباراً من ٢٢ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢ ، وهو الجيش الذي ضم إليه كافة الوحدات الايطالية في الجبهة (الفيلق العاشر والفيلق العشرين والفيلق الواحد والعشرين) .

لقد تقدم روميل بسرعة أذهلت العالم في ربيع سنة ١٩٤١ ، فوصل إلى أبواب مصر على نحو ما سبق عرضه ، غير أن هذا التقدم ابتعد به عن قواعد تموينه وامداداه ، فأصبحت طرابلس تبعد عنه مسافة ١٦٠٠ كيلومتراً تقريباً ، وبنغازي تبعد عنه مسافة ٥٠٠ كيلومتراً . وكان أمله أن يدفع قاعدة امداده إلى الأمام باستيلائه على طبرق ، غير أن هذه المدينة استعصت عليه ، ووقع البريطانيون يدافعون عنها بعناد لحرمان رومل من حرية الحركة . وهكذا بقي رومل في موقع الضعف بسبب قصور الامكانات ، فتمركز دفاعياً على خط السلوم ـ البردية ، وتحولت حرب الحركة إلى حرب مواقع .

= ـ لواء مشاة محمول من ٣ كتائب (والكتيبة من ٤ سرايا) .
ـ لواء مدفعية من ٣ أفواج (الفوج يضم ٣ بطاريات والبطارية ٤ مدافع) وكان أحد الأفواج ثقيلاً لتسلحه بمدافع قذافة ـ هاوتزر ـ من عيار ١٥٠ مم ـ ومن ٤ مدافع .
ـ فوج مدفعية مضاد للدبابات .
ـ فوج استطلاع مدرع (ضم ٣٠ عربة استطلاع مدرعة) .
ـ وحدات مهندسين . ووحدات أخرى ـ إدارية ـ .
ـ وكانت فرقة البانزر تضم ـ نظرياً ـ حوالي ١٢ ألف رجل (وحوالي ١٢٠ مدفعاً مضاداً للدبابات) .

بقي رومل معلقاً بأمل ما وعدته به القيادة العليا من دعم ، غير أن القيادة كانت قد قررت ألا ترسل إلا الحد الأدنى ، وهكذا فإنه لم يصله حتى شهر أيلول ـ سبتمبر ـ إلا ثلث الوحدات ، وإلا سُبْع (واحد من سبعة) من الامدادات والمواد التموينية ، التي كان من المقرر وصولها حتى هذا التاريخ . وبالرغم من ذلك ، فقد قرر رومل تنفيذ الهجوم على طبرق ، وأخذ في الإعداد له منذ شهر تشرين الأول ـ اكتوبر ـ وذلك على أساس تنفيذه بعد عودته من زيارته لروما .

كان البريطانيون يعملون في الوقت ذاته للقيام بهجوم هدفه تدمير القوات الألمانية ـ الايطالية ، ورفع الحصار عن طبرق ، واستثمار النصر بالتقدم نحو طرابلس . وقد أطلق على هذه العملية اسم (كروزادير ـ أو الحملة الصليبية)(*) .

(*) انطلق هذا الهجوم يوم ١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١ بمسيرة طويلة للتقرب بكتلة القوات الرئيسية ، والتي قامت باستدارة واسعة حول المواقع الألمانية ـ الايطالية المحصنة القريبة من السلوم، على الطريق الساحلي . وشملت قوة الهجوم سبعة فرق ـ بما فيها الحامية المدافعة عن طبرق ـ وكان أمام قوة الهجوم ، ثلاثة فرق ألمانية ، وسبعة فرق ايطالية . ولكن هذه الأرقام تعطي انطباعاً خاطئاً عن حجم القوى . ويمكن ابراز ذلك من خلال أعداد الدبابات والطائرات لدى الطرفين المتصارعين . فقد زج البريطانيون خمسة ألوية مدرعة ، في حين لم يكن لدى رومل سوى لواءين مدرعين ألمانيين ولواء مدرع إيطالي واحد . فكان عدد الدبابات البريطانية ٧٢٤ دبابة بالاضافة إلى ٢٠٠ دبابة تركت في الاحتياط (زجت بعد ذلك في المعركة بمعدل ٤٠ دبابة في كل يوم) . وكان لدى رومل في البداية ٤١٤ دبابة (منها ١٥٤ دبابة ايطالية) ومنها ٥٠ دبابة كانت في الصيانة والاصلاح ، ولم يكن لدى رومل أي دبابات احتياطية . وكان تفوق البريطانيين واضحاً في =

عمل روميل خلال إقامته في روما على أخذ الموافقة من القيادة العليا الايطالية ومن القيادة العليا الألمانية للهجوم على طبرق في النصف الثاني من تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ . وعارضت القيادة العليا الألمانية ـ الايطالية موعد الهجوم . وأظهر روميل حجته ، فقد كان الوقت يضغط عليه بشدة ، وهو إذا لم يبدأ بالهجوم فسيأخذ البريطانيون المبادأة ، مما يزيد من تعقيدات الموقف وخطورته . وحصل روميل في النهاية على موافقة القيادة للبدء بالهجوم على طبرق في الوقت الذي يراه مناسباً .

وأمضى روميل مع زوجته يوم عيد ميلاده في روما (١٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر) ثم عاد إلى مسرح العمليات في أفريقيا ، يوم ١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ . وفي هذا اليوم ذاته ، كان البريطانيون قد انطلقوا بهجومهم .

كانت الاستخبارات البريطانية قد جمعت المعلومات عن مقر روميل ، وعرفت أنه كان مقيماً في بناء قرب (الشاطىء الأبيض) على بعد ٣٢٠ كيلومتراً إلى الخلف من الجبهة . فقررت تنظيم إغارة لاختطاف روميل ، وتكون هذه العملية هي بداية الهجوم البريطاني . غير أن الاستخبارات البريطانية لم تعرف أن روميل قبل سفره الى روما قد جعل من سكنه مقراً لقائد الامداد والتموين وهيئة أركانه ، كما أنها لم تعرف أن روميل قد تأخر في روما لمدة يومين .

= القوات الجوية إذ كان لديهم ١١٠٠ طائرة مقابل ١٢٠ طائرة ألمانية و٢٠٠ طائرة ايطالية . وقد تضاعفت القدرة الجوية البريطانية بفضل ما حققته من مباغتة في هجومها المفاجىء .

وهكذا تم في ليل ١٧ ـ ١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١ إنزال قوة من المغاوير البريطانيين ـ كوماندو ـ على أرض الشاطىء الأبيض . وتقدمت القوة بجرأة إلى مقر رومل السابق ونجحت في اقتحامه ، غير أن القوات الألمانية اكتشفت العملية وقاومتها بسرعة ، فانسحبت قوة الاغارة ، و أسفرت العملية عن قتل ضابط ألماني وثلاثة من الجنود ، وقتل ضابط بريطاني واحد .

انطلق البريطانيون بهجومهم بعد ظهر يوم ١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١ ، وتوجهوا نحو طبرق بثلاثة أرتال مدرعة ، وأمكن لهم في اليوم التالي دحر الستارة الدفاعية بعد قتال عنيف. ووصل الرتل الأيسر إلى (بير القبة) وتوقف الرتل لأيام أمام مقاومة فرقة البانزر ٢١ وتراجع إلى (قبر صالح) في حين استطاع رتل الوسط اختراق المواقع الدفاعية والوصول إلى مطار سيدي رزق (على بعد ١٥ كم من طبرق) .

ولما كان رومل يقدر بشكل صحيح ضعف قوته العددي ، فقد وضع مخططه للهجوم المضاد على حشد كل قواته المتحركة لتشكيل قوة صدمة يمكن لها تدمير تشكيلات العدو باشتباكات متتالية ، حتى يتم له تدمير كافة قوات العدو ، وساعده البريطانيون على تنفيذ مخططه فزجوا بشكل منفصل ألويتهم المدرعة . وأمكن بذلك لقوات رومل تحقيق انتصارات جزئية متلاحقة ، أدت في النهاية إلى تحقيق نصر كبير في أكبر اشتباك للدبابات ، في معركة أدت إلى تدمير الدبابات البريطانية . وكتب رومل إلى زوجته :

عزيزتي الغالية لو ٢٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١

بدأ العدو هجومه بعد عودتي مباشرة . وقد وصلت المعركة

إلى مـرحلتها الحـرجة . ولي أمـل بـأن نخـرج من المعـركـة بنتيجـة جيدة ، وقد يتقرر كل شيء في اللحـظة التي تصلك فيها رسـالتي . وليس موقفنا يقيناً بالموقف السهل . ولكنني أعمل قدر ما أستطيع .

* * *

تحـرك الفيلق الأفـريقي يـوم ٢١ تشـرين الثـاني ـ نـوفمبـر ـ وخاض معركة ضارية ضد الدبابات البريـطانية ودمـر أعداداً كبيـرة منها . وفي ليل ٢١ ـ ٢٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ انـطلقت حاميـة طبرق للهجوم ومعها ٥٠ دبابة ، إلا أنه أمكن إيقـاف هجومهـا بعد معركة طاحنة .



رومل في نقاش مع ضباط هيئة اركان حربه خلال قتال الدبابات في سيدي رزق (شتاء ١٩٤١ ـ ١٩٤٢)

وفي يـوم ٢٢ تشرين الثـاني ـ نوفمبـر ـ استمر القتـال بعد أن نجح رومل في تحريك قواته ليلاً حتى وصل إلى مجنبتهم ومؤخرتهم .

ثم جاء يوم ٢٣ تشرين نوفمبر ـ وهو الذي حمل اسم (أحد القتلى) . فقد كان يوم المعركة هو يوم الأحد ، ودارت فيه أعنف معركة للدبابات . وكتب رومل إلى زوجته :

عزيزتي الغالية لو ٢٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١

يظهر أن المعركة قد تجاوزت مرحلة المأزق الحرج ، وأنا على أفضل حال وبمزاج رائع ولي ثقة تامة بالنصر ، ولقد دمرنا للعدو مائتي دبابة ، وأمكن السيطرة على جميع جبهاتنا .

* * *

تحرك الفيلق الأفريقي صباح يوم ٢٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ بقيادة الجنرال كروويل ـ فتجاوز طبرق . وأرسل إلى رومل يعلمه عن تقدمه في اتجاه الشرق ليطارد القوات النيوزيلاندية والهندية ، وليمنعها من الاتصال بالكتلة الرئيسة للقوات البريطانية . وأسرع رومل لاتخاذ أجرأ قرار اتخذه ـ ربما في حياته القيادية كلها ـ إذ أمر بتشكيل قوة ضعيفة ضمت الوحدات المختلفة ، وأسند قيادتها إلى قائد المدفعية ـ الجنرال بواتشر ـ وكلفها بمتابعة تطويق طبرق . وأمر بقية القوات المدرعة والمشاة المحمولة للتقدم بسرعة في أعقاب الفيلق الأفريقي ، وذلك للوصول إلى المنطقة الخلفية للقوات البريطانية ، والاستيلاء على قواعد امدادها وتموينها .

وتولى رومل قيادة فرقة المقدمة ـ فرقة البانزر ٢١ ـ واندفع في تقدم سريع . وفي المساء كان قد تجاوز ممر حلفايا ، ووصل إلى سيدي عمر وقاعدة امداد البريطانيين في (مادلينا) . واندفع رومل في تقدمه ـ بعربته ـ التي أصيبت بعطل طارىء استعصى اصلاحه .

المعركة أمام « بير حكيم »

وهبط الليل ، وتصادف لحسن حظه أن مر به بعد فترة قائد الفيلق الأفريقي ومعه ضباط هيئة أركانه ، وهم يركبون عربة قيادة (ماموث) كانوا قد غنموها من البريطانيين ، فاستوقفهم رومل ، وقال لهم وهو يرتجف من البرد ومعه رئيس هيئة أركانه : « هل تحملونا ؟ » فركبوا معهم ، وسارت عربة الماموث ، ووجد رومل أن قواته قد توقفت أمام سياج الأسلاك الشائكة ، وحاولت عبثاً العثور على ثغرة في موانع حقول الألغام والأسلاك الشائكة . وضاق صدر رومل فصاح « سأتدبر الأمر بنفسي » . واندفع بأقصى سرعته في ممر استطلعه بنفسه ومضى مسرعاً فوجد نفسه في وسط معسكر البريطانيين ، والجنود الهنود والنيوزيلانديون من حوله ، غير أنه لم يخطر لأحد أن هذه العربة البريطانية تحمل جهاز قيادة القوات الألمانية بكامله . وأمضى القادة الألمان العشرة ومعهم خمسة من

الجنـود ليلهم في حرج وضيق وليس بينهم وبـين جنود الأعـداء أكثر من مترين أو ثلاثة أمتار .

تـابع رومـل نهـار اليـوم التـالي ، وهـو يتجـول في الخـطوط البـريـطانيـة ، متنقـلاً مـا بـين وحـدة وأخـرى ، ودخـل مستشفى للنيـوزيلانـديين . ولم يستـطع أحـد أن يعـرف مـا إذا كـان رومـل أسيـراً ، أو منتصراً . وسـأل أطباء المستشفى مـا إذا كانـوا بحـاجـة لشيء من المـواد الطبيـة ، وعما ينقصهم ، ثم ابتعـد دون أن يظهـر عليه شيء من القلق . ثم انتقل إلى مطار تحرسه قوات بـريطانيـة ، وتمكن في كل مرة من الابتعاد عن الخطر المحدق به .

كانت فرقة البانزر في هذه الفتـرة قد اشتبكت في قتـال عنيف مع النيوزيـلانديـين في طريقهـا ما بـين ممر حلفـايا وكـابوتـزو ، كما اشتبكت وحدات الفيلق الأفريقي مع القوات الانكليزية في سيـدي عمر . وتبين بنتيجة هذه الاشتباكات أن القوات البريطانية لا زالت قوية في كل مكان .

وقـرر ـ كـوننغهـام ـ الانسحـاب من (مـارمـاريـك) أمـام ضغط القـوات الألمـانيـة ، ولكن قـائـد مسـرح عمليـات الشـرق الأوسط ـ أوكينلك ـ أسـرع إلى القاهـرة ، وألغى أمر الانسحـاب ، وقرر دعم هجوم البـريطانيـين وتطويـره بزج القـوات الاحتياطيـة ، واستبدال كوننغهام برئيس هيئة أركانـه ـ ريتشي ـ (يوم ٢٦ تشـرين الثاني ـ نوفمبر) .

وبذلك انقلب الموقف رأساً على عقب ، وأمكن حرمان رومل من ثمرة انتصاره ، ومن الكسب المادي والمعنوي الذي حققه بفضل إغارته الجريئة على مؤخرة القـوات البريـطانية ، واستـطاع أوكينلك

الذي قابل مغامرة روميل وجرأته بمغامرة مماثلة من انتزاع النصر ، وتجاوز مأزق الهزيمة . وعرف روميل أن مبادأة أوكينلك قد وضعته أمام موقف صعب ، فعاد إلى مقر قيادته غاضباً ، فلم يرد على تحية أحد ـ ودخل غرفته وجلس وحيداً ، ولم يجرؤ أحد على اقتحام خلوته . ولما خرج بعد فترة ، قال لضباط هيئة أركانه أنه ذاهب للنوم ، فيما كان القتال العنيف مستعراً حول طبرق ، دونما إحراز نصر لأي من الطرفين . وكتب روميل الى زوجته :

عزيزتي الغالية لو ٢٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١

لا زالت المعركة محتدمة في الصحراء حول طبرق وعلى جبهة السلوم منذ يوم ١٩ ـ الجاري ـ، وقد نقلت لكم أخبار اليوميات ما يحدث من تطورات ، وأعتقد أنه قد أمكن تجاوز أسوأ ما في الموقف ، وقد يكون لهذه المعركة تأثير حاسم على الموقف الحربي بكامله .

صحتي جيدة جداً . أمضيت الأيام الأربعة الماضية وأنا أتولى قيادة الهجوم المضاد في الصحراء ، ولم أجد متسعاً من الوقت للحلاقة أو الاغتسال . وحققنا نجاحاً رائعاً .

يصادف اليوم عيد زواجنا الخامس والعشرين ، وأجدها مناسبة لأكتب لك بصورة خاصة . لا حاجة للقول إنها المناسبة التي وحدتنا .وأشكرك لما غمرتني به طوال السنوات التي مضت بسرعة ، من الحب والسعادة . أفكر بك وأعترف لك بالجميل ، وكذلك لابننا الذي أصبح موضع فخري واعتزازي . وبفضل هذه المنح

والعطاءات الرائعة ، أستطيع أن أمضي بعيداً . أقف هنا ، وقد بدأت مناورة قواتنا .

* * *

كان رومل قد أمضى ليل ٢٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ في الصحراء ، مثل لياليه السابقة ، وهو يتابع تحرك فرقة البانزر ٢١ على الطريق الساحلي ـ نحو غامبوت ـ ثم جنوباً حتى الزعفران ، وكذلك تحرك فرقة البانزر ١٥ نحو سيدي رزق . وحدد رومل لقيادة الفيلق الأفريقي موقعه بجوار (غامبوت) ، وتوجهت قيادة الفيلق للبحث عن رومل ، وأمضت ليلة مضنية ، ثم شاهدت عربة نقل جند انكليزية تتقدم بحذر . وكانت مفاجأة لقيادة الفيلق ، فقد هبط رومل ورئيس هيئة أركانه وقد استطال شعر لحيتهما ، وغطاهما الغبار ، وقد استنزف السهر قدرتهما . ولم يكن في عربة النقل سوى كومة من القش استخدمها رومل فراشاً للنوم مع خزان للمياه وقد أصبح فارغاً مع بعض المعلبات ـ الكونسروة ـ التي تم الحصول عليها من مخازن التموين البريطانية .

وما إن وجد رومل عربة القيادة واللاسلكي حتى أصدر أمره بحشد كل القوات المتوافرة لتطويق النيوزيلانديين ومنعهم من الوصول الى طبرق . وكتب إلى زوجته :

عزيزتي الغالية لو ٢٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١

أخذت المعركة انعطافاً جيداً ، وسيصدر القرار المناسب اليوم ، وأنا على ثقة بالنصر .

ثم عاد فكتب يوم ٣٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ .

استمرت المعركة ، وكان لزاماً أن نبذل فيها جهودنا كلها لتحقيق النصر . وأمكن تحقيق نتائج جيدة ، غير أن القوات باتت مستنزفة ، متعبة ، بعد اثني عشر يوماً من القتال العنيف . وأنا على أفضل حال ، جم النشاط ، ومستعد لمجابهة كل شيء . أَسر الانكليز قائد فرقة البانزر ٢١ ـ الجنرال فون رافنشتين ـ ولا جديد يمكن إضافته اليوم .

لم يمنح رومل قواته الألمانية ـ الايطالية ما كانت تحتاجه من الراحة لالتقاط أنفاسها بعدما نزل بها من العناء الشديد ، فقد كانت المعركة محتدمة على أبواب (طبرق) ، وكان لزاماً زج القوى المتوافرة للتفوق على الهجوم البريطاني . ولما فرغ من مهمته بعث إلى قيادته العليا بتقريره : « استمر القتال العنيف طوال الفترة ما بين ١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ واليوم الأول من كانون الأول ـ ديسمبر ـ ، وأسفر عن تدمير ٨١٤ دبابة ومركبة مدرعة وإسقاط ١٢٧ طائرة ، والحصول على كميات كبيرة من الغنائم من الأسلحة والذخائر والمركبات ، وتجاوز عدد الأسرى ٩ آلاف منهم ثلاثة قادة ـ جنرالات » .

وكتب الى زوجته يوم ٢ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ .

نجحنا نهار الأمس بتدمير ما بقي من فرقة أو فرقتين بريطانيتين أمام طبرق ، مما أسهم في تحسين الموقف ، ولكن الانكليز لن يستكينوا أو يتوقفوا عن متابعة القتال ، بحسب ما أعرفهم ، غير أننا أخذنا اعتباراً من الآن بخوض القتال في ظروف أفضل من السابق ، وسنخرجهم يقيناً من القتال .

وكتب العـريف غنشر الى زوجة رومـل رسالـة في ٦ كانـون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ جاء فيها :

خرج الجنرال في وقت مبكر من صباح اليوم إلى مقر القيـادة، وقد كلفني أن أبعث لكم بأفضل امنياته ، وأن أقول لكم إنه بصحة جيدة ، وإن كل شيء عـلى خير مـا يرام بـالنسبة لـه . ولقد شغلت المعركة الجديدة الجنرال كثيراً ، ولم تترك له شيئاً من الحريـة . هذا وقد تركنـا نزلنـا منذ خمسـة عشر يومـاً ، وانتقلنا خـلالها إلى أمـاكن كثيرة حتى استقر بنا المقام اليـوم في واد ضيق يصعب على طـائرات العدو اكتشافه . وقد عملنا على تمويه واخفاء عرباتنا بشكـل جيد . ووجدنا بعـض الخضار للطعام . إن كـل شيء يظهـر اليوم هـادئاً ، بالمقارنة مع الأسابيع الماضية ، ولم نعد في حدود مدى مدفعيـة العدو التي كان من عادتها ارسال القنابل غالباً إلى كل ما حولنا . وإنه لأمر ممتع حقاً عدم سماع أصوات القنابل وهي تصفر قريباً منا .

أقف هنـا ، وأرسل لكم بـأفضل أمنيـات الجنرال وأمنياتـي ، لكم ولابنكم .

وكتب رومل إلى زوجته يوم ٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ .

نقلت إليك أخبار الجيش الألمانية بالتأكيد ما نعمله . لقد كان علي إيقاف الأعمال القتاليـة أمام طبـرق ، بسبب موقف الـوحدات الايطالية من جهة ، وبسبب الارهاق المـرعب الذي تحملتـه القوات الألمـانيـة . وكـلي أمـل أن ننجـح في الافـلات من الحصـار الـذي تعرضت له القوات أمام طبرق ـ وأن نحتفـظ بليبيـا ـ برقة ـ . . أنا بخير دائماً ، وبإمكانك تخيل ما أعـانيه ، ومـا أعيشه من القلق .

ويخيل لي أننا لن نحتفل هذا العام بعيد الميلاد الذي لم يبق له إلا خمسة عشر يوماً .



قبل معركة الغزالة : الجنرال غوز والجنرال باستيكو والماريشال رومل

خصص رومل وحدات قوية للدفاع عن النقاط الضعيفة ، والمراكز الأكثر خطورة لحماية خط القوات الألمانية ـ الايطالية في أجدابية ، ثم أخذ في سحب القوات حتى يحمي خطوط مواصلاته ، وبدأ التراجع خطوة خطوة مع استمرار الاشتباكات الضارية مع القوات الانكليزية . ووصلت القوات الألمانية الايطالية إلى خط (الغزالة) يوم ١٢ كانون الأول ـ ديسمبر ـ . وأقلق هذا التراجع القيادة الايطالية التي لم يكن لها رأي فيه ، فأسرعت لارسال الجنرال باستيكو ، الذي قابل رومل عند منحدر إلى الجنوب الغربي من عين غزالة ، حيث مقر قيادة رومل الجديد . ودار حوار حاد ، إذ اقترح باستيكو سحب فرقة ايطالية وإرسالها إلى أجدابية

للدفاع عنها . فأجاب روميل أنه لا يوافق على سحب ولو جندي ايطالي واحد ، وإلا فإنه سيضطر إلى سحب القوات الألمانية بكاملها من برقة كلها . فاضطر باستيكو للنزول على إرادة روميل ، وترك حرية العمل له .

وكتب روميل إلى زوجته يوم ١٢ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ رسالة جاء فيها :

لا تقلقي بشأني ، ستنتهي الأمور بصورة جيدة جداً . إن المأزق لم يصل إلى نهايته بعد ، وقد يمر أسبوع أو حتى ثلاثة أسابيع قبل أن يصل إلى هذه النهاية ، ولكن لدي الأمل الكبير في المحافظة على مواقعنا هنا . أقطن الآن في نزل ملائم جداً وبه ملجأ للحماية من القصف الجوي أطلقنا عليه اسم ـ قبو الأبطال ـ . وأقضي الأيام مع جنودي . أمنياتي لك ولمانفرد بعيد ميلاد سعيد . وأملي أن التقي بكم بعد ذلك ولو لفترة قصيرة من الوقت .

قام البريطانيون بهجوم عنيف يوم ١٣ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ، ونجحوا في اختراق مواقع الفيلق الايطالي العشرين ، ووصلوا إلى عمق ٢٠ كيلومتراً ـ وراء الجبهة الايطالية ـ الألمانية . ونشأ موقف خطير .

وكتب روميل إلى زوجته في هذا اليوم :

أصبح الموقف حرجاً للغاية ، بسبب الهزيمة التي نزلت بتشكيل ايطالي كبير. وأعمل الآن للسيطرة على الموقف . وفيما عدا ذلك فأنا بخير ، وفي نزل مريح .

قام البريطانيون بزج اللواء المدرع الرابع للالتفاف عبر

الصحراء من يسار جناح الفيلق الأفريقي . ولكن الفيلق الأفريقي قام بهجوم مضاد ، وأوقف الهجوم البريطاني الذي كان هدفه الوصول إلى المخيلة وقطع طريق امداد القوات الألمانية ، والسيطرة على طريق تراجعها وانسحابها . وقد نجح الفيلق الأفريقي بإبادة القسم الأكبر من لواء الحرس البريطاني ، وأخذ ٨٠٠ أسير منه في مقدمتهم قائد اللواء ذاته ، مع تدمير عدد كبير من المدافع و٣٠ دبابة ، والاستيلاء على ١٥٠ مركبة قتال .

وبالرغم من ذلك فقد اتخذ رومل قراره بسحب قواته من برقة ، **ورفع تقريراً إلى القيادة العليا يوم ١٥ /١٢/ ١٩٤١ جاء فيه :**

« استمر القتال دونما انقطاع طوال الأسابيع الأربعة الماضية ، ودفعت القوات ثمناً غالياً في هذا القتال ، ورافق ذلك انتصارات فردية رائعة . إلا أن القدرة القتالية قد أخذت في التدهور . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد توقفت كافة الامدادات بالأسلحة والذخائر . وتنوي قيادة الجيش ـ الافريقي ـ الامساك بالمنطقة المحيطة بالغزالة خلال يوم ١٦ /١٢/ ١٩٤١ ، على أن تقوم هذه القوات بالانسحاب في ليل ١٦ ـ ١٧ إلى خط المخيلة ـ درنة، حتى لا تتعرض للتطويق والدمار في مواجهة عدو متفوق » .

وجن جنون القيادة الايطالية العليا ، والقيادة الألمانية العليا ، فأرسلت القيادتان ممثليها على عجل لمقابلة رومل. وتم هذا اللقاء في الساعة ١٥,١٥ من يوم ١٢/١٧ . وجرت محاولات لاقناع رومل بالعدول عن مخطط سحب القوات من برقة . وجابه رومل الضغوط كعادته . وأدلى بحجته: « إما الانسحاب من برقة وانقاذ القوات ،

وإما البقاء في برقة وتسليم القوات للدمار مع ما يتبع ذلك من فـراغ ليبيا بكاملها ـ حتى طرابلس ـ من قوات تدافع عنها ».

وتم سحب الفيلق الأفريقي والفيلق الايطالي المحمول في ليل ١٧ ـ ١٨ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ .

وكتب رومل إلى زوجته يوم ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ .

ننسحب ولا خيار لنا إلا الانسحاب . وأملي هـو أن نصل إلى الخط الذي وقع الخيار عليه لنتوقف. . . .

تمكنت من الاستحمام وتغيير ثيابي الداخليـة ، إذ كنت طوال الاسابيع الماضية أنام بكامل ثيابي . تلقينـا بعض الامدادات ، وهي أول امدادات وصلتنا منـذ شهر تشـرين الأول ـ أكتوبـر ـ ولقد وقـع كافة الضباط القادة مرضى ، أما الباقون فقد قتلوا أو هم جرحى .

وكتب من جديد يوم ١٩٤١/١٢/٢٢ .

انسحبنا إلى أجدابيـة . وليس بامكـانك تصـور ما يعنيه هذا الانسحـاب . وآمل أن أنجـح في إخراج الكتلة الـرئيسة من قـواتي للتوقف بها في مكـان مناسب . ليس لـدينا إلا القليـل من الذخـائر والوقود ، ونحن محـرومون من الـدعم الجوي ، وهـذه الشروط هي عكس ما هو متوافر للعدو .

وكتب مـرة أخـرى بتـاريـخ ٢٣ كـانـون الأول ـ ديسمبـر ـ ١٩٤١ .

يمكن القول إن عمليات اليوم قد نفذت على أفضل وجه منـذ الصباح ، ويظهر أننا سننجح في النجاة من التطويق ، ونقل القوات

إلى الخلف ، وسيكون ذلك عيد ميلاد مجيد بالنسبة لي إذا ما تمكنا من تنفيذ ذلك حقاً . كم أصبحنا متواضعين ؟ ! لقد كان من العبث الاعتماد على دعم القيادة الايطالية العليا ، وقد يمضي وقت طويل ، قبل العودة لاستخدام هذه القوى جميعها .

وكتب رومل إلى زوجته يوم ٢٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١ .

فتحت مساء الأمس طرد الهدية التي بعثتها لي بمناسبة عيد الميلاد . وغمرتني الفرحة إذ وجدت رسائلك ورسائل مانفرد وهداياكما . . . ثم قضيت ليلة هادئة مع قادة هيئة الأركان . غير أن موقف الفرق الايطالية كان مثيراً لقلقنا . وهناك شواهد تشير إلى تحلل هذه الفرق ، وبداية انهيارها ، مما يرغم الوحدات الألمانية على مساعدتها قليلاً في كل مكان . ولقد أصيب الانكليز بخيبة أمل في بنغازي ، إذ لم يتمكنوا من قطع طريق انسحابنا ، ولم يجدوا شيئاً لا من الوقود ولا من المواد التموينية . . .

تابعت القوات البريطانية ضغطها على القوات الألمانية الايطالية أثناء انسحابها ، وحدثت معارك واشتباكات عنيفة ، وأدى ذلك إلى تدهور الموقف على جبهة الحلفايا ـ البردية ، التي باتت على بعد ٧٠٠ كم ، حيث قامت القوات البريطانية يوم ٣٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ بهجوم عنيف على البردية ، مدعم بنيران المدفعية والطيران والبحرية . وقامت الحامية المدافعة عن البردية بخوض قتال بطولي ، إلا أنها اضطرت للاستسلام يوم ٢ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢ .وتبع ذلك هجوم على الحلفايا ، حيث كانت الحامية محرومة من المواد التموينية والمياه ، ورغم ذلك فقد استمرت

في مقاومتها حتى ١٧ كانون الثاني - يناير - وخشي القائد الايطالي (دوجرجس) أن تستسلم قواته ، فقادها بكفاءة عالية ، وانسحب بها . وكانت خسائر قوات رومل معادلة لخسائر البريطانيين ، حيث تجاوزت ١٨ ألف قتيل ، بالإضافة إلى ٤ آلاف أسير ألماني و١٠ آلاف أسير ايطالي ، غير أن خسائر البريطانيين في المدرعات كانت أكبر . غير ان انسحاب القوات الألمانية - الايطالية سمح للبريطانيين بإعادة تجميع مدرعاتهم وإصلاحها . فعادت خسائرهم معادلة - أو أنقص بقليل من الخسائر الألمانية - إذ خسر البريطانيون ٢٧٨ دبابة مقابل ٣٠٠ دبابة ألمانية وإيطالية .

وكتب رومل لزوجته يوم ٣٠ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤١ .

وقعت بالأمس معارك ضارية كانت نتائجها لمصلحتنا ، وفشلت محاولتهم من جديد لتطويقنا وقذفنا إلى البحر . لقد عدت من مقر القيادة ، وسيأتي اليوم (كيسيلرينغ)[1] والقائد الايطالي

---

(١) كيسيلرينغ : KESSERLING . ALBERT : ماريشال ألماني (١٨٨٧ - ١٩٦٠) عين سنة ١٩٣٦ قائداً للأسطول الجوي . وهو الذي قاد عملية الغزو ضد بولونيا في سنة ١٩٣٩ وضد العرب سنة ١٩٤٠ . عين في نهاية سنة ١٩٤١ قائداً أعلى للقوات المسلحة في الجنوب (منطقة البحر الأبيض المتوسط) ثم قاد عمليات القتال ضد الحلفاء في شمال أفريقيا (تونس) و (مالطا) . وتولى قيادة القوات في جنوب ايطاليا أثناء غزو الحلفاء لها (ايلول - سبتمبر - ١٩٤٣) . ونقل في ١٠ آذار - مارس - ١٩٤٥ من إيطاليا إلى ألمانيا للدفاع عن جبهة الغرب ، ووقع في أسر القوات البريطانية ، حيث صدر الحكم عليه بالاعدام ، غير أن هذا الحكم لم ينفذ ، وأطلق سراحه سنة ١٩٥٢ .



كيسلرينغ

(غامبارا) ، وليست لـديهما أدنى فكـرة عن المصاعب التي نجـابهها هنـا في أفـريقيـة ، إذ لا تشغلهـما إلا شؤونهما الصغـرى ومسـراتهـما اليومية . الطقس ماطر ، والرياح عاصفة ، وقد تدنت درجة الحرارة في الليـل إلى حد مـرعب ، ولا زلت في صحة جيـدة ، وأنـام قـدر المستطـاع . وتدركـين انه من الصعب في الـظروف الراهـنة مغادرة مسرح العمليات . وأقف هنا لمقابلة ـ رئيس هيئة الأركان ـ .

ورسالة أخرى في اليوم التالي (٣١ /١٢/ ١٩٤١) .

هذا هو اليوم الأخير من عـام مضى وانقضى . وأعيش معكم اليـوم بفكري أكـثر من أي يوم مضى ـ أنت ومانفرد ـ فـأنتـما كـل سعادتي على الأرض . لقد اوشكت قواتي عـلى انجاز واجبهـا بجهد

تجاوز حدود طاقة احتمال البشر . وقمنا في الأيام الثلاثة الماضية بمهاجمة العدو ودمرنا له ١١١ دبابة و٢٣ مركبة مدرعة . ولكن على الرغم من هذا النجاح فإن المصاعب التي نواجهها تفوق كل وصف . وعلى كل حال ، فإنها خاتمة جيدة لسنة ١٩٤١ مما يمنحنا الأمل لبداية جديدة سنة ١٩٤٢ . . . ارسل لكما أفضل أمنياتي للسنة الجديدة (١٩٤٢) .

وكتب روميل إلى زوجته رسالة يوم ٥ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢ .

تجري الأمور حتى الآن وفقاً لما هو متوقع . وبالرغم من كل شيء ، فقد تكون هناك أيام أفضل من هذه قادمة إلينا . وقد قابل رئيس الأركان ـ أركان روميل ـ الفوهرر نهار الأمس . وكنت أتمنى له قضاء اسبوع في روما مع زوجته ، إذ أنه تعب كثيراً خلال الفترة الأخيرة التي عاشها معي . ويقوم بالعمل الآن رئيس فرعنا للعمليات ـ العقيد ويستفال ـ وهو يضطلع بعمله بشكل رائع . كان ـ كيسيلرينغ هنا بالأمس . وقد أخذنا في استلام المزيد من الأعتدة بصورة تدريجية .

وكتب روميل رسالة يوم ١٠ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢ جاء فيها :

حملت رسالتي إليك بالأمس أيضاً تاريخ ١٠ كانون الثاني ـ يناير ـ إذ ليس لدينا أي احساس بالوقت . تتطور العمليات في الوقت الحاضر بحسب ما هو مخطط لها . وقد أمكن خلق صعوبات كثيرة أمام تقدم العدو بفضل حقول الألغام وجهود

سلاح الجو الألماني . لقد تعرضت للنقد والتجريح ، ولم يكن ذلك مباغتاً بالنسبة لي أن أتعرض للنقد من قبل قادتنا ـ العاطلين عن العمل ـ إذ ليس هناك ما هو أسهل من النقد . وإني أشعر بالرضى عما أنجزناه ، فقد أمكن لنا سحب قواتنا إلى الخلف ، مسافة ٥٠٠ كم . وعملنا على احتلال مواقع جيدة ، ولم نتعرض في عملية الانسحاب لخسائر كبيرة ، بالرغم من أن القسم الأكبر من القوات هو من المشاة غير الآلية . وانتقل الفيلق الأفريقي اليوم إلى النسق الثاني ـ الاحتياط ـ وذلك للمرة الأولى منذ يوم ١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١ . أصيب قائد الفيلق ـ كروويل ـ باليرقان الحاد ، وهناك شك في شفائه بصورة تامة . وبقيت أنا الوحيد بين القادة الألمان الذي عاش جميع هذه الأحداث منذ بدايتها وحتى نهايتها . الليالي هنا أصبحت باردة جداً ورطبة . وألبس الثياب



رومل والعقيد ويستفال (في شتاء ١٩٤١ ـ ١٩٤٢

الصوفية قدر ما أستطيع . . . أتجول منذ الصباح المبكر حتى وقت متأخر من الليل لأستيقن من سير الأمور بشكل جيد بين الوحدات . إنه أمر ضروري .

جاء في رسالة رومل لزوجته يوم ١٤ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٢ ما يلي :

تسير الأحداث كما هو متوقع لها . وقد لا يتأخر ظهور الصدمة ، غير أني على أكبر قدر من الثقة بقدرتنا على المقاومة . جاء لزيارتي اليوم كيسيلرينغ ، ولهذا لم أتمكن من الذهاب إلى الجبهة قبل الساعة ٩,٣٠ . لقد حقق اليابانيون انتصارات ضخمة حقاً . وسيتم طرد الانكليز من آسيا الشرقية ومن هنا في ظرف أسابيع قليلة . إنهم يعولون كثيراً على تحقيق انتصارات في أفريقيا الشمالية ، غير أنهم سيصابون بالاحباط وخيبة الأمل ، فوحداتي اليوم استعادت قدرتها القتالية .

وفي رسالة يوم ١٧ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٢ ، ورد ما يلي :

يتطور الموقف لمصلحتنا ، ولدي مشاريع كثيرة لا أستطيع التحدث عنها مع من هم حولي ، إذ أنني لو تحدثت بها لاتهموني بالجنون ، وأنا لست مجنوناً ، غير أني ببساطة أرى الأشياء لمسافة أبعد قليلاً مما يرون . وأنا كما تعرفين ، أقوم بمزج مخططاتي صباح كل يوم ، وأعيد النظر فيها المرة بعد المرة . وفي السنة الماضية ، في فرنسا، نفذت ما أريده في مساحات شاسعة خلال ساعات قليلة . هكذا يجب أن تكون عليه الأمور ، وهذا ما سيكون في المستقبل .

وتضمنت رسالة رومل يوم ١٩ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢ :

حرارة الشمس مرتفعة جداً عند الظهيرة ، وكأنه يوم من أيام الربيع الجميلة عندنا . ويستمتع الجند بحمامات الشمس ، فبعض أيام الهدوء تفيدهم كثيراً . كتب لي ـ غوز ـ من روما ، ويظهر أن الفوهرر قد أقر جميع ما اتخذته من اجراءات ، وكان معجباً ومعترفاً بجميل ما صنعت . تحسنت الامدادات ، وستعلمين تأثير ذلك من خلال نشرة أخبار الجيش الألماني اليومية ، خلال الأيام القريبة المقبلة . إني سعيد جداً لهذه الأنباء ، حتى أني لا أنام في الليل إلّا قليلا ، وهذه عادتي كما تعرفين عندما أجابه مشكلات جديدة ، وهامة . لدي الكثير مما يجب عمله ، والكثير مما يجب مناقشته .

وتضمنت رسالة رومل ليوم ٢٠ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢ .

أكتب لك بضعة سطور كعهدي دائماً ، والساعة الآن ٦,٣٠ صباحاً ، وأتمنى أن تكوني ، مثلي ، طيبة المزاج .

قد يستطيع الانكليز شن هجوم علينا اليوم ، وقد أعددت كل شيء لاستقبالهم . وتعرفين إذن سبب فرحي . لقد خلفنا وراءنا أسابيع الشقاء المرعب والضنك الشديد ، ونسيناها ، وكذلك فقد نسيتها القوات .

ستعلمين عندما ستصلك هذه الرسالة ، من النشرة اليومية لأخبار الجيش الألماني ، كيف دارت رحى المعركة هنا . لقد أخذت الاستعدادات مني كامل وقتي . ولم يستعد كروويل صحته حتى

الآن ، ولا أدري إن كان باستطاعته البقاء معنا طويلاً ، وسأشعر بالضيق إن تم استبداله . صحتي جيدة .

وكتب رومل في اليوم التالي (٢١ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٢) .

انطلق الجيش بهجومه المضاد ، بعد اتخاذ التدابير الضرورية . وقررت الاقدام على المجازفة . وأعتمد كلياً على الله أن يمد لي يد العون والحماية ، وأن ينصرنا .

كان رومل قد تلقى يوم ٥ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٢ ، قافلة من الامداد ، شملت ٥٥ دبابة و٢٠ مركبة مدرعة ، وأعداداً من المدافع المضادة للدبابات وامدادات متنوعة بكميات وافرة . وكان ذلك نصراً لرومل الذي قرر استخدام هذا الدعم فوراً للقيام بهجوم مضاد لاستعادة برقة . وكانت مخططاته للعمليات جاهزة . فأعاد تنظيم قواته . وأصبح لدى الفيلق الأفريقي يوم ٢٠ كانون الثاني - يناير - ١١١ دبابة في النسق الأول و٢٨ في النسق الثاني ، وكان لدى الفيلق الآلي الايطالي ٨٩ دبابة .

وتضمنت يوميات رومل بتاريخ ٢١ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٢ ما يلي :

« قررت القيام بالهجوم نحو الشرق بقوة المجموعة المدرعة ، منطلقاً من مرسى البريغا . غير أني احتفظت بسر الهجوم ، ولم أتحدث بشأنه لا مع القيادة الايطالية ولا مع القيادة الألمانية ، إذ كنت أعرف من تجربتي وخبرتي أن القيادة العامة الايطالية لا تستطيع الاحتفاظ بالسر ، وأن كل ما يصل إلى روما من برقيات ، كان

يصل إلى آذان البريطانيين . واتخذت الترتيبات مع رئيس الامداد الاداري لاصلاح الطرق ، وتأمين الامدادات ، بحيث ينطلق الفيلق الأفريقي للهجوم يوم ٢١ كانون الثاني ـ يناير ـ » .

وهكذا انطلق الفيلق الأفريقي للهجوم . فاستولى على أجدابية يوم ١٩٤٢/١/٢٢ وانسحبت القوات البريطانية في حالة من التمزق والفوضى . واندفعت قوات الفيلق الأفريقي ، فأحاطت بمجموعة قتال فرقة المدرعات البريطانية الأولى ، ودمرت لها ١١٧ دبابة وعربة مدرعة و٣٣ مدفعاً وعدداً كبيراً من المركبات وأَسرت ألف جندي . ثم اندفعت وحدات الفيلق الافريقي لمطاردة البريطانيين ، ودمرت لهم خلال المطاردة إلى مصوص ٩٨ مركبة قتال أخرى و٣٨ مدفعاً واستولى الفيلق الأفريقي على مستودع امدادات كبير للبريطانيين .

وكتب يوم ١٩٤٢/١/٢٢ إلى زوجته :

« أتساءل عما تقولينه عن الهجوم المضاد الذي بدأ الساعة ٨,٣٠ من صباح الأمس . وقد نجا الأعداء بأنفسهم كما لو أن شبكة كبيرة من العنكبوت قد أحاطت بهم . وبالامكان أن تتصوري بسهولة كيف كان تحركنا ضدهم . أنا بخير ، وأنام أكثر من المعتاد بقليل . والواقع فإن الحرمان من ساعات النوم في الصباح المبكر هي ذات فائدة كبيرة بالنسبة لي » .

اهتاجت القيادة الايطالية لقيام رومل بالهجوم ، دون علمها مسبقاً به ، وجاء القائد العام الايطالي ـ الجنرال كافاليرو ـ ليؤنب رومل ، وليعرض عليه خطة جديدة، تتلخص بتنفيذ هجمات

محدودة ، تعود القوات بعدها إلى خطوطها الدفاعية . ورفض رومل الخطة المقترحة ، فرد الجنرال كافاليرو على ذلك بأن سحب قسماً كبيراً من القوات الايطالية العاملة تحت قيادة رومل ، وكلفها باحتلال مواقع دفاعية عند (مرسى البريغا) و (أجدابية) .

وكتب رومل يوم ٢٥ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢ .

لقد خلفنا وراءنا أربعة أيام من النجاح الكامل . ولقد كانت ضرباتنا محكمة ، وستليها ضربات أخرى ، ثم نعود لنصبح أكثر تواضعاً ، وننتظر قليلاً . عادت الصحافة الأجنبية من جديد لتتخذ مني مواقف صالحة . جاء ـ كافاليرو ـ ليحمل لي عواطف الدوتشي ، وليقنعني بالعودة إلى الخلف ، ولكن الأوامر التي أعطانيها الدوتشي كتابياً تختلف عن الأوامر الجديدة ، التي جاءت لتقيد حريتي في العمل .

وكتب رومل يوم ٢٧ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢ .

سارت الأمور بشكل رائع هنا . طهرنا ميدان المعركة . جمعنا المدافع والمركبات المدرعة والدبابات والمواد التموينية والذخائر ، وأفدنا منها كثيراً في استخدامنا لها .

بدأ المناخ يعتدل نحو البرودة . وللمطر فائدته إذ أنه يعيق الطائرات البريطانية من مغادرة قواعدها في ليبيا (برقة) . سيعود ـ غوز ـ رئيس هيئة أركان رومل ـ في مطلع شهر شباط ـ فبراير ـ ، ولكنه لم يعد كما كان في السابق ، فقد تلقى شحنة قوية جداً ـ نتيجة مقابلته للفوهرر والدوتشي ـ ، وأنا لم أتعود على هذا النوع من الأشياء . نحن الآن على أحسن ما يرام مع الفيالق

الايطالية . إنهم حقاً مرضى في قلوبهم مما يعيقهم عن اللحاق بنا ، ولكن هذه الخطيئة ليست خطيئتهم .

لم تتمكن كافة العوائق التي أقيمت أو انتصبت لايقاف اندفاعة رومل ، من تحقيق هدفها . ومضى الفيلق الأفريقي في زحفه الظافر ، فاستولى على (بنغازي) يوم ٢٩ كانون الثاني ـ يناير ـ ثم تابع زحفه حتى استولى على برقة يوم ٦ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٢ (باستثناء مارماريك في الشرق) .

وكان بقاء القوات الايطالية حول مصوص واجدابية ومرسى البريغا سبباً في عدم تمكن رومل من تدمير القوات البريطانية التي انسحبت إلى خط (الغزالة ـ بير حكيم ـ طبرق)،مما اضطر رومل إلى اتخاذ خط دفاعي مقابل (ما بين المخيلة ـ وتمراد) . ووصلت بذلك معارك الشتاء حتى نهايتها . وأخذ الطرفان المتصارعان في الإعداد للجولة القادمة والاستعداد لها .

وكتب رومل إلى زوجته يوم ٤ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٢ .

لا نزال نتابع سيرنا على الطرقات منذ يوم ٢ شباط ـ فبراير ـ . استعدنا برقة . وقد انطلقت بسيري كسرعة البرق . ولي أمل الآن بأن أحضر لطرفكم خلال عشرة أيام ، وأن أحصل على إجازة جيدة ، ولكن لا زال أمامي كثير من الأعمال التي يجب انجازها هنا .

وتضمنت رسالة أخرى بتاريخ ٧ شباط ـ فبراير ـ ما يلي :

عاد كل شيء هادئاً على جبهتنا التي امتدت مسافة ٤٨٠ كيلومتراً ما بين جناحيها الأيسر والأيمن . وإنه لأمر ممتع حقاً

استعادة السيطرة على برقة . وأرجو أن يستقر الموقف بدرجة كافية خلال الأسابيع القادمة حتى أتمكن من الغياب عن مسرح العمليات ـ ولو لفترة قصيرة ـ . لقد تلقيت اليوم وساماً جديداً (نجمة على الصدر تعلق على الوسام الذي حصلت عليه والمحيط بالعنق) .

وفي رسالة يوم ١٠ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤١ .

ضقت ذرعاً بموقف روما . إنهم لا يوافقون على طريقتي في القيادة ، وسيكونون أسعد حالاً إذا ما رأونا وقد أخرجنا من برقة مرة أخرى .

وجاء في رسالة ٢٣ شباط ـ فبراير ـ .

سحب الايطاليون فيلقاً من قيادتي لأني ابتعدت كثيراً في تقدمي ، ولم أبق في الخلف كما يريدون ـ انهم سيندمون .

انصرف رومل لاعادة النظر في مخططاته للمستقبل . ثم كتب لزوجته لوسي يوم ٢١ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٢ .

اشتركت في الاحتفال الذي أقيم بالأمس بمناسبة عيد ميلاد كرووبل ـ رئيس هيئة أركان رومل ـ وكان احتفالاً ممتعاً . ثم غادرنا بإجازة لبضعة أيام ، وقد يمضي فترة في العلاج والنقاهة ، وأملي أن يعود ، إذ ليس من السهل العثور على من يضطلع بعمله هنا . . لقد اكتست برقة حالياً حلة خضراء ، حتى في المناطق الصحراوية التي عادة ما تكون قفرا والتي اختفت الآن تحت بساط أخضر . والمناخ إلى جوار البحر هو مناخ دافىء وممتع ، ولو أن الرياح لا زالت قوية . أما حيث نقيم نحن ـ على ارتفاع ٧٥٠ متراً ـ فالمناخ

بارد . ولدي الكثير مما يجب عمله ، رغم أن مواقعنا تتمتع بدرجة كافية من الأمن والحماية .

وكتب رومل رسالة يوم ٢٦ آذار ـ مارس ـ جاء فيها :

لا شيء يستحق الذكر ، غير أن صعوبات الامداد ، بصورة خاصة هنا في المرتفعات ، تسبب لي القلق المستمر . لقد وصل رئيس هيئة الأركان الجديد ، وأعطي إلى غامبارا قيادة في ايطاليا ، وقد ذهب غير مأسوف عليه ، أما بديله فقد ترك انطباعاً حسناً .

وعاد فكتب يوم ٢٩ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٢ .

يجب أن يكون هذا اليوم هو يوم الأحد . وها قد مضت عشرة أيام على عودتي إلى مقر قيادتي. إنني أقوم بجولات كثيرة ، وأذهب إلى كل مكان ، لأستيقن من تنفيذ الواجبات الملحة بصورة جيدة . وقد نزلت بي نهار الأمس ضربة شمس قوية ، غير أنني أصبحت على ما يرام .

وكتب يوم ٣١ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٢ .

لم أتمكن من الكتابة بالأمس لأننا عملنا على الانتقال ، ونشعر بالسعادة لتغيير مركز القيادة الذي جعلنا أكثر قرباً من الجبهة ، مما يجعلنا أكثر قدرة على كسب الوقت . كما أن المناظر في الموقع الجديد أكثر جمالاً ، والأزهار في أوج تفتحها في كل مكان . وقمت بتصوير المناظر بفيلم ملوّن سأبعثه لكم قريباً . وأتوقع أن يكتسي كل شيء عندنا باللون الأخضر قريباً . وأحب أن أشير إلى أن المنزل الذي أقمت فيه ، قد شغله الانكليز من قبل ، وكتبوا على جداره قبل

مغادرتهم لـه : « إحفـظوه نـظيفـاً ، فسنعـود إليـه عـما قـريب » . وسنرى .

ثم كتب يوم ٩ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٢ .

جـاء ـ كيسيلرينغ ـ لـزيارتنـا نهار الأمس ، وذكر أن حلفـاءنا الايـطاليـين لا يشعـرون بـالارتيـاح أو البهجـة . إنهم يكـدسـون المخـططات ويضعون المشـاريـع بـالجملة ولكـل مكـان . غـير أنهم يجهلون جهلاً تامـاً متطلبـات الحرب الحـديثة . وتنـظيم الامدادات سيء للغـاية ، بـالرغم من تحييـد مالـطا بصورة تـامة . أمـا هنـا ، فالأمور عـلى أفضل حـال ، باستثنـاء بعض المتاعب الصغـرى مـع التشكيلات الايطالية . وستكون الأسابيع الثـلاثة القـادمة مشحـونة بالعمل .

وفي رسالة اليوم التالي (١٠ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٢) جاء ما يلي :

اليوم الأحد ، وسأستقبل زائراً جاء من الـرايخ : إنـه أميرال من القيادة العليا . وإنه لأمر رائع أن يجيء هؤلاء السادة لزيارتنـا ما بـين فترة وأخـرى . وقـد وصلتنـا كميـة من الـطرود بمنـاسبـة عيـد الفصـح . وتـراكمت رسـائـل الحب التي كتبتهـا نسـاء من كـافـة الطبقات . لقـد اقتحمت غرفتي شـظية قنبلة متفجـرة ، دخلت من النـافذة ، واختـرقت معطفي وسـترتي وتـوقفت عـلى جـدار معـدتي الخارجي ، ولم تترك إلا بقعة متعددة الألـوان بحجم الصحن . مرة أخرى حالفني فيها الحظ .

وتضمنت رسالة يوم ٢٥ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٢ ما يلي :

كلمة إضافية أخرى قبل أن ننطلق إلى الجنوب ، عبر مناظر رائعة في ضوء القمر . ويأخذ الفجر في هذه البلاد منظراً رائعاً عندما يقف المرء فوق القمم المسطحة للجبال . درجة الحرارة تقارب الصفر ، ولكن الحرارة سرعان ما ترتفع مع إشراقة الشمس .

لقد حفل نهار الأمس بثلاث مقابلات مثيرة ، منها مقابلة مع الجنرال بارباسيتي ـ خلف غامبارا ـ وقد تم استدعاء هذا الأخير لأنه صرح أمام عدد من الضباط بأن رغبته الوحيدة هي رؤية اليوم الذي تتاح له فيه الفرصة لقيادة جيش ايطالي ضد الألمان ـ يا للغباء . وهذا كل شيء اليوم .

وبعد يومين (٢٧ نيسان ـ أبريل) كتب رومل في رسالته لزوجته .

سيصل ـ كيسيلرينغ ـ إلى هنا بعد ظهر اليوم ، وأنتظر بصبر فارغ معرفة ما سيحمله معه . كما سيصل باستيكو غداً ليقلدني وشاحاً جديداً إيطالياً . وليس باستطاعتي انكار فرحتي بهذا التقليد غير أني كنت أحب لو أرسلوا لي المزيد من الجند .

وفي اليوم التالي (٢٨ نيسان ـ أبريل) كتب رومل :

لم يكن باستطاعتي الكتابة إلا في المساء ، فقد كان كيسيلرينغ هنا في الصباح ، ولم يحمل من الأنباء ما هو جديد أو مهم . وفي روما ينتجون كمية من المخططات ، ولكن الشك لدي كبير في أن يتمكنوا من تنفيذها . وقلت من قبل رأيي بصراحة ووضوح للقيادة

الألمانية العليا . أما بالنسبة لزيارة باستيكو ، فقد تمت في جو ودي للغاية . وقلدني ، باسم الملك ، الوشاح الاستعماري الجديد . إنه عبارة عن نجمة من الفضة ، أكبر من سابقتها ، ويحملها وشاح أحمر مع قلادة صغيرة .

جاءت بعد ذلك رسالة يوم ١٢ أيار - مايو - ١٩٤٢ فتضمنت :

ما من جديد يمكن قوله ، إلا في موضوع الحرارة وكميات الغبار ، والطريق مكتظ بأعشاش الدجاج ، وقد اكتست جبهتنا بعض الظواهر النشطة . فالانكليز ينتظروننا ، ونحن بدورنا ننتظرهم . وسيعمل الجيشان قريباً على موازنة قواتهما . ولن يتأخر الوقت حتى تنقل لك الصحافة أخبار هذه الموازنة . وكلنا أمل في أن نتمكن من الوصول إلى وضع نهاية لهذه الحرب خلال ما بقي من أيام هذه السنة ، وبذلك تكون قد مضت ثلاث سنوات على الحرب في هذه الجبهة .

٥ - على أبواب مصر

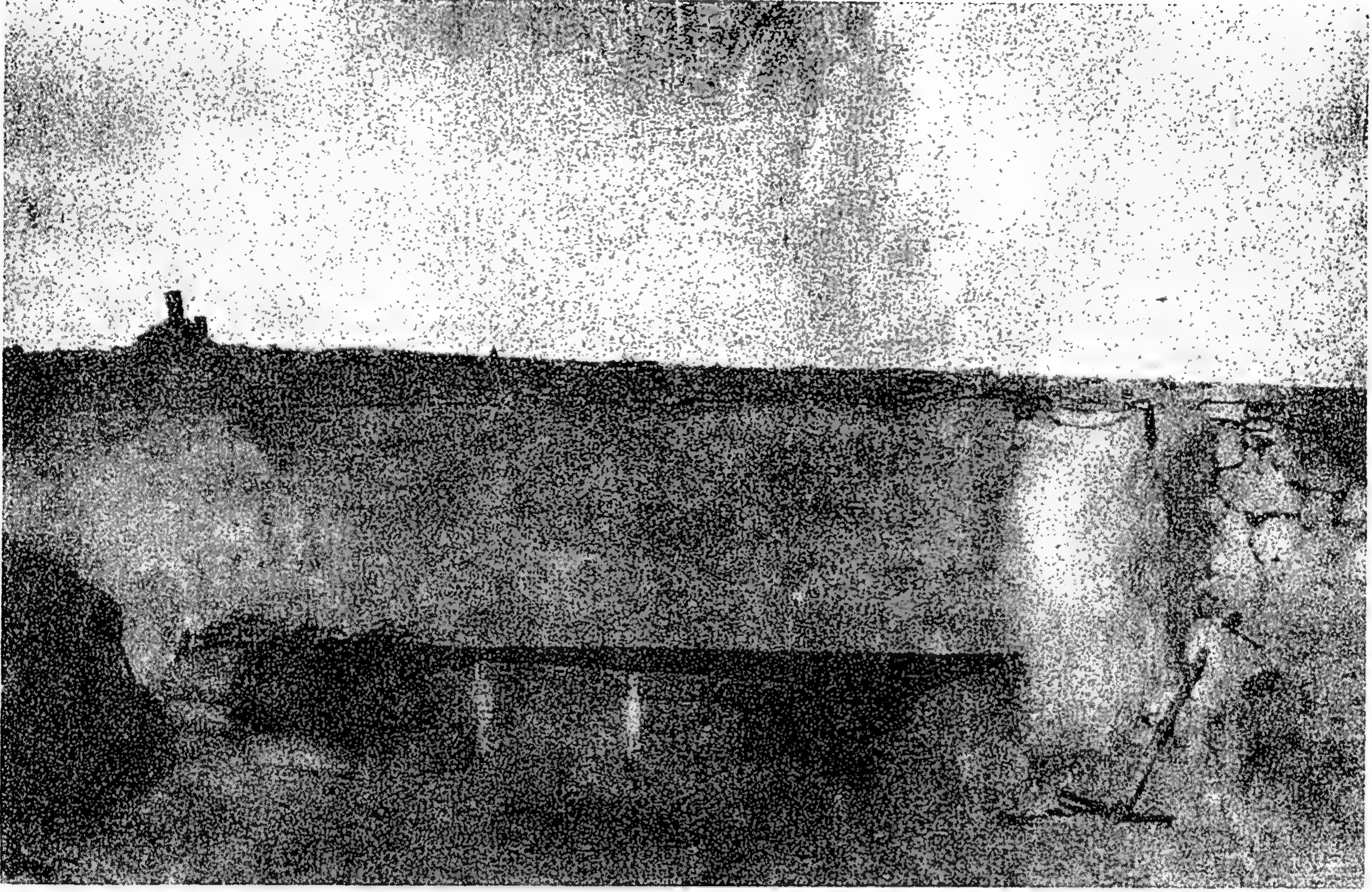
بقيت مشكلة تأمين الامدادات هي المشكلة الاولى التي أعاقت رومل عن تحقيق أهدافه . وعلى سبيل المثال ، فقد وصلت إلى أفريقيا في شهر نيسان - أبريل - ١٩٤٢ كمية ١٨ ألف طن من أصل ٦٠ ألف طن ، كان رومل قد طلبها لتأمين احتياجاته . وبقي مسرح أفريقيا يحتل المرتبة الثانوية في مخططات القيادة الألمانية العليا . ومقابل ذلك ، فقد استطاع البريطانيون تأمين امداداتهم رغم طول الطريق لارسال هذه الامدادات ، إذ

كـان يتم ارسالهـا مسـافـة ١٧ ألف كيلومـتر ، حـول رأس الـرجـاء الصـالح . وأعـطى البريـطانيون مسـرح العمليات الأفريقي الأهمية الاولى على مستوى سياستهم الاستراتيجية . وبذلـك توافـر للجيش البـريطاني الثـامن ، المـدافـع عن مصر في صيف سنـة ١٩٤٢، زهـاء ٩٠٠ دبابة منها ٢٠٠ دبابة أمريكيـة (غرانت) ، بينـما لم يكـن لدى رومل إلا ثلاثمائة دبابة (٣٢٠ بانزر و٢٤٠ ايطالية) .

كانت القوات البريطانية قد نظمت دفاعها عن مصر ، باقـامة خط دفاعي حصين ما بين (الغزالة وبير حكيم) كلفت بالدفاع عنه الفرقة البريطانية (٥٠) وفرقـة جنوب أفريقية ، واحيط هـذا الخط الـدفاعي بحقـل ألغام احتـوى ما يقـارب المليون لغم . وجهـز كل مـوقـع بـالمـدفعيـة . وأطلق عـلى الخط الـدفـاعي اسم (خط مارماريك) .



(رومل واقفاً) والجنرال غوز (جاثياً على ركبتيه ـ الى اليمين) أمام مدخل العربة التي استخدمت مقراً لقيادة رومل ، قبل الهجوم على قوات مونتغومري ، أمام ميدينين . آذار مارس ـ ١٩٤٣



تحصين دفاعي فرنسي في خط (ماريت)

وأدرك رومل أن البريطانيين سيعملون إن عاجلا أو آجلاً على مباغتته بهجوم كبير . ولم يكن باستطاعته التخلي عن المبادأة ، فقرر الانتقال إلى الهجوم . ولكن ضعف قواته دفعه للقيام بمناورات خداعية كثيرة ، وتحركات مستمرة ، ثم خاض حرب استنزاف ، انطلق منها للهجوم على القوات البريطانية . وهو ما ابرزته رسالته **يوم ٢٦ أيار ـ مايو ـ وفيها** :

« احتدمت حمى حرب الاستنزاف في الصحراء الغربية طوال الأسابيع الثلاثة الماضية . وكانت بداية سيئة للغاية ، ولكن يتبع ذلك تحقيق نجاحات سواء في المحافظة على مواقعنا أو في الهجمات ضد أهداف محدودة ، حيث تمكنا من سحق وحدات بريطانية على التتابع ، رغم ما أظهرته هذه الوحدات من صلابة في القتال . ولقد كان البريطانيون أكثر قوة منا بدرجة كبيرة . ولقد بوغت العالم بما

حققته وحداتنا الألمانية ـ الايطاليـة من انتصارات رائعـة . وتعرضت الاجراءات التي اتخذها قائد قوات العـدو ـ الجنرال ريتشي ـ لـلانتقاد المرير ».

وكـتب رومـــل إلى زوجـتـــه (لـــوسي) في اليـــوم الـتـــالي (٢٧ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٢) ما يلي :

ستنقـل إليـك أخبـار الجيش الألمـاني ، وأنت تتلقـين هـذه الرسالة ، ما يحدث على مسرح العمليات هنا . فقد انطلقنا اليوم في هجوم حاسم . وسيكـون هجوماً صعباً ، غـير أني على ثقـة من أن رجالي سيحققون النصر ، إذ أنهم يعرفون جميـع تفاصيـل العملية ، ولا حاجة بي لأذكر ما هـو الدور الـذي سأضـطلع به . إني أعتمـد كثيـراً عـلى مـا سـأطلبـه من نفسي ، ومـا سـأطلبه من ضبـاطي وجنودي . إن أفكاري تحلق غالباً لتعيش معكم ، ولا سيما في هذه الساعات الهامة .

كـان رومل قـد انطلق بهجـومه في السـاعة ١٤,٠٠ من يـوم ٢٦ أيار ـ مايو ـ بعد تمهيد مدفعي كثيـف . وقامت القوات الايـطالية من المشاة بالهجوم جبهياً على خط الغزالة ، بهدف خداع البريطانيين عن اتجاه الهجوم الحقيقي ، وحملهم عـلى حشد دبـاباتهم في المنـطقة التي لا يريد رومـل مهاجمتهـا . وقامت مجمـوعة مـدرعة من لـواءين ، ألماني وإيطالي ، بمتـابعة الهجـوم حتى المساء ، حيث انسحبتـا ولحقتا بالكتلة الرئيسة المكلفة بالهجوم الأسـاسي . وكذلـك فعلت مجموعـة الصدمة (الفـرقة الخفيفة ٩٠ من الفيلق الأفريقي والفيلق الايـطالي العشرين) حيث تجمعت للتحرك .

وفي الساعة ٢٠,٣٠ من يوم ٣٠ أيار ـ مايو ١٩٤٢ أصدر روميل أمره لتنفيذ مخطط (فينيسيا) ، فاهتزت الأرض بثقل عشرة آلاف مركبة وهي تتحرك تحت ضوء القمر ، نحو ميدان معركة المدرعات الكبرى ، فيما كانت الأضواء الباهرة تلتمع في الأفق البعيد ، حيث كان يقوم سلاح الجو الألماني بتعليم الاتجاه في منطقة (بير حكيم) ، وهي المنطقة التي وصلت القوات الألمانية إلى جنوبها الشرقي عند الفجر، وتوقفت فيها للاستراحة لمدة ساعة ، بعد حركة التفافها الواسعة . ثم استأنفت تحركها وسط عاصفة من الغبار والرمال ، واخترقت حقول الألغام . واستولت على مستودعات امدادات ضخمة للقوات البريطانية . ثم أخذت حمى المعركة في التصاعد . وتعرضت قوات روميل لخسائر كبيرة ، ولكن هذه القوات تابعت صراعها المرير ، فأمكن لها تدمير المقاومات البريطانية على التتابع .

وكتب روميل إلى زوجته يوم ٣١ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٢ .

أمكن تجاوز المرحلة الحرجة من المعركة . واستطعنا حتى الآن تحقيق نتائج جيدة، غير أن الأيام القادمة ستكون بدورها أياماً صعبة . لقد وقع كروويل ـ قائد الفيلق ـ في قبضة الانكليز ، ولدي الأمل في أن أتمكن من تحريره ، وانقاذه من الأسر .

وعاد روميل في اليوم التالي (١ حزيران ـ يونيو) فكتب ما يلي :

تتطور المعركة بشكل ملائم . دمرنا للعدو ٤٠٠ دبابة تقريباً . أما خسائرنا فمقبولة ومحتملة .

بدأ رومل بتطويق بير حكيم في ليل ١ ـ ٢ حزيران ـ يونيو ـ والتي كانت تدافع عنها بصورة أساسية قوات فرنسية . وقام سلاح الطيران الألماني بقصف المواقع المعادية ، ومهدت المدفعية للهجوم الأول الذي تم تنفيذه يوم ٢ حزيران ـ يونيو ـ وكان عدد دبابات رومل قد انخفض من ٣٢٠ دبابة إلى ١٣٠ ، ولكن وحدات الصيانة كانت تعمل بجهد كبير لإصلاح الدبابات المعطوبة ، وإرسال ما يتم إصلاحه منها إلى المعركة فوراً .

وكتب رومل يوم ٣ حزيران ـ يونيو ـ

استمرت المعركة ، غير أن الموقف أصبح ملائماً بالنسبة لنا ، حتى أنني لم أعد أعاني من القلق الكبير ، وأظن أن هذا القلق سيزول تماماً عندما نحقق أهدافنا .

وتضمنت رسالة رومل يوم ٨ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢ ـ إلى زوجته لوسي ـ ما يلي :

كانت أحداث اليومين الماضيين مثيرة حقاً ، بقدر ما كانت ظافرة أيضاً . وإنك ولا ريب علمت وذلك من نشرة أخبار الجيش الألماني . وقد يستمر القتال هنا لمدة خمسة عشر يوماً أيضاً . ولي أمل أن تتطور الأمور نحو الأفضل .فكرت بكم بقوة أكثر من قوة معركة الدبابات يوم ٦ حزيران ـ يونيو ـ (وهو يوم عيد ميلاد السيدة رومل) ، وأرجو أن تكون تمنياتي التي بعثتها لكم من أفريقيا قد وصلتكم في اللحظة المناسبة .

وكتب رومل في رسالته يوم ١٥ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢ .

انهار العدو ، وكسبنا المعركة . ودمرنا الآن بقايا جيشه التي

تم تطويقها - في سيدي رزق - وليس باستطاعتي وصف فرحي . ففي هذه المرة كنسنا العدو بقوة ، وتعرضنا مقابل ذلك لخسائر مؤسفة في كل مكان . . . . صحتي جيدة وبشكل رائع ، عشت الأيام الماضية بكاملها في عربتي . ولم يكن لدي في المساء،من كل يوم متسعاً من الوقت لمغادرة ميدان المعركة . قد تتاح لنا فرصة اللقاء في شهر تموز - يوليو - .

جابه رومل خلال هذه المعركة صعوبات كثيرة ، فقد كانت مقاومة البريطانيين والفرنسيين والهنود مقاومة ضارية ، وفي أحيان كثيرة يائسة ، بحيث اضطرت القوات الألمانية والايطالية لانتزاع كل موقع انتزاعاً ، وتدمير كل حصن ، بل وكل مدفع ، بعد قتال شرس . وفشلت كل الهجمات المضادة للقوات البريطانية والفرنسية . وقد تعرض الطيران الألماني الانقضاضي - الشتوكا - للخسائر الفادحة ، بحيث وصلت الخسائر في أحد أيام القتال إلى أربعين طائرة ، مما أقلق قائد القوات الجوية كيسيلرينغ ، ودفعه إلى طلب تكثيف الهجمات البرية للقضاء على المقاومات الأرضية،غير أن رومل كان عاجزاً عن فعل أكثر مما فعله . وتعرضت بعض الوحدات الألمانية - الايطالية للتطويق ، ولم يكن باستطاعة رومل التخلي عنها ، فأسرع لزج قواته لإخراجها من مأزقها . وكان من نتيجة ذلك (يوم ١٠ حزيران - يونيو) أن تم الاستيلاء على بعض المواقع الفرنسية في (بير حكيم) . وتبين لرومل آنئذ أن البريطانيين قد نظموا (في بير حكيم) أكثر من ١٢٠٠ موقعاً دفاعياً ، سواء لقوات المشاة ، أو للأسلحة الثقيلة . ويظهر ذلك مدى الجهد الذي بذلته القوات الألمانية للاستيلاء على

بير حكيم . وقد تم ذلك بفضل اندفاع قوة البانزر ، ونجاحها في تطويق المدرعات البريطانية (يوم ١٢ حزيران ـ يونيو) وتدميرها على التتابع ، رغم ما أبدته هذه المدرعات من مقاومة ضارية ، وعناد في القتال . وعندما انتهت المعركة ، كان محور تقدم القوات الألمانية ـ الايطالية (طريق بعلبيه) عبارة عن خط من النيران . وقد استمرت بقايا قوات البانزر في تقدمها ، فوصلت إلى ساحل البحر يوم ١٥ حزيران ـ يونيو ـ وتجاوزت طبرق ، فوصلت السلوم ومادلينا . وعندها حانت اللحظة التي طالما انتظرها رومل وهي الهجوم على طبرق . فأعاد تنظيم قواته بسرعة ، وأمكن بعد ظهر يوم ١٩ حزيران ـ يونيو ـ إحكام الحصار على طبرق ، واحتلت وحدات الفيلق الأفريقي مواقعها للهجوم على أقوى قلعة حصينة في ليبيا ـ وربما في أفريقيا كلها ـ والتي كانت تدافع عنها فرقة جنوب أفريقيا الثانية ولواء هندي وفوجان من قوات الحرس البريطاني ، بالإضافة إلى عدد من ألوية المدرعات وألوية المدفعية . ورغم تدمير الفرقتين المدرعتين البريطانيتين في معارك الاسبوعين السابقين ، إلا أنه كان من المتوقع إرسال دعم عاجل من قوات وادي النيل ، لامداد حامية طبرق . ولهذا وضع رومل مخططه للاستيلاء على طبرق بأسرع ما يمكن ، وحشد كل القوى المتوافرة لديه للمعركة الحاسمة .

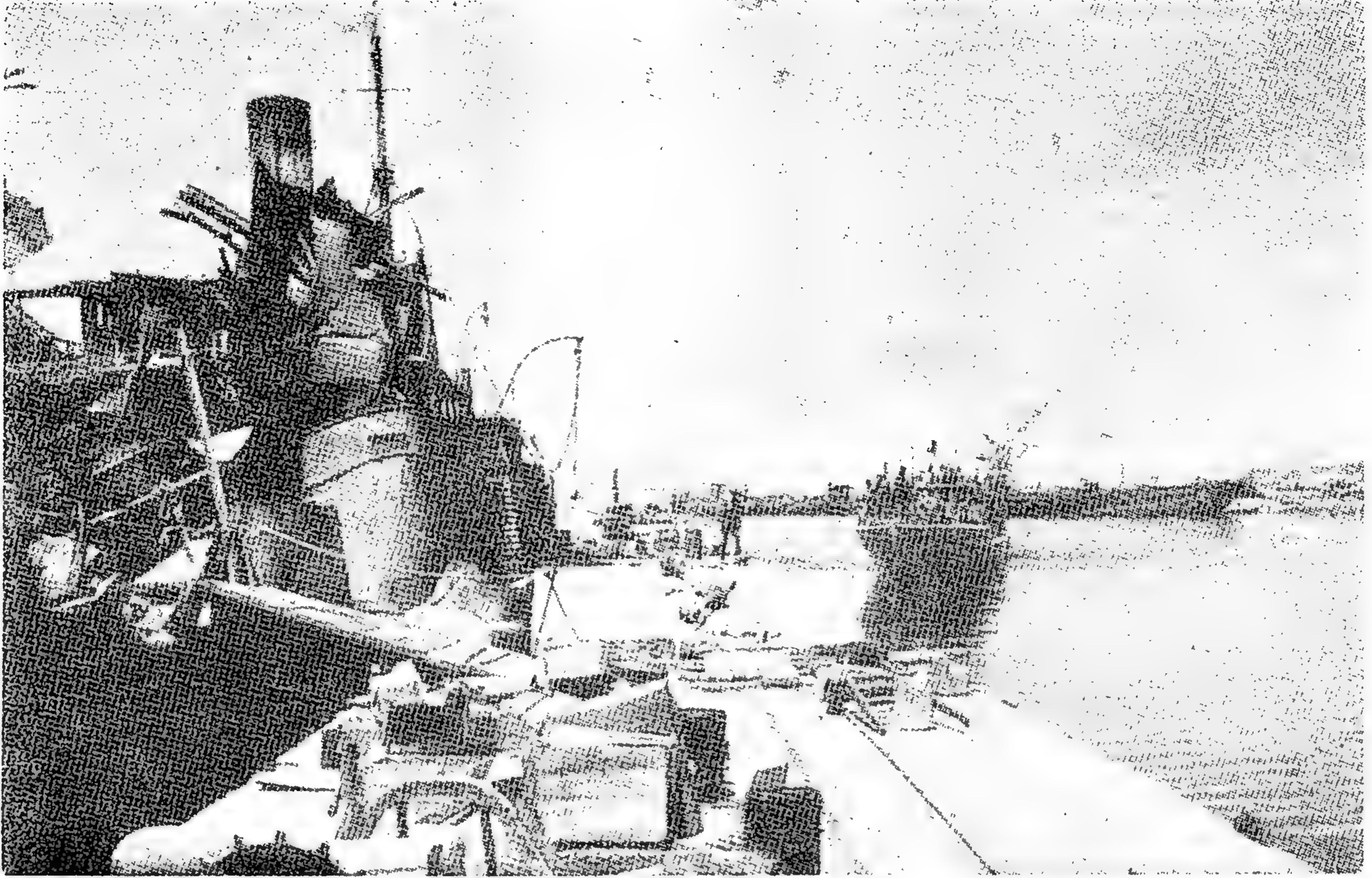
وبعد أن أنهى رومل استعداداته ، **كتب رسالته يوم ٢٠ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢ وفيها** :

لم أنم في الليلة الماضية أكثر من ساعتين . لقد أزف حقاً اليوم الحاسم ، وأرجو أن يسعفني الحظ . انني متعب جداً ، وما عدا ذلك فكل شيء على ما يرام .

وتحقق لرومل ما كان يرجوه ، فاحتل طبرق . وصعق العالم لهذا النبأ . وأسرعت القيادة الألمانية (الفوهرر) فتم ترفيع رومل لرتبة ماريشال . وأصدر رومل أمره اليومي فهنأ الوحدات بالنصر ، وطلب إليها متابعة الجهد للوصول إلى مصر . ولكن الوصول إلى مصر ، واقتحامها كان يتطلب توافر قوات احتياطية جديدة ، وكان الامداد الألماني ـ الايطالي يعاني من الاختناق ، وقلة الموارد . ولهذا فما إن وصل رومل إلى (السلوم) حتى وجد أن وحداته التي استنزفتها أعمال القتال المستمرة ، قد باتت عاجزة عن خوض معارك جديدة ، فاضطر للتوقف على أمل الحصول على امدادات تمكنه من اجتياح الشرق الأوسط، والوصول إلى القوقاز عبر العراق وإيران .



مدخل طبرق لحظة اقتحام القوات الالمانية ـ الايطالية



أرصفة ميناء طبرق (٢١ حزيران = يونيو - ١٩٤٢)



رومل يدخل طبرق



رومل يراقب الموقف خلال معركة طبرق

٦ - في (مرسى مطروح) و (العلمين)

لقد حقق رومل انتصاره في (طبرق) ضد عدو متفوق تفوقاً كبيراً ، وكان الثمن الـذي دفعه مقـابل هـذا النصر باهـظاً جداً من أرواح جنده ووسائـطه القتاليـة . وقد وجـد فيما غنمـه من مركبـات ووسائط قتالية وذخائر ووقود وإمـدادات من كل الأنـواع عونـاً لـه ، أفاد منها لدعم قواته بالقدرة لمتابعـة الهجوم . وكـان هدفـه استثمار انتصاراته ، والافادة من الضعف البريطاني المؤقت للانـدفاع بـأقصى سرعة في الحدود المصرية ، وذلك حتى لا يتيـح للبريـطانيين فـرصة إعادة تنظيم قواتهم ، وتشكيل مقـاومات جـديدة تعيق تحـركه نحـو الاسكندرية وقناة السويس .

وكان من الطبيعي ، ومن المتوقع ، أن تصطدم مشاريع رومل

الطموحة بمقاومة أصحاب (مدرسة الحرب التقليدية)، الذين كانوا يرون في تقديم رومل البعيد خطراً على خطوط امداده وتموينه ، بالإضافة إلى ضعف قوات رومل بالمقارنة مع ما حشده البريطانيون من قوات متفوقة في (السلوم) و (العلمين) . ولكن رومل استطاع مرة أخرى الانتصار على معارضيه ، وحصل على موافقة (الدوتشي - موسوليني) بالتقدم إلى مصر يوم ٢٢ حزيران - يونيو - ١٩٤٢ .

وفي اليوم التالي (٢٣ حزيران - يونيو) كتب رومل إلى زوجته :

إننا نتحرك باستمرار ، ونأمل أن نتمكن من توجيه ضربتنا التالية قريباً . وتبدو لي أحداث الاسبوع الأخير وكأنها حلم . . . صحتي جيدة وأنام بعمق .

* ** ١ ** *

وصلت القوات المتقدمة لرومل يوم ٢٥ حزيران - يونيو - إلى نقطة تبعد مسافة ٤٥ كم فقط إلى الغرب من (مرسى مطروح) . ولكن الفيلق الافريقي كان في حالة متدنية من القدرة القتالية ، بحيث لم يعد لديه أكثر من ٥٠ دبابة بانزر ، كما أن الفرق الإيطالية (آدييت وترييست) لم تعد تمتلك أكثر من ١٤ دبابة و٣٠ مدفعاً وألفي رجل .

وفي هذا اليوم (٢٥ حزيران) انطلقت طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني (٢٠٠ طائرة ذات محركين و٣٦٠ طائرة ذات محرك واحد) لتعمل بأقصى طاقتها ، ولتوجه ضرباتها المحكمة ضد دبابات

روملِ وآلياته . ثم تابعت جهدها في اليوم التالي ، بينما كان سلاح الجو الألماني في حالة غياب كامل عن سماء المعركة . وبالرغم من ذلك كله ، وصلت قوات روملِ المتقدمة إلى مسافة ١٥ كم ، غرب (مرسى مطروح) . وكانت القوات البريطانية ، تتابع انسحابها تحت حماية قوات الاستطلاع ، لتنظم مواقعها حول مرسى مطروح .

وكتب روملِ يوم ٢٦ حزيران - يونيو - .

أكملنا اليوم قفزتنا الواسعة إلى الأمام ، بعد يومين من المسير الشاق ، ونأمل أن نشن هجومنا اليوم ضد ما تبقى من قوات العدو . وأقيم منذ أيام في عربتي - مع رئيس الأركان غوز - ولدينا متسع من الوقت لتناول الطعام . وقد أقامت القيادة العامة مقرها على الساحل منذ عشرين ساعة مما أتاح لي الفرصة للاستحمام بمياه البحر نهار الأمس واليوم ، ولكن المياه دافئة جداً . العمل أمامنا كثير ، وسيزورنا اليوم اثنان من القادة الإيطاليين (كافاليرو ورانتلن) بهدف الحد من اندفاعنا . انهم لا يتغيرون .

* * *

في هذا اليوم ذاته (٢٦ حزيران - يونيو) ، أكمل روملِ نشر قواته حول مرسى مطروح . ولم تكن الحامية المدافعة عن التحصينات تمتلك القدرة التي كانت تمتلكها في (طبرق) ، إلا أنها كانت تمتلك قدرة قتالية جيدة ، فقد نظمت المواقع الدفاعية مسبقاً بصورة جيدة ، واحيطت بنطاق من حقول الألغام (٢٠٠ ألف لغم تقريباً) . وكانت الفرقة النيوزيلاندية تتمركز على بعد ٣٢ كم إلى الجنوب من (مرسى مطروح) ، والتي كانت حاميتها مسلحة بصورة

جيدة بالمدفعية والدبابات الأمريكية (المتوسطة ، والمتفوقة بنوعيتها على البانزر الألمانية) .

وكتب رومل إلى زوجته لوسي يوم ٢٧ حزيران - يونيو - ١٩٤٢ .

لا نزال أبداً في حركة دائمة ، ونأمل أن يستمر هذا حتى النهاية . إن التحرك المستمر يستنزف طاقتنا بالتأكيد ، ولكن هذا هو قدرنا . يبدي العدو مقاومة يائسة بفضل دعم قواته الجوية . ملاحظة : قد نلتقي في إيطاليا خلال شهر تموز - يوليو - فأعدوا جوازات سفركم .

وجاء في رسالته يوم ٢٩ حزيران - يونيو - ١٩٤٢ .

انتهت معركة مرسى مطروح ، وحققنا انتصاراً جديداً . وحداتنا في المقدمة باتت على بعد ٢٠٠ كم من الاسكندرية ، ولا زال أمامنا بعض المعارك قبل بلوغ أهدافنا ، غير أني أعتقد بأن أسوأ أيامنا قد خلفناها بعيداً وراءنا . صحتي جيدة . إن بعض الأعمال تتطلب جهداً يصل حتى مرحلة الانهيار الجسدي ، ولكن هناك فترات أكثر هدوءاً يمكن خلالها استعادة النشاط . إننا على بعد ٤٨٠ كيلومتراً إلى الشرق من طبرق . ولقد نظم الانكليز شبكة خطوط برية وحديدية رائعة .

* * *

غنمت قوات رومل من (مرسى مطروح) غنائم وفيرة ، من الامدادات ومخازن الأعتدة ووسائط الحرب المتنوعة ، بما يكفي لتجهيز فرقة كاملة ، بالإضافة إلى ٤٠ دبابة و٦ آلاف أسير . غير أن

البريطانيين نجحوا في سحب معظم قواتهم إلى الخط الدفاعي الجديد في (العلمين) ، كما دعموا هذا الخط بقوات زجوها بسرعة من حامية مصر .

وكتب رومل يوم ٣٠ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢ .

ما إن فرغنا من احتلال مرسى مطروح بالأمس ، حتى تابع الجيش تقدمه خلال الليل ، فتقدمنا مسافة ٩٥ كيلومتراً على اتجاه الشرق ، وأصبحنا على أقل من مسافة ١٦٠ كم من الاسكندرية .

هكذا مضت خمسة أسابيع على قوات رومل وهي في صراعها المرير ضد قوات عدو متفوق . وقد استنزفت معارك هذه الفترة قوات رومل ، ولولا ما استولت عليه من امدادات البريطانيين ومستودعاتهم في طبرق ، ثم في مرسى مطروح ، لما استطاعت متابعة تقدمها . وقد أصبحت عربات نقل الجند البريطانية تشكل ٨٥ بالمائة من مجموع عربات نقل قوات رومل ، غير أن استمرار الصراع كان يستنزف قوات رومل بسرعة . وفي هذه الفترة لم يصله من الامدادات إلا ثلاثة آلاف طن من أصل ستين ألف طن (أي بمعدل واحد من عشرين مما كان مقرراً إرساله له من احتياجات ملحة) .

وقد أسهم الايطاليون إسهاماً كبيراً في إعاقة وصول الامدادات إلى رومل ، سواء بسبب تعقيد جهازهم الإداري والذي لم يحاولوا إصلاحه . أو بسبب تعمد ضباط البحرية الايطاليين ـ المناوئين لنظام موسوليني ـ وضع العراقيل أمام رومل ، على أمل إتاحة الفرصة للبريطانيين حتى يحرزوا انتصارهم على رومل وعلى قواته الألمانية ـ الايطالية .

ومقابل ذلك ، كانت القيادة البريطانية تقدر تقديراً صحيحاً أهمية الأعمال القتالية الأفريقية ، ومدى تأثيرها على مسيرة الحرب بكاملها ، فأسرعت للعمل بصورة مذهلة ، واستنفرت قدراتها الكاملة لمعالجة الموقف ، وارسلت الدعم السريع إلى جبهة العلمين ، فيما كثف سلاح الجو الملكي البريطاني جهوده لضرب قوات رومل المتحركة ، والتي تمكنت في يوم ٢ تموز - يوليو - ١٩٤٢ من استئناف هجومها على الاتجاه الشمالي الشرقي ، للقيام بعملية اختراق نحو الساحل على بعد ١٢ كم فقط إلى الشرق من العلمين .

أفادت الفرقة الخفيفة (٩٠) من ضوء القمر ، فانطلقت لتنفيذ أمر رومل في الساعة ٢١,٣٠ ، بالتقدم على امتداد الطريق الساحلي ، بمهمة فتح الطرق إلى الاسكندرية . غير أن القوات البريطانية شرعت في دعم مواقعها ساعة بعد ساعة ، مما أحبط تقدم قوات رومل على هذا الاتجاه . كما اصطدمت قوات الفيلق الأفريقي خلال هجمات هذا اليوم ذاته (٢ تموز - يوليو) بمقاومة البريطانيين في شرق العلمين ، مما اضطرها للتوقف بعد معارك ضارية .

وكتب رومل إلى زوجته :

فقدنا هنا الاحساس بالزمن . القتال ضار أمام الموقع الأخير على طريق الاسكندرية . قضيت الأيام الماضية في الجبهة ، وأعيش في عربتي أو في جحر رملي . لقد حول الطيران البريطاني حياتنا إلى جحيم . لا زال أملي كبير في توجيه الأمور نحو الأفضل . أشكرك من كل قلبي على جميع رسائلك الحبيبة . وصلنا جبل من الرسائل،

وسكرتيري الخاص ـ بوتشر ـ ليس هنا ، لعله الآن مع عربة الاستراحة (الكارافان) على بعد سبعمائة كيلومتر إلى الغرب .

وتضمنت رسالته ليوم ٤ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٢ .

تجري الأمور خلافاً لما أريده ، لسوء الحظ ، فالمقاومة شديدة جداً ، وقواتنا مستنزفة ، ورغم ذلك فلا زلت أعيش على أمل إيجاد الوسيلة لبلوغ هدفنا . إني منهك ومستنزف .

وفي رسالة اليوم التالي (٥ تموز ـ يوليو) جاء ما يلي :

نعيش أياماً حرجة للغاية ، ولكني آمل في رؤيتها وهي تمر وتنقضي . . . تسير عملية تجميع القوات بصورة بطيئة جداً ، وإنه لأمر صعب في أن نتعثر وقد وصلنا حتى مسافة ٩٠ كيلومتراً من الاسكندرية . ولا بد من نهاية لهذا الذي نشهده .

كان تقدم رومل إلى مصر ، والبلاد العربية ، يتطلب توافر تشكيلات قتالية جديدة ، تقوم بتبديل القوات والتشكيلات التي استنزفتها الأعمال القتالية ، مع توافر إمدادات منتظمة بكميات كافية . وكانت قواعد رومل للامداد ـ في بنغازي وطرابلس ـ قد باتت بعيدة عنه بمسافة ١٢٠٠ حتى ٢٢٠٠ كيلومتر . وكان رومل يفتقر للقدرة لمتابعة التقدم . فكانت القوات التي وصلت معه إلى مصر ـ في يوم ٨ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٢ ـ مكونة من :

١ ـ الوحدات الألمانية : الفيلق الأفريقي (فرقتي البانزر ١٥ و٢١) ومعه ٥٠ دبابة بانزر فقط . وكانت كل فرقة تضم لواء من المشاة لا تزيد قوته على ٣٠٠ رجل مع ١٠ مدافع مضادة للطائرات في كل لواء وسبع كتائب مدفعية . أما اللواء الخفيف

٩٠ فكان يضم ٤ كتائب من المشاة وصل تعداد أفرادها جميعاً حتى ١٥٠٠ رجل ، ومعه ٣٠ مدفع مضاد للطائرات وبطاريتي مدفعية . وهناك أيضاً ٣ أفواج استطلاع لديها ١٥ دبابة استطلاع و٢٠ مدفع رشاش محمول و٣ بطاريات مما غنمته القوات من البريطانيين . وكانت مدفعية الجيش الألماني مكونة من ١١ بطارية ثقيلة و٤ بطاريات خفيفة . وكان لدى المدفعية المضادة للطائرات ٢٦ قطعة مدفعية من عيار ٨٨ مم و٢٥ مدفعاً من عيار ٢٠ مم .

٢ ـ الوحدات الإيطالية : الفيلق ٢٠ الآلي والذي يضم فرقتي مدرعات وفرقة آلية ،تمتلك جميعها ٥٤ دبابة. وكان عدد أفراد أفواج المشاة الآلية لا يتجاوز ١٦٠٠ رجل (في ٨ أفواج) ومعها ٤٠ بطارية مدافع مضادة للدبابات و٦ بطاريات مدفعية خفيفة .

أما بقايا الفيلقين الايطاليين العاشر والواحد والعشرين ، فكانت تضم ١١ فوجاً من المشاة لا يزيد عدد أفراد كل فوج منها على مائتي رجل ، ومعهم ٣٠ بطارية مدفعية خفيفة و١١ بطارية ثقيلة . ولم يكن لدى مدفعية الجيش الإيطالي أكثر من أربع بطاريات ثقيلة .

تلكم هي القوات التي وصلت مع رومل إلى أبواب مصر ، وطرقتها بعنف وقوة . ولكن ظاهرة العنف والقوة لم تتمكن من إخفاء الضعف الحقيقي الذي وصلته هذه القوات . وبالرغم من ذلك ، فقد حاول رومل متابعة نهجه الهجومي في محاولة لاستثمار نقاط الضعف في التنظيم الدفاعي للبريطانيين على جبهة العلمين . فنظم هجوماً ضد جنوب العلمين (يومي ٨ و٩ تموز ـ يوليو) غير أن

هذا الهجوم اصطدم بمقاومة النيوزيلانديين الضارية . ثم استمرت الهجمات في الأيام التالية ، فيما كان الجيش البريطاني الثامن يتلقى كل يوم المزيد من الدعم والامدادات ، مما ساعده على تشكيل جبهة قوية ما بين البحر ومنخفض القطارة ، فبات من الصعب على رومل الاستدارة حول منخفض القطارة بسبب صعوبة التحرك على تلك الأرض الرملية ، كما كان الهجوم الجبهي على هذه الجبهة عقيماً . وظهر بوضوح أن رومل قد بات عاجزاً عن التحرك ، مما ضمن الاستقرار على جبهة العلمين .

وكتب رومل إلى زوجته (لوسي) يوم ١٢ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٢ .

بقي الموقف خطيراً للغاية طوال الأيام الأخيرة الماضية . ونحن بصدد تسوية الأمور بصورة بطيئة . ولا زال الجو مشحوناً بالتوتر . وأملي اجراء قفزة غداً نحو الأمام .

وتضمنت رسالة اليوم التالي (١٣ تموز ـ يوليو) .

سيكون اليوم من الأيام الحاسمة في معركتنا القاسية . كل ما في الصحراء يتحرك . وأرسل إليك وإلى مانفرد ـ ابن رومل ـ هذه الفكرة ومعها كل ما يحمله لكم القلب من الحب .

وفي رسالة يوم ١٤ تموز ـ يوليو ـ ورد ما يلي :

أدى هجوم الأمس إلى الفشل ، فنزل بي شعور مرير بالاحباط . ويجب الآن توجيه ضربة جديدة ، وسنعيد وضع مخططات للعمليات الجديدة ، والتي سيتم تنفيذها بحماسة متجددة . صحتي الجسدية ـ الفيزيولوجية ـ جيدة . ولقد ارتديت

اليوم وللمرة الأولى البنطال القصير ، فالحرارة لاهبة . إن المعارك على جبهة الشرق(*) تسير بشكل رائع ، مما يعطينا الشجاعة لمتابعة الجهد هنا .

وعاد فكتب يوم ١٧ تموز - يوليو - ١٩٤٢ .

تسير الأمور بالنسبة لي في هذه اللحظة بصورة سيئة جداً ، في المجال العسكري على الأقل ، إذ يستفيد العدو من تفوقه بقوات المشاة خاصة ، لتدمير القوات الايطالية ، وحدة بعد وحدة ، كما أن القوات الألمانية ستبقى ضعيفة إذا ما تركت وحدها . إنه أمر يدعو للبكاء .

وجاء في رسالة اليوم التالي (١٨ تموز - يوليو) .

كان نهار الأمس بخاصة حرجاً وقاسياً ، ولما ننته منه بعد ، غير أن ذلك لن يستمر طويلاً ، وقد تنهار الجبهة . إنها المرحلة الأكثر صعوبة ، عسكرياً ، من بين كل ما جابهته وتجاوزته . وهناك دعم قد يصلنا ، طبيعياً ، ولكن هل سنعيش إلى أن يصل هذا الدعم ؟ تعرفين أني متفائل أبداً ، ولكن هناك مواقف مظلمة جداً لا تثير التفاؤل ، ومنها الموقف في هذه المرحلة ، ولكنها ستمر وتمضي يقيناً .

تابع البريطانيون شن هجماتهم العنيفة ضد قوات رومل ، وهي الهجمات التي بلغت ذروة شدتها يوم ٢٢ تموز - يوليو -

---

(*) يشير رومل بذلك إلى بدء الهجوم الألماني في نهاية شهر حزيران - يونيو - ١٩٤٢ للاستيلاء على ستالينغراد ، ثم الوصول إلى منابع البترول في القوقاز.

واستطاعت قوات رومل إحباطها . فوجه رومل على الأثر برقية إلى جميع قواته ووحداته ، جاء فيها :

« أعبر لكم جميعاً عن مشاعر الرضى لسلوككم الرائع خلال دفاعنا الظافر يوم ٢٢ تموز - يوليو - وكلي ثقة بأن جميع الهجمات الجديدة للعدو ستتلقى الضربات بالطريقة ذاتها » .

ثم كتب يوم ٢٦ تموز - يوليو - رسالة إلى زوجته لوسي - جاء فيها :

مضى نهار الأمس هادئاً ، وذهبت حتى منخفض القطارة . وكم هو مشهد رائع ؟ إنه ينخفض عن مستوى البحر . لقد أخذت جبهتنا بالانتظام ، ويظهر أن قلقنا الكبير قد وصل إلى نهايته .

* * *

أتاحت فرصة الهدوء النسبي على جبهة العلمين لرومل المجال لإعادة تقويم الموقف ، تقويماً شاملاً . لقد استطاع . خلال الفترة ما بين ٢٦ أيار - مايو - و٣٠ تموز - يوليو - ١٩٤٢ ، أن يحصل على ٦٠ ألف أسير ما بين انكليزي ونيوزيلاندي وفرنسي واسترالي وهندي ، وجنوب أفريقي . وتمكن بقواته من تدمير ما يزيد على ألفي دبابة ومركبة مدرعة ، بالإضافة إلى الاستيلاء على آلاف المركبات التي استخدمها وجهز قواته بها .

وبالمقابل فقد تعرضت قواته لخسائر كبيرة . فقد قتل في الفترة ذاتها ٢٣٠٠ ضابط ألماني وجندي ، وأصيب ٧٥٠٠ بجراح وضعتهم خارج القتال . وسقط في قبضة البريطانيين ٢٧٠٠ من قواته ، بالإضافة إلى ما خسره من الأعتدة والوسائط القتالية . ولقد حقق

انتصارات باهرة وضعته على أبواب مصر ، ولكن ها هو يقف بقواته في حالة سيئة . إنه لم يحقق بعدما كان يطمح إليه وهو اجتياح الشرق الأوسط . ليس ذلك فحسب ، بل إن وقوفه في مواجهة جبهة العلمين قد وضعته أمام مأزق صعب ، وفي موقف مجهول .

وكتب إلى زوجته يوم ٢ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٢ .

كل شيء هادىء الآن باستثناء النشاط الكثيف لطيران العدو ضد خطوط امدادي ومواصلاتي . وأجد متعة في كل يوم بهذه المهلة التي أتيحت لي . ولدينا أعداد كبيرة من المرضى . وهناك أعداد من أقدم الضباط ، وقد بدأوا الآن بالانهيار . وأخذت أشعر أنا أيضاً بالتعب ، والانهاك ، على الرغم من توافر الامكانية حالياً للاعتناء قليلاً بصحتي .

بات الطريق الحديدي البريطاني ما بين طبرق والجبهة متوقفاً لسوء الحظ ، ونحن ننتظر وصول قاطرات لاستخدامه .

إن تمسكنا بمواقعنا في العلمين قد ألزمنا بخوض أقسى المعارك التي جابهناها وعرفناها حتى الآن على مسرح العمليات الأفريقي .

لقد أصبنا جميعاً بالزحار، ولكنه مرض محتمل . . .

وفي رسالة يوم ٥ آب ـ أغسطس ـ ورد ما يلي :

لا زال الامداد بالأعتدة في غاية السوء . وأعتقد أن ذلك متعمداً ، إذ تصل الامدادات للقوات الايطالية بصورة جيدة جداً .

وتضمنت رسالة يوم ١٠ آب ـ أغسطس .

زارنا هنا بالأمس ـ كيسيلرينغ ـ ، وكان الاتفاق بيننا تاماً على

مـا يجب عمله . ويتعلق الأمر الآن بـاستثمار هـذه الأسـابيـع قـدر المستطاع لانهاء استعداداتنا . وقد يتطور الموقف لمصلحتي ما بين يوم وآخر .

٧ ـ ضد تيار الزمن

توقف رومل أمـام العلمين ، وكـان عليه أن يتحـرك بسرعـة ضد تيار الزمن ، إذ كان مصير الحرب وتطورها مرتبطاً بالقدرة عـلى إعـادة تنظيم القـوات وتجهيـزهـا وزجهـا في القتـال قبـل أن يتمكن الطرف المقابل ، في حدود الـزمن المتوافـر ، من إعادة تـنظيم قواتـه وتجهيزها وزجها في القتال .

وكان البريطانيون والأمريكيون قـد أظهروا تصميمهم العنيـد عـلى الاحتفاظ بمصر مهـما بلغ الثمن. إلا أنـه كـان عليهم إرسـال إمداداتهم وقواتهم حول رأس الرجاء الصالح ، مما كان يتطلب فتـرة ثلاثة أشهر على الأقل ، بينما كان مسرح العمليات الأفريقي لا يبعد عن إيطاليا إلا بقدر وثبة بحرية واحـدة . ولكن كان أمـام رومل في فترة الأشهر الثلاثة كثير مما يجب عمله ، فقد كانت قوات رومل قـد تنـاقصت حتى الـنصـف ، إذ لم يبـق من قـوة الـفيـلق ـ الجيش ـ الافريقي إلا ١٧ ألف رجل من أصل ٣٤ ألف ، وكان هذا النصف قـد ذهب بين قتيـل وأسـير ، أمـا البـاقـون عـلى قيـد الحيـاة وهم ١٧ ألف ، فكانوا في حالة انهيار تام بعـد ما قـدموه من جهـد قتالي طوال سنتين تقريباً ، في وسط غـريب عليهم كل الغـرابة من حيث المنـاخ والطبيعـة وظروف الحيـاة ، فكان لـزاماً إعـادتهم إلى أوروبـا واستبدالهم بقوات جديدة .

أما المشكلة الأكثر تعقيداً والتي كان على رومل مجابهتها فهي مشكلة الامداد والتموين . فقد كان الايطاليون هم المسؤولون عن امداد رومل وقواته باحتياجاته . وكان الايطاليون يرسلون للقوات الألمانية ما يكاد يكفيها لاحتياجاتها اليومية ، في حين كانوا يزودون القوات الايطالية بأكثر مما كانت تحتاجه . وعلى سبيل المثال ، فقد أرسلوا إلى قوات رومل الألمانية في شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٢ كمية ٨٢٠٠ طن من الامدادات وهو ما يعادل ٣٢ بالمائة من احتياجاتها ، في حين ارسلوا إلى القوات الايطالية ٢٥,٧٠٠ طن منها ٨٠٠ طن للايطاليين المدنيين . كما أنهم لم يرسلوا إلى سلاح الجو الألماني أكثر من ٨,٥٠٠ طن من الامدادات . وقد احتج رومل ضد هذا التمييز الصارخ . وكان الايطاليون على استعداد دائم لتقديم الأعذار والحجج لتغطية أعمالهم . وزاد من صعوبة الموقف قيام الطيران البريطاني ، بتكثيف جهوده ضد خطوط مواصلات رومل وطرق امداداته .

تدهورت صحة رومل وسط هذه المتاعب، وانتابته نوبات من الاغماء (يوم ٢٤ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٢) ، ولا غرابة في ذلك ، فقد بقي هو القائد الوحيد الذي لم يغادر مسرح العمليات منذ قدم إليه ، وقد تعرض خلال ذلك لمواقف صعبة وظروف حياتية قاسية ، وبات بحاجة لفترة طويلة من الراحة والنقاهة . واقترح الأطباء ، ومنهم طبيب هتلر الخاص الذي جاء للعناية برومل ، إعادة رومل إلى أوروبا . ولكن حرص رومل على منجزاته وأعماله حمله على اقتراح ارسال (غودريان) بدلاً عنه ، لكن هتلر أجاب بأنه من المحال إرسال غودريان لانشغاله على مسرح عمليات روسيا ،

فاكتفى روومل بما حصل عليه من العلاج والراحة النسبية، وعاود نشاطاته، متحاملاً على نفسه بأكثر مما تحتمله قدرته.

جاء الجنرال مونتغومري إلى مصر في ١٣ آب - أغسطس - ١٩٤٢، وتولى قيادة الجيش البريطاني الثامن، وأخذ في تنظيم وإدارة الحرب ضد روومل، فأحبط هجماته، ثم انتقل للهجوم، فاخترق المواقع الألمانية في العلمين. وبدأت عجلة الحرب في الدوران ضد اتجاه روومل وقواته.

وجد روومل أن معالجة الموقف تخرج عن حدود قدراته وإمكاناته، فأسرع إلى روما (يوم ٢٤ أيلول- سبتمبر - ١٩٤٢) وشرح للدوتشي موسوليني حقيقة الموقف، وطلب تكثيف جهد الطيران لدعم القوات، كما طلب حشد القطع البحرية والغواصات بكاملها لدعم القوات وامدادها بمتطلباتها. ثم قابل الفوهرر - هتلر - بعد ذلك بأيام، وطرح عليه حقائق الموقف ثم عاد إلى مسرح عملياته، وتولى قيادة الصراع المرير ضد البريطانيين. وكان من المحال عليه إيقاف المد، رغم ما بذله من جهد، ورغم ما قدمته القوات من تضحيات. واستمر الموقف في تدهور، وأخذت القوات الألمانية والإيطالية في التمزق والانصهار، وحدة بعد وحدة، فما كان من روومل إلا أن بعث بطلب استغاثة مستعجل (يوم ٢٨ تشرين الأول - اكتوبر - ١٩٤٢). وتلقى روومل المزيد من الوعود والقليل من الامدادات.

وأدركت روما أخيراً خطورة الموقف، وأرسل الفوهور هتلر رسالة إلى روومل يوم ٣ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤٢، حثه فيها

على عدم التراجع ولو خطوة واحدة (فالنصر أو الموت) ، ووعده بارسال الدعم اللازم .

واستقبلت القوات أمر هتلر بمزيج من الانفعالات ، امتزجت فيها الحماسة بالتصميم . ودارت رحى معارك ضارية . غير أن التفوق البريطاني برهن على فاعليته . إذ كيف تستطيع ٢٠ دبابة بانزر مجابهة ٢٠٠ دبابة بريطانية ؟ وكيف تستطيع قوات مستنزفة وضعيفة من مجابهة قوات متفوقة وبحالة رائعة من التنظيم والتدريب والتسليح ؟ ووجد رومل نفسه في نهاية يوم ٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ ، وهو مرغم باصدار أمره للتراجع والانسحاب بعيداً عن جبهة العلمين .

علم رومل أن الحلفاء قاموا بانزال قواتهم في الجزائر (يوم ٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢) . وفي اليوم ذاته ، وصلته برقية من الدوتشي تطلب إليه الدفاع عن خط السلوم بكل القوى المتوافرة . لكن هذه القوى المتوافرة لم تكن تتجاوز ألفي مقاتل ايطالي ، وألفي مقاتل ألماني ، و٤٠ مدفع ميدان و١٥ مدفع مضاد للدبابات . أما القوات الاحتياطية المتحركة فلم تكن تتجاوز بدورها ٣ آلاف مقاتل ألماني و٥٠٠ مقاتل ايطالي و١١ دبابة ألمانية و١٠ دبابات ايطالية و٢٠ مدفع مضاد للدبابات و٢٤ مدفع مضاد للطائرات و٢٥ مدفع ميدان وكلها ألمانية . فهل كان باستطاعة رومل التوقف بهذه القوات عند السلوم ، وتعريضها للدمار ، لا سيما وقد انفتحت جبهة جديدة في الغرب ؟

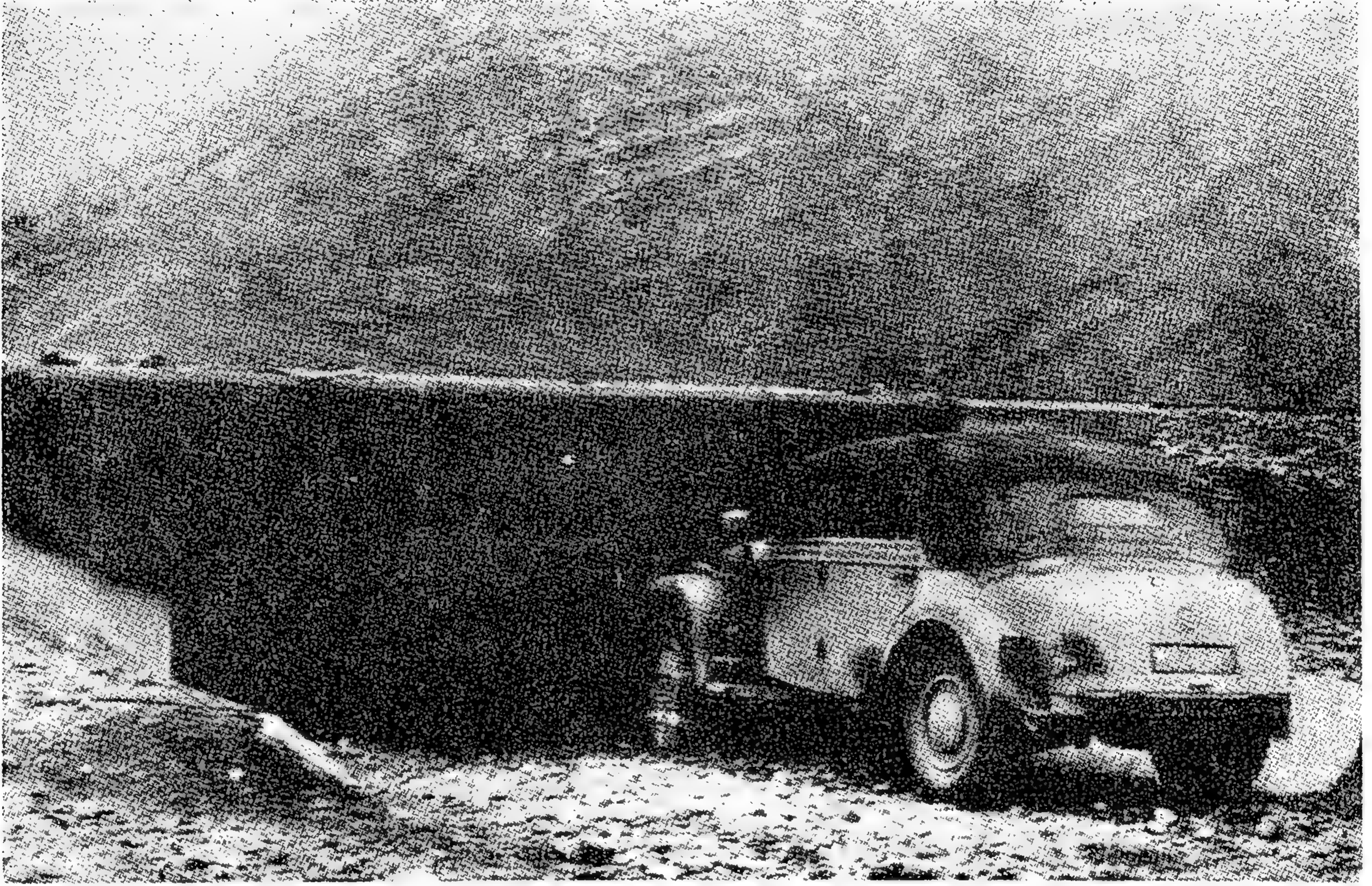
هكذا أمر رومل قواته بالانسحاب من برقة ، ونظم عملية

الانسحاب بشكل رائع ، وتجنب كل صدام مع القوات البريطانية ، وتم الجلاء عن طبرق دون قتال . وهطلت أمطار غزيرة (ليل ١٥ ـ ١٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر) أعاقت تقدم البريطانيين ، وساعدت رومل وقواته على متابعة الانسحاب بنظام حتى (أجدابية) و (مرسى البريغا) .

اهتزت القيادة العليا في كل من ألمانيا وإيطاليا لأنباء الانسحاب، وجرت اتصالات عاجلة بين العاصمتين برلين وروما . وأرسلت إلى رومل وعود بإمداده سريعاً بالرجال والوسائط القتالية ، غير أن رومل بات خبيراً في معرفة القيمة الحقيقية لهذه الوعود الجميلة . وكان على رومل مواجهة المتاعب مع قياداته بأكثر مما كان عليه مواجهة المتاعب مع البريطانيين ، لا سيما بعد أن تم وضعه تحت قيادة القائد الايطالي (باستيكو) ، لايقاف تقدم البريطانيين . وصمم رومل على طرح الموقف ، والانسحاب حتى (قابس) وتجنب الاصطدام مع البريطانيين واحباط محاولاتهم للالتفاف حول قواته وتطويقها . ولما كانت قابس تبعد ٢٠٠ كم فقط عن الحدود التونسية ـ أي في منتصف المسافة ما بين طرابلس وتونس ـ فقد كان باستطاعة رومل التحرك ما بين الجبهتين المعاديتين اللتين باتتا تتهددانه .

وتم استدعاء رومل إلى برلين (يوم ٢٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢) ، وقابل هتلر مقابلة عاصفة . وطرح رومل وجهات نظره ، كما شرح المواقف التي اضطرته للانسحاب والظروف القاسية التي أحاطت بمعارك قواته الضارية . ولكن هتلر أظهر تصميمه على التمسك بأفريقيا لأسباب سياسية وداخلية . ثم

توجه رومل برفقة غورنغ الذي أظهر عداء سافراً لرومل إلى روما ـ في قطار خاص ـ . وبينما كان غورنغ يبحث عن المجوهرات واللوحات النفيسة ، كان رومل يعالج الموقف مع الايطاليين . وأظهر موسوليني فهماً لمخططات رومل ، بأكثر مما أظهره هتلر .



اختار رومل مقراً له تحت جسر خط حديدي ، وذلك قبل الهجوم الألماني على تونس

وعاد رومل إلى مسرح عملياته ، ليقود الصراع المرير في مراحله الأخيرة . وقد أمكن له إدارة الحرب بنجاح ، بفضل ما تلقاه من إمدادات ـ بالوقود خاصة ـ . وتمركز رومل وقواته على (خط ماريت) ، وقد سمح له الانسحاب إلى هذا الخط العمل مرة أخرى على مستوى السياسة الاستراتيجية ، إذ بات بامكانه تجميع وحشد قواته الآلية للعمل ضد البريطانيين في الشرق وضد الأمريكيين في غرب تونس .

وقد استطاع رومل تدمير هجوم البريطانيين في مدينـين (عـلى بعـد ٣٠ كم إلى الجنوب الشـرقي من ماريت)، ثم تصـدى لهجـوم الامـريكيين المنـطلق من قفصه (شمـال غرب ثغـرة قابس بمسـافـة ١١٢ كم) وأمكن تدمير ١٥٠ دبابة امريكية وأخذ ١٥٠٠ أسير بعـد معركة ضارية (يوم ١٧ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٣) . وبعد ثلاثـة أيام (٢٠ شبـاط ـ فبـرايـر) استـطاع رومـل أسر ٧٠ دبـابـة أمـريكيـة و٣٠ مركبة مدرعة ، فـاستعادت القـوات الألمانيـة ـ الايطاليـة بعض الثقة التي فقدتها .

غير أن هذه الانتصارات لم تحجب الحقيقة عن أنظار رومل ، فقد رأى بعينيه أنه أمام جيـوش حديثـة تتفوق بتنـظيمها وتسليحهـا على ما كان يمتلكه من قـوات ، وأن مصير المعـركة النهـائية قـد بات مقرراً . وكان قد وصله في شهر كـانون الثـاني ـ ينـايـر ـ ١٩٤٣ دعماً تمثل بكمية ٤٦ ألف طن من الامدادات ضمت ٥٠ دبابـة و ١٣٠٠ مركبة و١٢٠ مدفعاً . وكان باستطاعة هذا الدعم قبل عام أن يقلب ميزان القوى ، على مسرح العمليات الأفريقي ، أما الآن فقد فـات الأوان .

وتوجه رومل إلى روما ، حيث قـابل الـدوتشي موسـوليني لمدة ٢٥ دقيقـة (يـوم ٩ آذار ـ مـارس ـ ١٩٤٣) ، وشـرح لـه حقيقـة المـوقف . وفي اليوم التـالي توجـه إلى بـرلـين ، حيث قـابـل هتلر ، وتناول معه الشاي ، وحدثه عن الموقف ، وفي الوقت ذاته شـرح له هتلر المستجدات على ساحة أوروبا » وفي النهاية ، منحه هتلر فرصة للبقاء في اوروبا للعلاج والنقاهة .

أمضى رومل ما تبقى من عام ١٩٤٣ متنقلاً ، مـا بين القيـادة

الألمانية ، والقيادة الإيطالية في روما ، مما أتاح له فرصة الاطلاع على موقف القوات على كافة الجبهات . وكانت المعلومات المتوافرة لدى القيادة الألمانية العليا تؤكد تصميم الحلفاء على اختراق جبهة الغرب عبر جدار الأطلسي . وكان هتلر يقدر خطورة هذا الموقف ، فعهد إلى رومل مهمة تنظيم الدفاع عن جبهة الأطلسي . فمضى رومل إلى ساحل المانش ، واستطلع التدابير الدفاعية المتخذة ، وعمل على تقدير الموقف ، وفقاً لما هو متوافر له من القوى والوسائط القتالية ، ثم أخذ في إعادة تنظيم الدفاع ، ووضع المخططات الجديدة لمجابهة احتمالات الغزو .

« نادراً ما كانت الحرب مفيدة لأحد الذين يخوضونها . وتخوض الشعوب الحرب دون أن يؤخذ رأيها فيها . ولا بد من إيقاف الحرب فوراً عندما يتبين عقمها ، وانعدام نتائجها » .

رومل

الفصل الثالث

الصفحة الأخيرة من حياة رومل

١ ـ تنظيم الدفاع عن جدار الأطلسي .
٢ ـ في مواجهة (أطول يوم في التاريخ) .
٣ ـ المؤامرة ـ والنهاية المأساة .
٤ ـ القائد القدوة .
٥ ـ تجربة تاريخية فردة .

١ ـ تنظيم الدفاع عن جدار الأطلسي

تـولى رومل قيـادة مجموعـة الجيوش (ب) في فـرنسا ، والتي كـانت تضم الجيشـين السـابـع ، والخـامس عشر . وكـان عليـه ، بـالاضافـة إلى ذلك ، الاشـراف العام عـلى الاجراءات الـدفـاعيـة الألمـانيـة لجبهـة الغـرب بكـاملهـا ، وهي الجبهــة التي امتـدت من الدانمارك حتى الحدود الاسبانية ، والبيرينه والسواحل الفرنسيـة على البحـر الأبيض المتوسط . وقـام رومل بجـولة استـطلاعيـة ، ورفـع تقريره إلى القيادة العليا .

وكـتـب رومــل إلى زوجـتــه (لــوسي) يــوم ٨ كــانــون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٣ .

إنني اليوم على الطريق نحو أقصى نقـطة في الدفـاع الساحـلي للشمال ، وستنتهي هذه الجولة في غضون بضعة أيام ، وتبدأ عندها مـرحلة العمل عـلى المخططات والأوراق . تخــوض قواتنـا معـارك ضارية من الشرق إلى الجنوب . قد يكون من العبث أن أصف لك مشاعري ، وأنا أرى الموقف القادم من بعيد . علمت أن أمر التعبئة للمستقبـل قد شمـل الفتيـان من عمـر أربعـة عشر عـامـاً ، وسيتم صهـرهم في الخدمـة أو في العمل أو في الـدفـاع بصـرف النـظر عن نعومة أظفارهم ، وصغر سنهم ، وتطورهم الفيزيولوجي .

وتضمنت رسالة يوم ١١ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ما يلي :

عدنا الآن إلى العاصمة ـ كوبنهاغن ـ ، حيث سأقضي بضعة أيام في العمل ـ في المكتب ـ قبل أن أعاود جولاتي . ولا زال في الدانمارك أشياء لمن يريد الشراء ، ولكن للدانمركيين الذين لا يبيعون إلا لمواطنيهم ، وأمكن لي شراء بعض الهدايا لعيد الميلاد ، أنفقت فيها كل ما أملكه .

وفي رسالة ١٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ .

وصلت نهار الأمس إلى فرنسا . خصص لاقامتي قرب (فونتينبلو) قصر رائع كان فيما مضى مقراً لمدام (دوبومبادور) . ولكني لن أقيم هنا طويلاً لسوء الحظ ، إذ يجب علي أن أتابع جولتي غداً ، وفقاً لما أعلنته الإذاعة ـ الراديو ـ . ويظهر أنهم يعتقدون حقاً بضرورة إعلام الانكليز والأمريكيين بسرعة عن مقر إقامتي . تناولت نهار اليوم طعام الغذاء مع (فون رونشتد) ، ويظهر أنه راض ، وأعتقد أن الأمور ستسير جيداً . وعلي الآن الاطلاع على الموقف بنفسي ، والهيمنة على حقيقة الأشياء والأعمال ومراقبتها . إن هذا القصر القديم رائع حقاً . ويظهر أن الفرنسيين قبل قرنين من الزمن قد وصلوا إلى مرحلة كبيرة من التطور ، إذ شيدوا مثل هذه القصور لأتباعهم وقادتهم ، ونحن بالمقارنة معهم بدائيين حقاً ، وريفيين .

وجاء في رسالته ليوم ٢٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ.

واتاني الحظ عندما أمكن لي الاتصال بكم هاتفياً نهار الأمس ـ مساء ـ وعرفت أنكما على خير ما يرام . وكان النبأ العظيم

هـو اندمـاج مانفرد بـالعمـل ، ومغـادرتـه للمنـزل يـوم ٦ كـانـون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٤ بحسب ما هو متوقع . وقد يكـون ذلك سيئـاً بالنسبة لك ، إذ أنه أمر قاس رؤية ابننا وهو يغادر أسـرته ومنـزله ، وهو أمر قـاس بالنسبـة لي أيضاً . وقـد تمضي فترة غـير قصيرة حتى تألفي هذا الوضع الجديد وتعتاديه . أتمنى لكـما عيد ميـلاد سعيد . اغتنما الفرصة جيداً ، وتمتعا بما بقي لكما من الوقت الـذي تقضيانـه معاً . . أمضيت أمسية نهار الأمس مع الضباط في هيئـة أركاني ، ثم مع جنودي ولكن من الصعب علي أن أقول لك إنني كنت مرحـاً في هذه الأوقات العصيبة .

وتضمنت رسـالة يـوم ١٩ كانـون الثاني ـ ينـايـر ـ ١٩٤٤ مـا يلي :

رجعت اليوم بعد جولة طويلة . وأشعر بـالرضى التـام عما تم انجـازه وإحرازه من التقـدم . وإني على قنـاعة اليـوم أننـا سنكسب المعركة الدفاعية في الغرب ، بشرط أن تتوافر لنا فرصة زمنيـة أخرى لانهاء استعـدادتنا . يـظهر أن المـوقف على جبهـة الشرق قـد بـات مستقراً (مع الاتحاد السوفييتي) ، فِـي حين تدور رحى معارك ضاريـة في الجنوب (في ايطاليا ويوغوسلافيـا) ، وعلينا أن نتـوقع حـدوث هجمـات أخرى . أمـا في الغرب : فـأعتقد أننـا سنتمكن من صد الهجوم .

وورد في رسالة يوم ٢٧ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٤ .

أصبت بخيبـة أمل في العمـل الذي أنجـزته . فـالاصـطدام دائم مـع العقليـات البيـروقـراطيـة والمتحجـرة ، والتي تقــاوم كـل

تجديد ، أو ابـداع ، أو تطويـر . ولكن رغم ذلك فسـأصل إلى مـا أريد . .

وكتب رومـل إلى ابنه (مـانفـرد) رسـالـة يـوم ٢٩ كـانـون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٤ .

أسعدتني حقاً رسـالتك الأولى التي كتبتهـا لي وأنت في ثيابـك العسكرية برتبة مساعد في القوات الجويـة ، واستخلصت منها أنـك قـد تكيفت تمامـاً مع نهج حيـاتك الجـديـد . إنـه ليس أمـراً سهـلاً بالنسبة لولد وحيد ـ لأبويه ـ أن يهجر منزله . وقد تستطيـع الحصول على إجازة في شهر شباط ـ فبراير ، وعليك عندهـا أن تقص علينا ذلك كله بصورة تفصيليـة . لا زال أمامنـا حجم ضخم من العمل الـذي يجب انجازه قبـل أن نقول أننـا أصبحنا عـلى استعداد كـامل لخـوض المعركـة . فعندمـا يكون كـل شيء هادئـاً ، يـظهـر النـاس رضـاهم عن أنفسهم ، ويـأخـذون الأمـور عـلى هيّنتهم ، وبيسر . ولكن بين الهدوء الحـالي والمعركـة القادمـة ، هناك فـارق كبير ، إذ ستكـون المعركـة قاسيـة ، بتقديـري ، وعلينا الإعـداد هنا لمـواجهة مـرحلة صعبة . إنني أحـاول أن أكون مـوجوداً في كـل مكان ، وفي كافة الأوقات ، حيث أثير عاصفـة من الغبار أينما توجهت .

محبتي لك ـ أبوك ـ

وعـاد فكتب إلى زوجته (لـوسي) يوم ٣١ آذار ـ مـارس ـ ١٩٤٤ .

لا شيء هام يستحق الذكـر . يظهـر أن ستالـين قد طلب إلى حلفـائه طلبـات كثيرة منهـا إرسال أسـطول يحمل أعتـدة بمثل قـدرة

الأسطول الايطالي السابق في البحر الأبيض المتوسط ، من أصل الموارد الحالية للولايات المتحدة وبريطانيا ، مع منحه الحق باستخدام ثلاث موانىء في البحر الأبيض المتوسط (تارنت ، وأحد موانىء فلسطين ، وميناء ثالث في افريقيا الشمالية) مع منحه ثلث الانتاج البترولي للمملكة العربية السعودية ، وأخيراً ، تحديد موعد دقيق لفتح جبهة ثانية في أوروبا الغربية . وهدد ستالين بأنه إذا لم يتلق رداً مرضياً فانه يعتبر نفسه متحرراً من التزاماته السابقة في اتفاقاته مع الحلفاء . وإذا ما تحقق ذلك فسيكون أمراً رائعاً . إن ما رأيته بالأمس حملني على التفاؤل. وبالرغم من أنه لا زال هناك عمل ضخم يجب انجازه ، فاننا نستطيع مواجهة ما هو آت بثقة تامة .

تضمنت رسالة رومل بعد ذلك (يوم ١٥ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٤) .

نحن الآن في منتصف شهر أيار ـ مايو ـ ولم يحدث أي شيء . ويظهر أن العدو قد شن هجوماً في ايطاليا على شكل كماشة (تطويق) . وقد يكون ذلك مقدمة لأحداث أكبر تقع في الربيع أو الصيف . إني على وشك القيام بجولة لبضعة أيام ، أعيشها بين جنودي وضباطي . لقد أنجزنا خلال الأسابيع الأخيرة أعمالاً ضخمة ، ولدي القناعة أن العدو سيحمل أعباء نتائج أعماله إذا ما قام بالهجوم ، وأنه لن يحقق أبداً ما يتوقعه من نجاح .

وفي رسالته ليوم ١٩ أيار ـ مايو ـ .

اتصلت أمس الأول هاتفياً بالفوهرر وذلك للمرة الأولى . وكان مزاج الفوهرر رائعاً، فأبدى كل مديح لما أنجزناه من الأعمال

على جبهة الغرب . وأملي كبير في أن نتابع العمل بايقاع أكبر مما كان عليه في السابق . الطقس لا زال بارداً باستمرار ، وتهطل الأمطار ، وهـذا مما يـرغم الانكليز عـلى ابداء نفـاذ صبـرهـم . لا أزال انتـظر معرفة ما إذا كان باستطاعتي الغيـاب لبضعة أيـام عن مقر عمـلي في شهر حزيـران ـ يونيـو ـ أما في الـوقت الحاضر فـلا مجال للتفكيـر في المـوضـوع . بـات المـوقف في ايـطاليـا يثـير القلق ، مـع الأسف : فالتفوق الساحق للعدو بالمدفعيـة ، وبالـطيران خـاصة ، قـد ضمن إحداث ثغرة في جبهتنا(*) .

وجاء في رسالة رومل ليوم ٢١ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٤ .

شهـدت السماء نهار الأمس نشـاطاً كبيـراً للعدو ، أمـا نحن فقد اعتمدنا على وسائلنا الخـاصة . وقـد هدأ هـذا النشاط اليـوم ، حتى الآن على الأقل . إن ما حققه العـدو من نشاطـات ونجاحـات على الجبهة الإيطالية هـو أمر يؤسف لـه حقاً . فـالموقف عـلى أرض المعركة لم يكن ملائماً بالنسبة لنـا ، غير أن تفـوق العدو بـالطائـرات والذخائر هو تفوق ساحق ، وهو ما سبق حدوثه في أفريقيا . وآمـل أن تسير الأمور على جبهة الغرب بشكل أفضل . لم يظهر العدو حتى الآن أي استعداد جوي حقيقي ، ومـا أحدثـه من أضرار بإغـاراتـه خـلال الأيام القليلة المـاضية قـد أمكن إصلاحهـا وترميم آثـارها . تلقيت الأمس ـ بعد الظهر ـ زيارة فون رونشتد الودية والعاطفية .

(*) قام الحلفاء بشن هجومهم في ليل ١١ ـ ١٢ أيـار ـ مايـو ـ ونجح الفيلق الفـرنسي بقيـادة الماريشـال جوان بـاختراق الجبهـة الألمانيـة وتمـزيقهـا . وتم الاستيـلاء عـلى كاسينو يوم ١٨ ايار ـ مايو ـ بعد مقاومـة استمرت سـتـة أشهر . ثم سقـطت روما في قبضة الحلفاء يوم ٤ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ .

كان الجنرال (ميز) مفتش العتاد في مجموعة جيوش رومل (المجموعة ب) قد كتب رسالة في ١٧ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٤ ، أظهرت حجم المشاريع التي خطط لها رومل لانشاء حقل ألغام ، جاء فيها :

« إن إقامة نطاق أول من الألغام على امتداد الساحل ، وإقامة نطاق مماثل في الداخل ، يعتمد على زرع عشرة ألغام في كل متر من جبهة الساحل ، وهذا يعني بالنسبة لسواحل فرنسا بكاملها مقدار (٢٠) مليون لغم . وعندما ينتهي تنظيم الدفاع ، نكون قد زرعنا ، حوالي ٢٠٠ مليون لغم » .

وتضمنت يوميات مجموعة الجيوش ب ـ يوم ٢٠ أيار ـ مايو ـ ما يلي :

« زرعنا حتى الآن ٤,١٩٣,١٦٧ لغماً على امتداد ساحل ـ بادوكاليه ـ منها ٢,٦٧٢,٠٠٠ لغماً تم زرعها بمبادأة رومل ، وتم زرع معظمها منذ نهاية شهر آذار ـ مارس ـ . وخلال الفترة ذاتها ، وبناء على اقتراح الماريشال ، تم انتاج ١,٨٥٢,٨٢٠ لغماً » .

لم تكن عملية زرع الألغام بكثافة عالية ، هي كل ما أعده رومل لاحتمال مجابهة الغزو ، بل إنه عمل على إقامة المواقع الدفاعية الحصينة للقوات والأسلحة على امتداد جدار الأطلسي . ولكن بقي اعتماده دائماً على القوات المتحركة لصد الانزال المحتمل . وقد طلب إلى القيادة الألمانية العليا وإلى هتلر ـ بالحاح ـ السماح له بتشكيل قوات احتياطية تبقى على مقربة من الساحل ، غير أن القيادة الألمانية عارضت رومل وأصرت على بقائها بعيداً

بـالعمـق ـ حـول بـاريس ـ .وتمكن رومـل من اقنـاع هتـلر يـوم ٢١ آذار ـ مـارس ـ بالسمـاح له لتقـريب القوات الآليـة حتى حدود الساحـل ، بحجـة أن ظـروف المعـركـة والنشـاط الجـوي الكثيف للحلفـاء سيمنـع أي اقتـراب للقـوات ـ عـلى الـطرق ـ من منـطقـة الانـزال . ولكن هتلر عاد فـرجع عن قـراره ، مما حمـل رومل عـلى القول : « إنه على حق دائماً ذلك الذي يكون هو آخر من يغادر مقر الفـوهرر » . وقـد دعم رومـل وجهـة نـظره ، بـرسـالـة وجههـا إلى (جودل) يوم ٢٣ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٤ ، وجاء فيها :

« . . . على الرغم مما يمتلكه العدو من التفوق الجـوي ، فانـه باستطاعتنا تدمير العدو في الأيام الأولى التي تعقب الانزال ، وذلـك إذا ما نجحنا في زج القسم الأكبر من قواتنا المتحركة خلال الساعات الأولى التالية للانزال ، للقاء العدو في القطاعات الساحلية المهددة . وستكون خسائرنا الناجمة عن الهجمـات الجويـة الكثيفة للعـدو ضد ملاجئنا الاسمنتية الحصينة ، هي خسـائر طفيفـة . ومقابـل ذلك ، ستتعرض مواقعنا الميدانية ، وخنادقنا ، وطرق مواصلاتنـا للدمار في عدد من النقاط الهـامة ، وهـذا مما يبـرهن على ضـرورة بناء المـواقع بـالاسمنت المسلح لحمايـة المقاتلين والمـدافع الميـدانيـة وبـطاريـات المـدفعية المضـادة للطائرات ، ومعسكـرات القـوات الاحتيـاطيـة في المناطق الخلفية للجبهة .

إن مـا يقلقني حقاً هـو مشكلة الـوحـدات المتحـركـة . فعـلى الرغم من القرار الـذي تم اتخاذه يـوم ٢١ ، آذار ، مارس ، إلا أن أيـاً من الـوحـدات لم تـوضـع تحت تصـرفي ، ولا زالت بعض التشكيـلات متناثـرة مبعثرة فـوق مناطق شـاسعـة ، وهي بعيـدة في

الداخل . وهي لذلك لن تصل إلى ميدان المعركة لتشترك في المعركة الساحلية إلا في وقت متأخر جداً . وإذا ما وضعنا في اعتبارنا التفوق الجوي الضخم الذي يمتلكه العدو ، فإن أي تحرك هام للوحدات الآلية على اتجاه الساحل ، سيكون هدفاً للهجمات الجوية القوية والمستمرة . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، فإن تجريدنا من الفرق المدرعة ، وحرماننا من دعمها ، سيجعل الفرق المكلفة بالدفاع عن الساحل ، عاجزة عن دفع الهجمات التي تشنها ضدها في وقت واحد القوات القادمة عبر البحر ، والوحدات التي يتم إنزالها جواً من المظليين .

إن خطوط المواصلات المتجهة نحو الداخل هي خطوط تفتقر للحماية الكافية . ولهذا يجب علينا وضع وحداتنا المقاتلة ، وتشكيلاتنا الاحتياطية ، بطريقة تنقص إلى الحد الأقصى المسافة التي يجب عليها سيرها للدخول في المعركة على أي من القطاعات المحتملة : البلاد المنخفضة ، أو منطقة بادوكاليه ، أو النورماندي ، أو اقليم بريتانيا ، مما يضمن لها يقيناً القدرة على تدمير القسم الأكبر من قوات العدو، سواء ما يتم إنزاله منها بحراً أو جواً . . .

إننا نستعد حالياً لخوض أكثر المعارك الحاسمة أهمية في هذه الحرب ، وإننا نقرر بذلك مصير الشعب الألماني . وهناك شك كبير في إحراز النصر إذا لم نضع كافة القوات المدافعة تحت قيادة واحدة ، وإذا لم نتمكن من زج كافة قواتنا المتحركة ـ المحمولة ـ بصورة فورية ومباشرة في المعركة التي ستدور رحاها على أرض الشاطىء . . . » .

لم ييأس روميل من عدم استجابة القيادة لطلباته ، ودفعه

شعوره بالمسؤولية تجاه مصير شعبه لمعاودة المحاولـة . فعمل في شهـر أيار ـ مايو ـ على لفت انتباه القيادة الألمانية العليا للتهديد الذي بـات جاثماً عـلى النورمـاندي ، وطلب إرسـال فيلق من المدفعيـة المضادة للطائـرات إلى القطاع الـواقع مـا بين (أورن) و (فـير) ، وإرسال لواء قاذفات صواريخ إلى جنوب كـارانتان ، وإرسـال فرقـة البانـزر ١٢ (س . س .) إلى كـوتنتان ، وإرسـال فرقـة البانـزر ليهـر إلى ضواحي أفرانش . كما طلب بالإضـافة إلى ذلـك أن تعمل البحـرية فورا على زرع الألغام في خليج (مصب) نهر السين .

وقـد وجـد بـين أوراق رومـل ـ المـذكـرة التـاليـة ـ بتـاريـخ ٣ حزيران ـ يونيو ١٩٤٤ :

« قضيت بعـد ظهـر اليـوم مـع القـائـد الأعـلى للجبهـة الغربية ـ فون رونشتد ـ وهو سيتوجه إلى ألمانيـا ، وستكون الفتـرة ما بين ٥ ـ ٨ حزيران ـ يونيـو ـ هي فترة غـير مناسبـة للإنـزال لأن المد فيهـا هو أقـل مما سيكـون عليـه في الأيـام التـاليـة ، ممـا ينقص من المخاوف بشأن الإنزال البحري . وبـالإضـافـة إلى ذلك فـإن تقاطـع معلومات الاستطلاع الجوي لم تظهـر حدوث استعـدادات لعمليات من هـذا النـوع . ومـن المهم بـالنسبـة لي في هـــذه الفتـرة إجـراء مباحثات مع الفوهرر لأشرح له مدى ضعف قوتنا العـددي وضعفنا بالوسائط القتالية ، على ضوء احتمال الانزال ، ولأطلب إليه إرسال فـرقتين مـدرعتين إضـافيتين إلى النـورمانـدي ، بالإضـافة إلى فـرقة مدفعية مضادة للطائرات ولواء قاذف صواريخ ».

٢ ـ في مواجهة (أطول يوم في التاريخ)

حصل رومل على إجازة من فون رونشتد للذهاب إلى ألمانيا . فغادر مقر قيادته في عربته صباح يوم ٥ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ ، وأخبر الجنرال شموندت قائد مقر قيادة هتلر عن موعد وصوله ، ولم يكن يعرف ما يخبئه له القدر .

وأقبل الليل ، بظلمته الحالكة ، في حين كان القمر يخترق بأشعته سحب الغيوم الكثيفة ليضيىء صخور ساحل النورماندي . وكان الحرس الألماني يخرج من مراكزه الدفاعية المنتشرة على امتداد الساحل ، ليقوم بنوبات الحراسة العادية . ولكن ومع اشتداد ظلمة الليل هدرت السماء بضجيج قاذفات الحلفاء ، وتبع ذلك اهتزاز الأرض بدوي انفجارات القنابل التي أسقطتها الطائرات . لقد عرف الجند الألمان المدافعين عن الساحل مثل هذه الإغارات ، طوال الليالي والأيام السابقة ، فأسرعوا إلى ملاجئهم وتحصيناتهم انتظاراً لانتهاء الإغارة . غير أن القصف تزايد كثافة ، ساعة بعد ساعة ، في النورماندي ، حتى وصل إلى درجة من الكثافة والشدة لم يبلغها من قبل . وعندما تجاوزت عقارب الساعة منتصف الليل ، أقبلت تشكيلات جوية ضخمة ، فغطت سماء فرنسا ـ في الشمال ـ وانطلقت بغتة آلاف الصواريخ والشهب المضيئة ، فأنارت مساحات شاسعة من الأرض . وهبط آلاف المظليين في الساعة الواحدة صباحاً ، بينما كانت مئات الطائرات الشراعية تهبط إلى الأرض وهي مثقلة بحمولتها من المدافع والمركبات والجنود . وفي الساعة ٥,٣٠ صباحاً بدأت الموجات الأولى من قوات الانزال البحري تطأ بأقدامها أرض النورماندي .

هكذا بدأ اليوم الذي وصف (بأنه أطول يوم في التاريخ) .

وأسرع رومل بالعودة إلى مقر قيادته ، وكان (فون رونشتد) قد استنفر القوات ، وأراد توجيه فرقتين مدرعتين لقتال قوات الانزال ، ولكن القيادة العليا أوقفت هذا التحرك بحجة ضرورة الانتظار حتى يتضح الموقف.



الماريشال رومل وفون رونشتد يتدراسان الموقف على الخارطة

ولقد خاضت القوات الألمانية معركة النورماندي بضراوة ، غير أنه كان من المحال عليها إيقاف الانزال الذي كانت تدعمه القوات الجوية التكتيكية والاستراتيجية بمعدل ١٠,٥٨٥ طلعة يومياً ، وتسانده مدفعية البحرية الثقيلة بقوة ٦٤٠ قطعة ، فتدهور

المـوقف بصـورة خـطيـرة ، ممـا حمـل هتلر عـلى الانتقـال إلى (سواسون ـ في فرنسا) حيث عقد اجتماعاً مع رومل وفون رونشتد وبقية القادة (يوم ١٧ حزيران ـ يونيـو ـ ١٩٤٤) . وقد طـرح رومل الموقف على حقيقتـه ، والتمس من هتلر زيارة القـوات لرفـع الروح المعنوية للقوات ، لا سيما بعد أن قام تشرشل بزيارة منطقة القـوات البريطانية في النورماندي . ولكن حدث في اليوم التـالي أن تفجرت قنبلة على مسافة قريبة من هتلر ، فرجع هتلر مباشرة إلى ألمانيا .

وفي يوم ٢٨ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ تم استدعاء رومل وفون رونشتـد إلى مقـر قيـادة الفـوهـرر ، حيث تمت منـاقشـة المـوقف ، وبحثت الإجراءات التي سيتم اتخاذها . وتقرر إعفـاء فون رونشتـد من منصبـه ، في حـين بقي رومـل في منصبـه ، وتم تعيـين (فـون كلوغ) بـدلاً عن فون رونشتـد . وقد عمـل (جودل وكيتـل) على شحن كلوغ بشحنة قويـة ضـد رومـل . فلما وصـل هـذا إلى مقر قيادته،وقابل رومل ، وبخه ، وألقى عليه تبعات تدهور المـوقف ، فرد رومل على ذلك بالرسالة التالية :

سيدي الماريشال ـ فون كلوغ ٣ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٤

تجـدون طيـاً عـرضـاً لـلأحـداث العسكـريـة التي وقعت في النورماندي حتى هذا التاريخ . لقد جرحتموني جرحاً عميقاً خـلال زيـارتكم لي ، إذ وجهتم إلي توبيخكم بحضـور رئيس هيئة أركـاني ورئيس فرع الاستطلاع في قـواتي ، عندمـا قلتم : « يجب عليك أن تتعلم كيف تنفذ الأوامر الصادرة إليك » . وأرجوكم أن توضحوا لي الأسباب التي دفعتكم لصياغة ووتوجيه مثل هذا الاتهام لي .

القائد العام ـ الماريشال رومل

ولكن ما إن أطلع فون كلوغ على تقارير روميل التي رفعها للقيادة ، وقام بجولة استطلاعية في النورماندي حتى عاد فغير رأيه ، وأبدى إعجابه بصحة تقدير روميل للأمور ، وتوقعاته الصحيحة . وكذلك كان شأن الجنرال (غيار فون شويبنبرغ) قائد الفرقة المدرعة ، والذي كان على خلاف مع روميل بخصوص استخدام الفرقة المدرعة ، حيث كان يريد روميل دفعها إلى أقرب نقاط على الشاطىء بينما كان فون غيار يرغب في الاحتفاظ بها بعيداً عن الساحل حتى يتمكن من مجابهة احتمال انزال المظليين . فلما تم الانزال ، وجد فون غيار نفسه عاجزاً عن التحرك ، وانطلقت طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني فدمرت له دباباته ، وطاردته حتى أدغال النورماندي وحراجها ، فتم سحبه من الجبهة .

وكتب فون غيار رسالة إلى روميل يوم ٦ تموز - يوليو - ١٩٤٤ ، جاء فيها .

عزيزي الماريشال .

أغتنم فرصة مغادرتي للقيادة ، لأرسل لكم بعض كلمات الوداع . إن المعارك الحديثة التي وقعت على أصعب مسرح من مسارح العمليات عرفتها حتى الآن قد مكنتني من العمل مع مجموعة الجيوش (ب) وساعدتني على الاشتراك في جهدكم الشخصي ، وهذا مما أحدث تغييراً حاسماً في فكري ونفسي . إن فضائلكم القيادية ، وخبراتكم العسكرية قد بدلت من طبيعة مفهومي لإطاعة أوامركم . لقد أصبحت هذه شيئاً آخر غير الانضباط الذي كنت أفرضه على نفسي حتى الآن ، وأصبحت الطاعة مقترنة بجهد طوعي .

أعتقد سيدي الماريشال أن باستطاعتي توجيه الرجاء لكم لقبول شكري من أجل الثقة التي منحتموها لي ولوحداتي أثناء الأيام القاسية من القتال الذي عشناه معاً . وبما أنني أعتبر أن احترافي للحياة العسكرية قد وصل إلى نهايته ، فإني أعتقد أن باستطاعتي تقرير هذه الحقيقة دونما خوف ، إلا من أن يساء فهم وتأويل حجتي هذه ، وأنا كما تعهدون سيدي الماريشال .

المخلص أبداً ـ فون غيار

ويمكن بعدئذ متابعة الموقف ، عبر أوراق رومل ، إذ كتب إلى زوجته يوم ١٠ حزيران ـ يونيو ـ١٩٤٤ .

يخوض الجيش في هذه اللحظة معركة قاسية . وأمضيت نهار الأمس بالجبهة وسأعود منها نهار غد . لقد تعرضت تحركات قواتنا للكارثة بسبب التفوق الجوي للعدو . وليست لدينا أية وسيلة لمقاومة هذا التفوق . وبات من المتوقع أن يضطلع الحلفاء بعمليات جديدة في هجماتهم على نقاط أخرى ، وكل ما نستطيع أن نفعله هو أن نعمل قدر جهدنا .

وجاء في رسالته ليوم ١٣ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ :

كانت الاتصالات الهاتفية نهار الأمس سيئة للغاية ، غير أنها أفضل من لا شيء . والمعركة بعيدة كل البعد من أن تكون لمصلحتنا بسبب التفوق الجوي للعدو وبسبب السد الناري الذي صنعته مدفعيته البحرية . إننا لا نستطيع مقاومة ٢٧ ألف طلعة لطيران العدو ، في حين لم يتمكن سلاح الجو الألماني من الاضطلاع

بأكثر من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ طلعة . وقد وجهت نهار الأمس تقريراً إلى الفوهرر ، كما فعل رونشتد الشيء ذاته .

لقد حان الوقت لتقوم الديبلوماسية بممارسة دورها . يجب علينا توقع قيام الحلفاء بتوجيه ضربة جديدة تكون أكثر قوة من سابقاتها وذلك خلال الأيام القليلة القادمة . لقد قذفت دولتان عالميتان بثقل قواتهما المشتركة في ميزان القوى ، وستتخذ القرارات بسرعة .

إننا نبذل أفضل ما يمكن بذله من جهد . أفكر بكم غالباً وأنا أصوغ أجمل أمنيات المحبة ، مع الأمل بأن تبقى هناك فرصة لتوجيه الأحداث نحو مستقبل أفضل .

وكتب في رسالته ليوم ١٤ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ .

. . . قتال عنيف للغاية . وقد أخذ العدو بقطف ثمار تفوقه الجوي الضخم ، وقدرة قواته البحرية ، ووفرة أعتدته الحديثة ، وأعداد مقاتليه الكبيرة . ولدي الشك في أن تستطيع الدوائر القيادية العليا تقدير خطورة الموقف ، وبالتالي ، استخلاص النتائج المنطقية . أصبحت إمداداتنا نادرة جداً ، وقليلة في كل مكان . كيف صحتكما أنتما الاثنين ـ زوجته وابنه ـ ؟ لم أتلق عنكما أي شيء من الأخبار .

وفي رسالة ١٥ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ ورد ما يلي :

كنت نهار الأمس أيضاً بالجبهة ، ولم يشهد الموقف أي تحسن ، وعلينا مواجهة ما هو أسوأ . تقاتل وحدات الجيش الألماني والوحدات الخاصة (س . س) بشجاعة مثيرة للإعجاب ، ولكن

التوازن ينعطف أكثر فأكثر لمصلحة العدو . لا يقوم سلاح الجو الألماني إلا بدور هزيل في سماء المعركة . وبالرغم من ذلك كله فإني أرفض الاستسلام لليأس ، ولكن لا بد من الابتعاد عن الأوهام . ولا ريب أنك تقدرين يقيناً خطورة القرار الذي سنكون مرغمين على اتخاذه . **تذكري حديثنا في شهر تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤٢**(*) .

وكان في رسالة رومل لزوجته لوسي يوم ١٨ حزيران - يونيو - ١٩٤٤ .

أتيحت لي اليوم فرصة الكتابة على عجل لأرسل الرسالة مع أحد ضباطي . قابلت الفوهرر نهار الأمس وقد جاء إلى جبهة الغرب ، ولا زال فيها . وقد قدمت له تقريراً عن الموقف ولم أحاول إخفاء شيء عنه . وكانت القيادة العليا تتخيل في البداية أن الوحدات في الجبهة قد أبدت تهاوناً في القتال ، غير أنها بدلت رأيها الآن . وقد وفر لنا الأعداء فرصة تقديم البرهان ؛ فقد حدث أن أبيدت وحدات كبرى من الجيش بالقصف الجوي الضخم وبنيران سدود مدفعية العدو ، غير أن من بقي على قيد الحياة من هذه الوحدات لا زال يقاتل بضراوة - كالذئب - . ولو أنهم استمعوا لنا ، وأخذوا برأينا ، لقدر لنا أن نقوم بهجوم مضاد منذ مساء اليوم الأول للإنزال ، وبقوة ثلاثة فرق ، ولأمكن لنا صد الهجوم وإحباطه . ولقد أسرعت فرق البانزر في الواقع للقتال ، ولكن كان

(*) كان رومل قد قابل هتلر وغورنغ في شهر تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤٢ وذلك بعد معركة العلمين بفترة قصيرة ، ثم اجتمع بزوجته في روما وقال لها : « لقد خسرنا الحرب . ويجب الوصول بأسرع ما يمكن لعقد اتفاق سلمي - مع الحلفاء - » .

عليها السير مسافة مئات الكيلومترات من أجل الوصول إلى الجبهة ، مما تسبب في حدوث تأخير كبير في الهجوم المضاد على عدد من النقاط ، وتطور الموقف بصورة غير ملائمة لنا .

لقد استقر الموقف الآن في قسم كبير من الجبهة . وأتطلع إلى المستقبل بقلق أقل مما سبق ، طوال أيام الأسبوع الماضي ، وقد تباعدت المهلة الزمنية بين الأعمال المتتالية للقصف . وقد قتل عدد من القادة خلال أيام القتال الأولى . . ولم يعد لدينا أدنى شك في أن العدو سيقوم باختراق سريع على اتجاه باريس ، ولكننا أخذنا في تلقي الامدادات . لقد كان مزاج الفوهرر رائعاً ، وأظهر فهمه لخطورة الموقف ، وكان رقيقاً للغاية .

أما رسالة يوم ٢٣ حزيران ـ يونيو ـ فتضمنت

وصل الموقف العسكري إلى مرحلة سيئة . وطيران العدو يهاجم باستمرار أرتال امداداتنا ، وهو على وشك شل تموييننا . تنقصنا الذخائر وهو ما سيقرر نتيجة المعركة الحاسمة ، وبإمكانك تصور ما أعانيه من القلق . ففي هذه الشروط يصبح من المحال حتى على (شيربورغ) المقاومة طويلاً . وعلينا أن نعد أنفسنا لاستقبال ما هو أخطر من الأحداث .

وفي رسالة ٢٤ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ كتب رومل لزوجته لوسي :

ها هو الآن التقدم الروسي(*)، وأملي أن تسير الأمور هناك

(*) بدأ هجوم الصيف للقوات السوفيتية يوم ٢٣حزيران ـ يونيو- ١٩٤٤ ضد قطاع=

بصورة جيدة . وتبين أنه من الصعب هنا التمسك بمدينة (شيربورغ) لمدة طويلة ، رغم ما تبديه قوات الدفاع من بطولة خارقة . وبات باستطاعة العدو الاستيلاء على أي قلعة أو تحصينات في هجومه النهائي ، إلا إذا أمكن تخصيص أطنان كافية من القنابل والمقذوفات الثقيلة. ولعل أسوأ ما في الأمر هو أننا لا نستطيع الرد على العدو بالطريقة ذاتها . وأستعد للذهاب إلى الجبهة ، كما هي عادتي في كل يوم .

استمر الموقف في التدهور على جبهة الغرب ، حتى وصل إلى ما كان يتوقعه رومل من الخطورة مما حمله على كتابة تقرير إلى

= فيتوبسك، شمال مستنقعات (بريبيه). واقترح القادة الألمان ـ الجنرالات ـ تجنب الصدام ، والانسحاب حتى خط بيريزينا . لكن هتلر منع أي حركة تراجعية ، مما ساعد الروس على اختراق الجبهة الألمانية الواسعة جداً ، فتقدموا مسافة ٢٤٠ كيلومتراً خلال اسبوع واحد ، ووصلوا من هناك إلى الطريق الرئيسي الذي يصل ما بين مينسك وفارصوفيا . وفي منتصف تموز ـ يوليو ـ أمكن للقوات السوفيتية التوغل عميقاً في بولونيا وليتوانيا . وقامت جيوشهم في جنوب مستنقعات بريبيه بدعم الهجوم . فوصل الهجوم المشترك في نهاية شهر تموز ـ يوليو ـ إلى الفستولا قرب فارصوفيا ، واجتاز (سان) في الجنوب ، أي أنه أحرز تقدماً لمسافة ٧٢٠ كيلومتراً خلال خمسة أسابيع . ثم توقفت القوات السوفيتية لاعادة تنظيم قواتها وخطوط مواصلاتها ، استعداداً لمعاودة هجومها في شهر كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٥ على الجبهة الوسطى ، حيث تقدمت حتى الأودر ، ووصلت إلى مسافة مائة كيلومتر تقريباً من برلين . وخلال ذلك ، كانت جيوش الجناح السوفييتي الأيسر تتقدم عبر رومانيا ويوغوسلافيا وهنغاريا ، في حركة استدارة ضخمة وصلت إلى ضواحي بودابست يوم ٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٤ ، غير أن المدينة لم تستسلم للقوات السوفيتية إلا في يوم ١٣ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٥ . وأثناء ذلك كانت مجموعة الجيوش اليمنى قد اجتاحت دول البلطيق .

القيادة العليا في يوم ١٧ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٤ ، وبعد ساعات من رفع التقرير ، أصيب رومل بجراح خطيرة في (ليفاروت) نقل على أثرها إلى المستشفى .

وتضمن تقرير رومل ما يلي :

مقر القيادة ١٧ تموز ـ يوليو ـ١٩٤٤

القائد الأعلى لمجموعة الجيوش (ب)

استمر الموقف في التدهور على جبهة النورماندي ، واقتربت النهاية .

تستهلك الأعتدة القتالية ـ وخاصة المدفعية والدبابات ـ بصورة كبيرة نتيجة المعارك الضارية ، وتتناقض القدرة القتالية لفرقنا بسرعة ، وتتزايد خسائرنا ، بسبب السيطرة الجوية للعدو على سماء المعركة . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن ما يصلنا من دعم وإمدادات قد تناقص كثيراً ، ليس ذلك فحسب ، بل إن صعوبة التحرك على الطرق قد تطلبت انقضاء أسابيع قبل أن تصل هذه الامدادات إلى الجبهة . ولقد بلغت خسائرنا بالقوات ٩٧ ألف رجل ، منهم ٢٣٦٠ ضابطاً ، أي ما يعادل ٢٥٠٠ حتى ٣٠٠٠ رجل يومياً ، في حين لم يتجاوز حجم الدعم حتى هذا اليوم ١٠ آلاف رجل ، وصل منهم إلى الجبهة ٦ آلاف فقط . وكذلك ، فإن خسائرنا في الأعتدة هي خسائر ضخمة ، ولم يتم التعويض إلا على قسم ضئيل منها فقط . وعلى سبيل المثال : فإننا استلمنا ١٧ دبابة لتحل محل ٢٢٥ دبابة مدمرة .

إن فرق المشاة الجديدة التي وصلت هي فرق سيئة التدريب . وإن ما تمتلكه هذه الفرق من قطع المدفعية الثقيلة ، والمدفعية

المضـادة للدبابـات ، والأسلحة المضـادة للطائرات ، لا تسمـح لها بابداء المقاومة لمدة طويلة ، بسبب التمهيـد القوي والقصف القـوي للطيران والذي يستمر لعدة ساعات قبل هجوم العدو . ولقد برهن تطور المعارك أنه في مواجهة مثل هذا الحشد من الأعتدة والوسائط ، يصعب حتى عـلى الجيش الأفضل تـدريباً تجنب التـدمـير البطيء ، حيث يفقد تباعاً وحداته وأسلحته والأرض التي كان يدافع عنها .

لقد دمرت شبكة الخطوط الحديدية ، ويهيمن التهديـد الجوي عـلى الطرق ومحاور الاتصال حتى عمق يـزيد عـلى ١٥٠ كيلومتراً إلى الخلف من خطوط الجبهة ، ونتيجة لذلـك تناقصت الإمـدادات إلى درجـة خطيـرة بحيث لم يعد يصـل إلى الجبهـة إلا النـادر القليـل . ويشمـل هـذا النقص في الامـدادات كـل المـواد ، وانعكس ذلـك بصورة خاصة على الذخائر وقنابـل المدفعيـة وقنابـل الهاون . وليس من المتوقع أن يتحسن هذا الموقف ، ذلك أن أنشطة العدو وفعالياته تتزايد باستمرار ، فتنقص من قدرتنا على النقل . وزيـادة على ذلـك فـإن مجـال الـعمـل لـطيـران الـعـدو يـتـزايـد اتـسـاعـاً ، نـظراً لقيـامـه بـإنشـاء مهـابط للطائـرات عـلى أرض رأس الجسر الذي قام باحتلاله، ولم يعد بالمستطاع إرسال أي امدادات كبيـرة ، والـوصول بهـا إلى جبهة النـورمانـدي ، لدعم الـوحـدات وتبـديـل افـرادها بقـوة الجيش ١٥ ، المنتشر على امتـداد ساحـل المانش ، أو بالقوات التي تحتل شواطيء البحر الأبيض المتوسط . ويحتاج الجيش السابع قبل كل شيء لدعمه عاجلاً بقوة فرقتـين جديدتـين ، ذلـك أن الوحدات التي تخوض معاركها على جبهة النورماندي قـد وصلت الآن إلى مـرحلة الفناء . ومقـابل ذلـك ، لم يتـوقف العـدو عن زج

وحدات جديدة وبكميات ضخمة من الأعتدة والوسائط القتالية ، ولا تتعرض إمدادات لأية صعوبات أو عوائق بسبب غياب سلاح الجو الألماني . ولهذا فإن الضغوط التي يمارسها على جبهتنا تتزايد ساعة بعد ساعة .

أصبح لزاماً علينا أمام هذه الظروف أن نتوقع نجاح العدو في اختراق خطوطنا خلال الفترة القصيرة القادمة ، لا سيما في قطاع الجبهة الذي يدافع عنه الجيش السابع ، مما يمهد له للتوغل بعمق داخل الأراضي الفرنسية . وتجدر الإشارة إلى أن احتياط المجموعة المدرعة، قد جمد حالياً ، واشتبك في القتال على أرض القطاعات المنتشر فوقها ، بحيث لا يستطيع التحرك أو الانتقال إلا تحت جنح الظلام . ولم يعد لدينا أي قوات احتياطية متحركة للقتال ضد الاختراق المتوقع ، وإن اشتراك سلاح الجو الألماني ، على نحو ما حدث في السابق ،لن يحقق إلا نتائج محدودة .

يخوض جندنا في كل مكان معاركهم ببطولة ، غير أن هذا القتال غير المتكافىء يقترب من نهايته ، ولا بد بالتالي من استخلاص النتائج الناجمة عن هذا الموقف ، وأعتقد أن من واجبي كقائد أعلى لمجموعة الجيوش (ب) أن أرفع إليكم تقريري الواضح عن الموقف .

التوقيع (رومل)

استقر رومل في المستشفى . وبعد مضي اسبوع ، تلقى من هتلر برقية (يوم ٢٤ تموز - يوليو - ١٩٤٤) جاء فيها : « السيد

المـاريشـال . أرجـوكم أن تتقبلوا أفضـل أمنيـاتي لكم بـالشفـاء العاجل » .   أدولف هتلر

ولم يكن بـاستطاعـة رومـل أن يكتب . فقـام في اليـوم ذاتـه (٢٤ تمـوز ـ يوليـو) بامـلاء رسالـة ، لم يـوقعهـا ، وبعث بهـا إلى زوجته ، وكان فيها :

إني في المستشفى ، وأتلقى عناية فـائقة ، ولا بـد من انقضاء فتـرة من الزمن قبـل أن يصبح بـالمستطاع نقـلي ، وأعتقـد أن هـذه الفتـرة ستستمـر من الآن وحتى خمسـة عشر يـومـاً . عيني اليسـرى متـورمـة ولا أرى فيهـا شيئـاً ، غـير أن الأطبـاء قـد أكـدوا لي أنها ستتحسن .إنني أشكو دائماً في الليل من الصداع ، غـير أني أشعر في النهار بالتحسن .

إن المؤامرة ضد الفوهـرر(*)والحـادث الذي وقعت ضحيتـه ، قد تركا في نفسي أثراً عميقاً . أشكر الله أن انتهت الأمور عند هـذا الحد . كنت قد رفعت إلى الفوهـرر قبل وقوع المؤامرة بفترة قصيرة ، تقـريراً ضمنته رأيي عن الموقف . لقـد تـرك مـوت الـرقيب الأول دانييل ـ سائق رومل والذي قتل إلى جانبه يوم إصابته بجـراح ـ ترك ألماً في نفسي لا حدود له . ومع خالص حبي لك ولمانفرد .

* * *

(*) هي المؤامـرة التي تزعمهـا كلوز فون ستوفنبرغ - KLAUS VON STAUFFEN BERG)والتي تم اكتشافها يوم ٢٠ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٤ م وكان هدفهـا الإطاحـة بهتلر ، ولم يكن رومل على علم بها . غير أن اكتشافها قـد وجه أصَـابع الاتهـام إلى رومل .

مضت أسابيع على رومل في المستشفى ، وبات يتعجل الخروج منها حتى لا يقع وهو جريح في قبضة الحلفاء ، فتم نقله إلى ألمانيا ، ولم يكن يعرف يومها أن السحب السوداء قد باتت تتجمع فوق رأسه .

وفي الواقع ، فقد كان هتلر قد اتخذ قراره بشأن مصير رومل ، يوم أمر بإعادته من المستشفى في فرنسا إلى ألمانيا ، بتهمة التآمر على هتلر . فهل كان رومل متآمراً ؟ وهل كان ضد هتلر ؟ وإذا كان ذلك فما هي الحوافز التي دفعته للسير على هذا الطريق ؟

لقد كان لرومل مواقفه الخاصة تجاه القيادة الألمانية ، وكان في هذه القيادة من يقفون ضد رومل حتى درجة العداء الشخصي - كيتل وجودل وحتى غورنغ - وقد استطاع رومل بفضل جهده وانتصاراته أن يقف نداً لهؤلاء . وبقيت علاقة رومل بهتلر قائمة على الاحترام المتبادل ، وحتى الاعجاب . ولكن ، ومع اجتياح الحلفاء لجدار الأطلسي ظهرت لدى رومل القناعة بضرورة (إنقاذ الوطن) من خلال تغيير في القيادة لا يصل إلى هتلر شخصياً ، مما يسهم بالتفاهم مع الحلفاء ، ويجنب ألمانيا الاجتياح والتدمير ، ويساعد على إيقاف الروس عند حدود ألمانيا ، وهو ما عبر عنه لابنه مانفرد ، إذ وصف زعيم مؤامرة ٢٠ تموز - يوليو - ١٩٤٤ بقوله :

« إن ستوفنبرغ هو رجل غير مستقيم . وهل يستطيع ضابط من ضباط الجبهة أن يحل محل هتلر أو يكمل عمله » .

ومن المحتمل القول أن رومل قد صرح بذلك ، وقد تأثر بما أحاط بالمؤامرة من دعاية إعلامية وصفت المتآمرين (بخونة

٢٠ تموز) وبما رافق ذلك من إعدامات وإجراءات وحشية شملت عدداً من كبار القادة والشخصيات السياسية وضباط في الوحدات الخاصة الخ . . . ولكن ها هو رومل يبوح لابنه بصراحة بموقفه الحقيقي .

« إن المؤامرة ضد هتلر هي عمل طائش . إن ما يجب أن نخشاه في هذا الرجل ، ليس عمله ، وإنما مكانته في أنظار الشعب الألماني . ولكن يجب أن تبدأ الثورة ، ليس في برلين ، وإنما في الغرب . فأية فائدة يمكن لها كسبها من الانتظار ؟ هل لنا أن ننتظر تحول الهجوم المتوقع للانكليز والأمريكيين إلى نزهة في ألمانيا ؟ يجب أن تتوقف هذه الإغارات الجوية ، وأن يقوم الحلفاء بإبعاد الروس عن ألمانيا . أما فيما يتعلق بهتلر فإن الحل الأفضل والأمثل هو وضعه أمام الأمر الواقع » .

٣ ـ المؤامرة ـ والنهاية المأساة

اخترق الحلفاء جدار الأطلسي ، وأنزلوا قواتهم في النورماندي (يوم ٦ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤) . وجاء هتلر مع كبار هيئة القيادة ، واجتمع بروميل ـ وفون رونشتد ـ في ضاحية (سواسون)(*) يوم ١٧ حزيران ـ يونيو ـ وفي هذا الاجتماع ، اغتنم روميل الفرصة ، فطرح على الفوهرر ضرورة التحقيق في جريمة (أورادور)(**) وتغيير

(*) سواسون : (Soisson) مدينة في إقليم إيسن ، تقع عن نهر إيسن ، دمرت في الحرب العالمية الأولى .

(**) أورادور : (ORADOUR SUR GLANE) بلدة في مقاطعة فيينا العليا ،

أسلوب التعامل مع الفرنسيين ، ذلك أن جريمة الأورادور قد استثارت مشاعر الفرنسيين ، ودفعتهم لحمل السلاح ضد الألمان ، فبات لزاماً تهدئة الخواطر بعزل رئيس الاستخبارات وسحب عناصره . والتمس رومل من هتلر منحه الصلاحية لإنزال العقاب بفرقة (دازرايخ) التي نفذت الجريمة ، لأنها بعملها هذا لطخت الشرف العسكري الألماني . فما كان من هتلر إلا أن أجاب رومل : « لا تقلق بشأن الإدارة العليا للحرب ، وركز جهدك على جبهتك المقابلة للغزو » .

لقد كان موقف رومل من جريمة الأورادور بمثابة احتجاج على نهج جهاز هتلر في الحكم ، وكان (هملر) هو المسؤول عن مثل هذا العمل ، فكان من الطبيعي أن تثور ثائرة هملر ، وإذا كان رومل قد هاجم الانحراف في وضح النهار وعلى رؤوس الأشهاد ، فقد كان لهملر والآخرين في بطانة هتلر نهجهم للعمل في الظلام . وقد واتت هؤلاء الفرصة ، فقد أفسحت مؤامرة ٢٠ تموز ـ يوليو ـ المجال للقضاء على المعارضة التي برزت للوجود مع الإنزال النورماندي ، ومع تعاظم الخطر باجتياح ألمانيا . وكان رومل يومها في المستشفى ، أي أنه كان بعيداً عن المؤامرة . فهل كانت لرومل علاقة بأطراف المؤامرة ؟ . . .

إقليم روشو شوارت في فرنسا . ذبح الألمان فيها يوم ١٠ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ أكثر من ١١٠٠ فرنسي ، كان بعضهم قد لجأ إلى الكنائس ، فتم إحراقهم وكنائسهم ، وذلك بحجة القضاء على المقاومة الفرنسية التي اندلعت بعد الانزال في النورماندي .

لقد كان لرومل علاقاته القديمة مع عدد من (النازيين الجدد) وفقاً لما أحبوا تسمية أنفسهم به ، أو (خونة ٢٠ تموز ـ يـوليو ـ وفقـاً للاسم الذي أطلقه عليهم هتلر وأجهزته) . ولكن علاقة الصداقـة القـديمة هـذه مع المعارضة، تجـددت في بدايـة سنة ١٩٤٤ . وعـلى سبيـل المثـال ، فقـد أخـذ النـائب الكـاثـوليكي القـديم في الرايخستاغ ـ اوسكار فارني ـ يكثر من تردده على مقر قيادة رومل . ولم يلبث رومـل أن وجد نفسـه قطبـا في مجموعـة المعارضـة التي كشف أمرها في مؤامرة ٢٠ تموز ـ يوليو ـ .

وكـان رومل قـد قابـل عمدة شتـوتغارت السـابق ـ الـدكتـور ستـرولن ـ وذلك في شهـر شباط ـ فبـراير ـ ١٩٤٤ ، والـذي أرسل لـرومـل عمـدة ليبـزيـغ السـابق ـ الكتـور غـوردلـر ـ وقـد تعـرض سترولن ، قطب المعـارضة في نقـاشه مـع رومل للقضـايا السيـاسية المرتبطة بقلب النظام ، ونقل إليه معلومات عن الجنرال بيك ـ وزيـر الحربية ـ الذي نصب نفسه يـوم ٢٠ تموز ـ يـوليو ـ عمـدة لبرلـين ، ولمدة ساعات قليلة فقط .

وكان لرومل حديث مستفيض يوم ١٥ أيار ـ مـايو ـ ١٩٤٤ في مقر حاكم فرنسا في (سانت جيرمان ـ آن ـ لي) وهو (كارل هنريك فون ستولبناغل) حيث جـرى بحث الوسـائل الكفيلة بـوضع نهايـة للحرب .

وكان (كارل) هذا يعمل بتعاون وثيق مع قائد شمال فرنسـا وبلجيكـا (ألكسندر فـون فولكنهـوزن) . وقـابـل رومـل في مقـره الميداني ، خلال شهر أيار ـ مايو ـ الجنرال واغنر والـذي كان مكلفـاً بـإجراء الاتصالات بين المتآمرين في الغرب ورفاقهم في برلين . وقـد

أظهر رومل معارضته للمؤامرة التي كان يتم إعدادها ، لأنه كان يفضل اعتقال هتلر وتقديمه للمحاكمة لمحاكمته على جرائمه بحق شعبه وبحق الانسانية .

وتبع ذلك (وفي شهر أيار - مايو - أيضاً) أن جاء لزيارته الكاتب الألماني الشهير (أرنست جونكر) والذي كان يومها ضابطاً برتبة نقيب ، فقدم إلى رومل مشروعه للسلام ، وتلقى من رومل اقتراحاته الكاملة للمستقبل ، بما في ذلك إقامة مشروع (الولايات المتحدة الأوروبية) .

وفي يوم ٢٧ أيار - مايو - توجه الجنرال شبيدل - رئيس هيئة أركان رومل - إلى فرودنستادت حيث قابل باسم رومل وزير الخارجية الألمانية الأسبق (البارون نوراث) والذي كلفه بأن « ينقل إلى الماريشال رومل الدعوة للتحرك من أجل انقاذ ألمانيا ، سواء بتنصيب نفسه قائداً أعلى للجيش الألماني ، أو بممارسة دور رئيس الدولة لمرحلة انتقالية » . ووافق رومل على ما عرضه نوراث ، وأبلغه أنه مستعد للعمل .

وفي يوم ٢٦ حزيران - يونيو - جاء العقيد فينك من قبل واغنر إلى مقر قيادة مجموعة الجيوش (ب) لتقديم تقرير إلى رومل عن الاستعدادات الجارية لاقصاء هتلر .

وفي يوم ٩ تموز - يوليو - أرسل (ستولبناغل) إلى (روش غوايون) كلاً من العقيد فون هوفاكر والدكتور هورست ، وقد قدم هوفاكر إلى رومل مذكرة انتهت بتوجيه نداء عاجل . وتمت إعادة بحث الموقف من جديد على جبهة الغزو . وكان على هوفاكر التوجه

إلى برلين ، ليشترك مع الجنرال بيك في التفاصيل النهائية لمشروع الثورة ـ أو الانقلاب ـ وذلك قبل عودته من جديد إلى روش غوايون يوم ١٥ تموز ـ يوليو ـ .

وخلال هذه الفترة أعلن عن قيام القطب المؤلف للمؤامرة -كلوزفونستوفنبرغ ـ بعزمه على زيارة رومل ـ وهي الزيارة التي لم تتم ـ . وكان مقر رومل يستقبل كل يوم تقريباً شخصيات هامة جاءت لتعبر بحرية عن آرائها في مقر قيادة رومل ، بعيداً عن رقابة الغستابو .

وأخيراً ، أرسل رومل يوم ١٣ تموز ـ يوليو ـ الجنرال شبيدل إلى (ستولبناغل) لإعلامه عن استعداده للتحرك حتى لو لم يتخذ (فون كلوغ) قراره للتحرك والعمل . وفي اليوم ذاته ، بدأ رومل جولته التي استمرت ثلاثة أيام في الجبهة ، وقد عمل خلال هذه الجولة على التمهيد فكرياً لاستقبال الأحداث المتوقعة ، وللتأكد من موافقة مرؤوسيه ، الضمنية أو العلنية ، على مشروعه .

لقد كان الهدف الأول لرومل هو إيقاف الحرب على جبهة الغرب ، ويظهر أنه لو لم يصب بجراح خطرة يوم ١٧ تموز ـ يوليو ـ ، لعملت الجيوش الألمانية في الغرب على إيقاف القتال يوم ٢٠ تموز ـ يوليو ـ وذلك بمجرد الاعلان عن الانقلاب ضد هتلر ، حيث تبدأ عندها المفاوضات مع الحلفاء .

وكان رومل يعتمد على تأييد معظم قادة الميدان ، ولم يكن لديه أدنى شك في ولاء الوحدات الخاصة له (س . س) ، كما كان يعتمد كلياً على قائد الفيلق الأول (سيب ديتريش) ، غير أن إصابة

روممل بجراح ، وغيابه عن مسرح الأحداث ، أدى إلى تـردد (فون كلوغ) فافتضحت المؤامرة. فتم اعتقـال قادة الشـرطة جميعـاً ، وقادة الوحدات الخاصة (س . س) وقادة الفرق الخاصة ، وقـادة الحزب الوطني الاشتراكي (النـازي) في باريس . وتـرك روممل ، لكن إلى حين . وعاد إلى منزله في (هيرلينجن) في ألمانيا ، وجلس إلى ابنه ، مانفرد يحدثه :

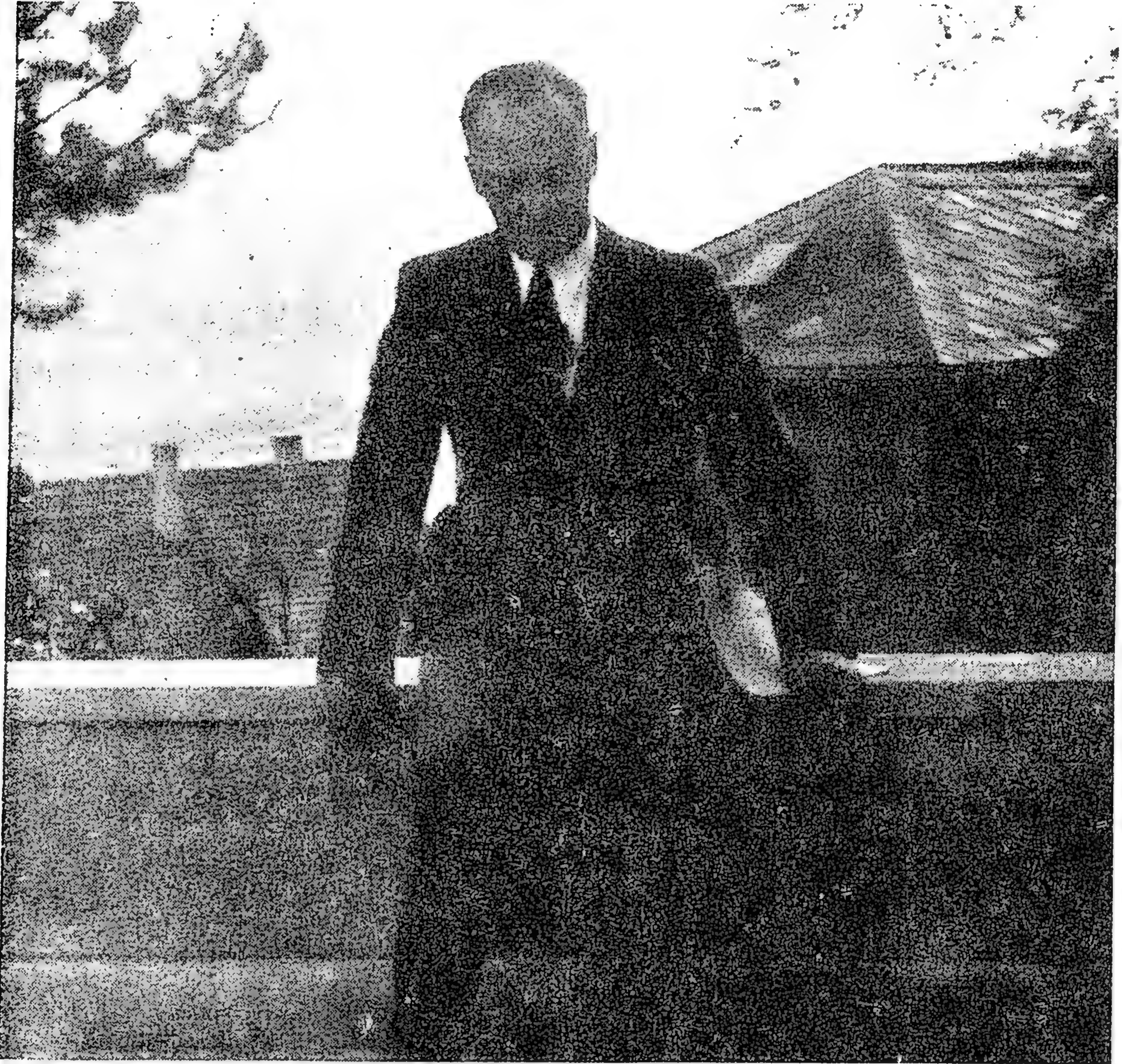
« لقد حاول هتلر الحـد من صلاحيتي وسلطتي ، على جبهة النورماندي ، حتى بات بـاستطاعـة رقيب أول أن يحل محـلي . كان يتـدخل بـاستمرار ، ويـرفض كافـة مقترحـاتي . وعنـدمـا سقـطت شيـربورغ ، أرسـل إلينا مستشـاراً مختصـاً بـاجـراءات المحـاكمـات بالخيانة العظمى ، وهذا كل ما تلقيناه من دعم من القيـادة العليا . لقد أظهرت وحـداتنا شجـاعة رائعـة خلال الأيـام الأولى ، ثم نزل الاحبـاط بـالجيش وانهارت معنـويـاتــه بسبب افتقـاره لـلأسلحـة الضرورية » .

مـا إن استقر رومـل في منزلـه ، حتى شعر بـأن الغستابـو قد أحاطوا بمنزله ، وأخذوا بمراقبته مراقبة دقيقة ، ويـرصدون حـركات زواره . وكان من عادة روممل خلال هذه الفترة أن يخرج كل يوم مع ابنه ـ مانفرد ـ للتنزه في الغابات المحيطة بالمنـزل . فقال رومـل يومـاً لابنه :

« إصغ إلي يا مانفرد ، من المحتمـل أن يعملوا على قتـلي سراً باطلاق عيارات نارية في الغابـة . وما من سبب يستـطيع أن يمنعنـا عن إيقـاف نزهـاتنا . ولكن خـذ معك مسـدسك ، فهؤلاء الـرجال يخـطؤون هدفهم بـاستمرار . فـإذا ما أطلقـوا نيرانهم ، وجـه نيران

مسدسك فوراً نحو الاتجاه الذي ينطلق منه النار . فسيحاولون عندها الاختفاء أو الانسحاب » .

ولكن هتلر كان قد قرر ميتة لرومل ، غير الاغتيال .



رومل على شرفة منزله قبل موته بفترة قصيرة

وجاء ضابط من الذين خدموا تحت قيادة رومل ، فزاره في منزله ، وأجرى معه حديثاً مستفيضاً ، وعندما ذهب الضابط ، جلس رومل إلى ابنه وزوجته ، ونطق بما أثقل صدره :

« لقد مات فون كلوغ ، وأصبحنا نعرف الآن ما حدث له ،

لقد عزله هتلر عن قيادتـه ، وأصدر إليـه الأمر بـالعودة إلى ألمـانيا . وتم إعطاؤه السم في الطريق ، أثناء عودته . وعندما عاد سـائقه إلى العـربة بعـد فترة قصيـرة ، وجده جثـة هامـدة عـلى المقعـد الخلفي للنسيارة . وكان فون كلوغ قد أرسـل لي عندمـا وصل إلى فـرنسا : « لقد جاء دورك الآن لتتعلم كيف يجب أن تطيع الأوامر » .

علم رومـل في بدايـة شهـر أيلول ـ سبتمبـر ـ أن رئيس هيئـة أركـانه السـابق ـ شبيـدل ـ قـد عـزل مـن أعمـالـه ، وأبعـد عن منصبه . وبعد ذلك بأيـام ، جاء شبيـدل لزيـارة رومل في منـزله في (هيرلينجن) . ولما كان شبيدل سيمثل في اليوم التالي أمام هتلر فقد قرر رومل الافادة من هذه المناسبة ليعرض على هتلر مجـدداً اقتراحـه بـإيقـاف الحـرب عـلى جبهـة الغـرب ، وتقـديم هـذا الاقتـراح إلى غودريـان الذي أصبح رئيساً لهيئة الأركان العليا . ولكن تم اعتقال الجنـرال شبيدل في يـوم ٧ أيلول ـ سبتمبـر ـ ١٩٤٤ ، الأمـر الـذي استثار رومل ، فكتب رسالة إلى الفوهرر عبر فيها عن تـأثره العميق لاعتقال شبيدل الذي قدم خدمات رائعة على جبهـة النورمـاندي . لكن هتلر تحرك على الاتجاه المضاد ، فتم تقديم شبيدل إلى (محكمة الشـرف للجيش) واحيط مصير شبيـدل بـالغمـوض . وفي الـوقت ذاته ، عكف هتلر وهملر وبورمـان والجنرال بـورغدورف عـلى وضع خطة للتخلص من رومل ، بطريقة لا تثير الشبهات .

فقد كان اسم رومل رمزاً للكفاءة القيادية والوطنيـة الصادقـة في وسط الشعب الألماني بكامله . وكـان قتله في تلك الفترة الحـرجة بطريقة مكشوفة سيثير المتاعب أمام القيادة الهتلرية ، فتم وضع خطة مناسبة .

ووصلت إلى روميل يوم ٧ تشرين الأول -اكتوبر - ١٩٤٤ من كيتل ، برقية تطلب إليه التوجه إلى برلين يوم ١٠ تشرين الأول - اكتوبر - لحضور مؤتمر للقادة ، وسيأتي قطار خاص ليأخذه من (أولم) . وما إن تسلم روميل البرقية حتى صاح : (لست أحمقاً ، إنني أعرفهم جيداً . إني على يقين من أنني لن أصل حياً إلى برلين ». وأرسل اعتذاراً عن رفض الدعوة . وبدأت الأحداث بالتسارع . ففي يوم ١٣ أكتوبر - تشرين الأول - قام الغستابو باعتقال وزيرين سابقين (فيهر وغيسلر) كانا من أصدقاء روميل ، ومن الذين استمروا في زيارتهم له بعد عودته إلى منزله . وفي اليوم التالي ، تلقى روميل هاتفاً يعلمه عن ارسال ضابطين لمقابلته ، وجلس روميل الى ابنه - مانفرد - يحدثه :

« سيصل اليوم - ظهراً - ضابطان لمناقشتي بشأن مستقبلي . وسأعرف أخيراً ما يخبئونه لي : فأما محكمة الشعب ، وأما قيادة جديدة على جبهة الشرق » .

وسأله مانفرد : « وهل ستقبل تولي قيادة جديدة ؟ » .

وأجاب روميل : « إن الخطر الجاثم على الجبهة الشرقية هو خطر مرعب يا بني ، وهو خطر يرتفع على كل الاعتبارات . وستكون النهاية إذا ما اجتاح الروس أوروبا ، وعندها ستفقد الحياة قيمتها . نعم سأقبل دون تردد » .

ووصلت في الظهيرة عربة تحمل رقم (برلين) وتوقفت أمام باب الحديقة . وهبط قائدان - جنرالان - من العربة ، واقتحما المنزل ، وهما : بورغدورف وميزل . وقابلا روميل ، وكان معه ابنه

ـ مانفرد ـ والنقيب هيرمان ألدنجر ـ. فطلب الضابطان من رومل التحدث إليه على انفراد . وخرج رومل بعد فترة قصيرة ، فودع زوجته ، وأخذ ابنه إلى غرفة مجاورة ، وقال له :

« إنني سأموت بعد ربع ساعة . . فقد اتهمني هتلر بالخيانة العظمى ، ولكن نظراً لخدماتي في أفريقيا ، فقد تفضل بمنحي فرصة الموت بالسم . وقد حمل الضابطان السم معهما ، والذي يعطي تأثيره خلال ثلاث ثوان فقط . أما إذا رفضت فإن العقوبة ستمتد إليك وإلى أمك ، وإلى كافة أعضاء قيادتي ، وقد وعدتهم بألا تبوح بكلمة مما قلته لك ، وإلا فإنهم سيتحللون من وعدهم بعدم الإساءة إليكم » .

وودع رومل ابنه ـ وصديقه ألدنجر ـ . ولكن وعند خروجه تحسس جيبه ، وأخرج حافظة نقوده ، وقال لابنه وهو يعطيها له :

« لم تعد لي حاجة بها ، وليس فيها على كل أكثر من ١٥٠ ماركاً ، هي كل ما أملكه »

خيم الصمت المرعب على منزل رومل . وما هي إلا فترة قصيرة حتى رن جرس الهاتف : لقد مات الماريشال .

كان هتلر قد أعد كل شيء لاخراج المسرحية ـ المأساة : حرس الشرف ، والموكب الرسمي للتشييع ، ووصلت المأساة ذروتها عندما تسلمت لوسي ـ السيدة رومل ـ برقية التعزية ، وفيها :

إلى الجيوش ـ تعميم ـ ١٦ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٤٤

أرجوكم قبول أعمق التعازي بمناسبة الخسارة الفادحة التي

نزلت بكم. وسيبقى اسم الماريشال روميل خالداً ومقترناً بالمعارك العظيمة التي قادها في أفريقيا الشمالية .

أدولف هتلر

وكذلك البرقية التالية للسيدة روميل :

القيادة العامة للفوهرر ١٦ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٤٤ .

لقد جاءت وفاة زوجك ، الماريشال روميل ، ببطولة على أثر الجراح التي أصابته ، بمثابة ضربة لآمال الشعب الألماني الذي كان يأمل بشفائه . وقد تأثرت تأثراً عميقاً .

وأوجه إليك عزيزتي السيدة روميل أرق المشاعر باسمي وباسم أفراد سلاح الجو الألماني ومع التعازي الحارة .

عزيزتي السيدة روميل

ماريشال الرايخ ـ غورنغ برلين ١٧ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٤٤ .

أوجه إليك باسمي واسم زوجتي أخلص تعازينا بالمصاب الجلل الذي أصابكم .

لقد فقد الجيش الألماني بفقده للماريشال روميل واحداً من أعظم قادته الظافرين وسيبقى اسمه الخالد مقترناً بالمعارك التي خاضها الفيلق الأفريقي . ونؤكد لك مشاركتنا لكن في محنتك ، بأرق مشاعرنا ـ عاش هتلر .

وزير الرايخ
الدكتور غوبلز وزوجته



(المأتم الوطني) ونعش رومل وقد حمله ثمانية صف ضباط إلى عربة المدفع وقد لف النعش بالعلم النازي وفوقه عصا الماريشالية وسيف رومل وخوذته

٤ ـ القائد القدوة

وقف رومل يودع طلابه ، طلاب الكلية الحربية ، سنة ١٩٣٨ ، وألقى فيهم كلمته :

« كونوا مثالاً لجندكم في حياتكم العسكرية ، وفي حياتكم الخاصة ، على السواء . ابذلوا أبداً أقصى ما تستطيعونه من الجهد . شاركوا وحداتكم ظروف الحرمان التي يعيشونها في الميدان . أظهروا أبداً الأدب ، والمهارة ، والروح المعنوية العالية وعلموا مرؤوسيكم أن يكونوا كذلك . تجنبوا الصراخ ، فاللهجة الحازمة تؤكد بصورة عامة أن القائد مسيطر على نفسه ، حتى لو كانت هذه اللهجة غطاء للضعف » .

لم تكن هـذه الكلمة التي ألقـاها رومـل في وداع طلابـه مجـرد (موعظة) رتيبـة مما يتم عـادة قولـه في مثل هـذه المناسبـات ، وإنما كـانت تعبيـراً عن أولى الفضـائـل التي يجب أن يتحـلى بهـا القـائـد القدوة ، والتي تميز بها رومل في حيـاته الخـاصة ، والقيـادية ، وهي فضائل لم تكن متكلفة ، مصطنعة ، أو مكتسبة زائفة ، وإنما كـانت أصيلة في طبيعة رومل وسجيته ، ولهذا فقد لازمته حتى آخر يوم من أيـام حياتـه . ومن أجل ذلـك ، اكتسب ايروين رومـل رصيـده الرائع في قلوب الجماهير وعقـولها ، لا في ألمـانيا فحسب ، بـل وفي عالم الحرب العالمية الثانية كله ، وحتى بات نموذجاً للقائد القدوة في وسط جند بلاده ، وفي أوساط الجنود المعادية لجيشه .

قـال كلاوز فيتز : « تحتـاج شخصيـة القـائـد العسكـري إلى مواهب فكرية عالية ، بالإضافة إلى قـوة الإرادة وشجاعـة القلب . كـذلك لا بـد من أن تهيمن على كـل عملية حـربية أفكـار واضحة ومبسطة» .

ولقد أظهر العرض السابق تـوافر هـذه الشروط وتكـاملها في شخص رومل ، إنسانـاً ، وقائداً . فها هو رومل ، وهو قـائـد وحدة صغرى في الحرب العالمية الأولى ، يقود وحدته بكفاءة عـالية ، حتى قيل عنه : « لا يوجدرومل إلا في المقدمة ، وحيث يوجد رومل توجد المعركة» .ثم ها هو يقود فرقته في اجتياح الغـرب بطريقـة فذة ، مما حمل الحلفاء ـ البلجيك والانكليز والفرنسيين ـ على تسمية فرقته بـاسم « الفرقة العجيبة ، أو الفرقة الشبح » . ثم هـا هو يتـولى قيادة الفيلق الأفـريقي ـ ثم الجيش الأفـريقي ـ فيكتسب احتـرام أعـدائـه قبـل

أصدقائه ، فيطلقون عليه صفة (ثعلب الصحراء) ويقولون عنه « إننا نجابه قائداً عظيماً » .

لقد وضع رومل قبل الحرب العالمية الثانية كتابه (هجوم المشاة) واكتسب هذا الكتاب شهرة واسعة ، ولقي رواجاً كبيراً وذلك بفضل ما تميز به من تبسيط للأمور المعقدة ، وإيضاح للمسائل الغامضة . وأفادته هذه الموهبة ، موهبة تبسيط الأمور ، إفادة كبيرة في قيادة الوحدات على كافة المستويات. وكان بارعاً في التخطيط الاستراتيجي على قدر براعته ، ومهارته ، في معالجة المسائل التكتيكية والفنية التي كان يتقنها غاية الاتقان .

وكان رومل وهو في ساحة المعركة يمتلك دائماً القدرة على رؤية الأمور بصورتها الشاملة ، دونما أي اهمال لما تتضمنه هذه الشمولية للتفاصيل الدقيقة،ولهذا تميزت إدارته للحرب بالمرونة الكبرى ، فهو يقود المعارك على أساس الخطة الموضوعة غير أن المعارك تتضمن مباغتات كثيرة ، وتحولات مثيرة ، تبعاً لردود الفعل المعادية ، وسرعان ما يتكيف رومل مع المستجدات ، ويجد الحلول المناسبة لكل مأزق من مآزق الحرب . ولقد اتهم رومل نتيجة لذلك (بالارتجال) ، ولكن رومل لم يكن في الواقع يرتجل مواقفه اعتباطاً، أو دونما روية أو إمعان نظر ، وإنما كان يضع تخيلاته كافة على هامش الخطة الأساسية ، ويفكر كثيرا بالاحتمالات المختلفة،فإذا ما ظهر له أي من هذه الاحتمالات ، كان الرد لديه جاهزاً،فيسرع إلى تنفيذه فوراً ، بحيث يظهر لهيئة أركانه ومن يحيطون به أن هذا الرد متسرع ، وارتجالي ، وهو أبعد ما يكون عن التسرع والارتجال .

وكم تسبب له ذلك بمتاعب لا تحصى مع رؤسائه ومرؤوسيه ـ هيئة أركانه ـ ؟ . .

جابه رومل في إدارته للحرب نكبات كثيرة ومآزق صعبة وأزمات متنوعة ، واستطاع تجاوزها جميعها بثقة تامة وإرادة صلبة . وكان إحساسه السليم وتقديره الصحيح ، بعيدين عن خداع النفس ، الأمر الذي ساعده على الشعور الدقيق باللحظة الحاسمة أثناء المعركة ، وبتحول مجرى الأحداث . فكان يسرع لاغتنام فرصة التحول من أجل خلق مواقف جديدة تدعم مخططاته وتصل بها حتى نهايتها . وكان يبالغ في مطالبه ، ويطلب إلى جنده بذل أكثر مما يستطيعون بذله ـ بحسب ما اتهم به إن كان ذلك اتهاماً ـ . ولكن رومل كان لا يطلب من الآخرين أكثر مما كان يطلبه أو يفرضه على نفسه . ثم إنه كان يملك موهبة القائد ، أي موهبة اقتلاع رجاله معه . فمارس على قواته تأثيراً اسطورياً لا يمكن إيضاحه عن طريق العقل ، وكان جنده جميعاً يشعرون تجاه ميزاته الرجولية ، بالقلب الكبير الذي يخفق من أجلهم .

قال نابليون بونابرت ، ذات مرة : « لا يستطيع القائد قيادة جيشه وهو جالس في قصر ملكي ». وقد ظن كثيرون ، واعتقدوا ، أن هذا القول قد تجاوزه الزمن ، غير أن رومل أكد صحة هذا القول في عصر التقنية المتطورة ؛ إذ كان باستمرار قائد القوات المتقدمة ، يوجهها نحو أهدافها ، وينسق التعاون فيما بينها ، ويدفع ما تخلف منها للحاق بما تقدم عنها ، وينظم الارتباط والاتصال فيما بينها من جهة ، وبينها وبين قيادتها من جهة ثانية ، مع تقويم الأخطاء والانحرافات بصورة فورية ـ قدر المستطاع ـ ، فكان بذلك

يحصل على المردود الأقصى للقوات والنيران . وعندما شرع في إعادة تنظيم الدفاع عن جدار الأطلسي ، ثم في إدارة الحرب ضد قوات الغزو ، كان ـ كما قال هو نفسه ـ موجوداً في كل وقت وفي كل مكان .

ولا حاجة لوصف مدى ما تركه مثل هذا السلوك في نفس القوات ـ جنوداً وقادة ـ . فقد تميزت قواته أبداً برصيدها المرتفع من الروح المعنوية ، وبعنادها في القتال .

لقد كان رومل يحب الحياة مع القوات ، ويجد متعة تمتلك عليه حياته ووجوده وهو يعيش حياة الحركة الدائمة والظروف القاسية والتوترات الصعبة التي يعيشها الجندي تحت نار المعركة ، وكان كثير من القادة يفتقرون لمثل هذا الرباط الوثيق الذي يربط الجندي بقائده . فكان بحق جديراً بما تضمنته مسرحية شيللر :

تبرز قوته أمام كل إنسان .
تلك القدرة التي برزت لديه فردة وبشكل كبير
إنه يدع كل إنسان كما هو
ولكن يهمه أن يضع كل واحد في مكانه الصحيح
وهكذا يعرف كيف يرفع من قدرات الناس
حتى تصل إلى مستوى قدراته وإمكاناته

هناك تعاريف لا نهاية لها ، في كثرتها وتنوعها ، اجتهد المهتمون بالقيادة والقادة فقدموها على أنها هي الأوصاف الثابتة والمطلوب توافرها في القائد ، وليست جميعها دقيقة أو صحيحة ، وكذلك فليست كلها مرفوضة أو خاطئة. غير أن أفضل تعريف

ينطبق على رومل ـ في وجه من وجوه قيادته على الأقل ـ هو تعريف الكونت الجنرال شيلفن الذي قال :

« لا بد لشخصية القائد العسكري من أن تكون مزيجاً من العقل والقلب ، من الإرادة والحماسة . وقد لا يكون المظهر الخارجي للقائد متطبقاً مع ما يحمله في داخله من قدرات وإمكانات ، فيجب عدم الأخذ بالمظاهر فقط . ويفصح الانسان عن وجوده داخل القائد العسكري عبر المجابهة بين العقل ، وبين القوى اللاعقلانية للحرب ، وأيضاً في التوازن بين المعرفة والعمل » .

ظل القائد الماريشال رومل هو : (الرجل ذاته دائماً) ، لم يتبدل ولم يتغير ، يؤدي واجبه حتى في أقصى الظروف وأشدها مرارة .

إنه الجندي الذي يملك (الشجاعة الأدبية) والذي بقيت محبته لوطنه قائمة على الصدق والارتباط الوثيق بأهل الوطن وأرض الوطن ، يمارس واجبه ويعبر عن حبه بالعمل الناشط ، والحماسة المتدفقة . كان نقياً ، وواضحاً ، وصريحاً ، ذا نفس حرة في علاقاته مع أصدقائه ومع خصومه ، أو أعدائه ، على السواء . وعلى الرغم من طاقاته المبدعة ، وشجاعته الفائقة ، فقد كان الدفء الانساني يشع من قسمات وجهه ، مما كان يبعث الثقة بكل من يعرفه . ومع أنه كان قاسياً مع نفسه ، عاش حياة الجندي الاسبارطي ، فإنه كان محباً للحياة ، يعرف كيف يستمتع بها ، ولو أنه لم يكن بطبيعته ميالاً للترف . كذلك فقد وصل إلى الحقائق

النهائية في وقت متأخر . كان يبدو جافاً ، منغلقاً على نفسه ، ولكنه كان رقيقاً بين أصدقائه ، ولا تنقصه روح النكتة . وكثيراً ما كانت تبرز ميوله الاجتماعية بوضوح كامل ، ولعل مرجع ذلك يعود إلى نشأته في منطقة (شغاين) . أما فضائله ونبل أخلاقه ، فقد بقي مضرباً للمثل .

قال نابليون ، وهو القائد العسكري رغم الدور السياسي الذي اضطلع به ومارسه : « إن السياسة هي القدر ». وكان من قدر رومل أن يضطلع بدور سياسي لم يقدر له أن يكمله . وقد جاء هذا الدور في وقت متأخر جداً من حياة رومل القيادية . وكان ذلك أمراً طبيعياً ، فالبدايات المبكرة ، ثم المراحل الأولى ، في حياة رومل ، لم تكن إلا نموذجاً للحياة العسكرية ، فكان إدراك رومل ، واهتمامه ، موجهاً بكامله لحياة الجندية ، ولهذا فإنه لم يعرف إلا أن الحرب هي عملية (أو أعمال) قتالية ، مرتبطة في أعلى قيمتها بالعمل السياسي ، وهو لا زال بعيداً عن بلوغ القمة ، وإذن فليس من شأنه توجيه اهتماماته إلى أمور بعيدة عن مجال عمله ، ولكن ذلك لا يعني أنه كان في جهالة تامة بالأمور السياسية .

لقد زعم (غوبلز) وزير الدعاية والإعلام في جهاز هتلر ، بأن رومل كان من أوائل قادة الوحدات الخاصة (س . س) . وقد اضطلع رومل ولمدة محدودة بتدريب الشبيبة الهتلرية عسكرياً ، غير أنه لم يترك الجيش أبداً ، ولم ينضم مطلقاً للوحدات الخاصة .وكان ضمناً ضد هتلر خلال السنتين الأولى والثانية من حكم هتلر ، حيث كان وقتها قائداً للواء المتمركز في (غوسلار) ، وعندما امتدت يد الحزب النازي للجيش ، بعد الاجراءات التعسفية في

٣٠ حزيران ـ يونيو ـ ذهب ضحيتها بعض قادة الجيش (أمثال فون شلايخر وفون بريدو) على يد زبانية هتلر ، قال رومل لصديقه : (أوساكار فارين) : « لقد حان الوقت لطرد هتلر وزمرته » .

لقد كان رومل هو (الابن البار للجيش الألماني ـ الجرماني) والحريص على أمجاده وتقاليده العسكرية التي تشكلت ببطء منذ قيام الدولة البروسية في أيام فريدريك الكبير ثم غليوم الثاني ، ولهذا لم يكن غريباً أن تثور ثائرة رومل عندما شعر بانتهاك هذه التقاليد وتمزيقها على أيدي النازيين ، وكذلك ، فقد كانت تشده إلى اخوة السلاح رابطة وثيقة ترتفع بسموها ونبلها على جميع الروابط الضيقة ، مثل الروابط الحزبية ، ولهذا فقد شعر رومل أن الإساءة لقادة الجيش هي إساءة تمتد إليه وتصيبه ، رغم عدم تعرضها له بصورة شخصية .

لكن نظرة رومل إلى هتلر تغيرت عندما أقدم هتلر على اتخاذ خطوته الجريئة برفع القيود عن تسلح الجيش الألماني وتطويره ـ نوعاً وعدداً ـ (في آذار ـ مارس ـ ١٩٣٥) . وما لبث رومل أن أعجب بشخصية هتلر ، وتعاظم احترامه له . وبدأ رومل يصدق أهداف هتلر ـ السلمية ـ وتطلعاته المثالية ، كما أعجب بقدراته العالية وقوة شخصيته وكفاءته القيادية .

واعتقد رومل بأن الدول الغربية سوف تنظر إلى تسليح ألمانيا على أنه حاجز منيع في وجه الاتحاد السوفييتي . ولكن منذ نهاية الحملة على الجبهة الغربية ، بدأت الشكوك تنتاب رومل حول حقيقة الفكر السياسي والحربي للنظام النازي الحاكم . وقد ساهمت

كثير من الخبرات المريرة في دعم هذه الشكوك ، لذلك فقد عارض رومل أثناء معركة العلمين وبعدها أحلام هتلر في فرض السيادة على العالم . ومنذ ذلك التاريخ لم يعد هتلر يثق به ، ولكنه حاول أن يكسب في شخص رومل المستقيم صفقة مع الشعب الألماني . ولهذا عمل على ابراز الماريشال رومل أكثر من أي قائد آخر . وقد فعل ذلك أيضاً لاعتقاده أنه وجد فيه خصماً لهيئة الأركان العامة التي كان يكرهها هتلر ويخشاها في آن واحد .

لم تتسع معارف رومل في المضمار العسكري والسياسي فقط ، وإنما تجاوزتها أيضاً إلى المضمار الانساني . لقد اكتشف الفساد المتزايد للحكم ، وهو الفساد الذي حول الدولة والقوات المسلحة إلى مجرد منفذين لأوامر الحزب النازي . وقد عارض أكثر من مرة ضياع الحق والقانون ، ورأى فيه - كما قال مرة - أقصر طريق لتدمير الدولة ، وعندما عمت أخطاء هتلر وجرائمه فامتدت إلى جميع المجالات ، أدرك رومل مقدار ما تفعله قوة التعالي والصلف من تدمير للفرد والمجتمع ، وما تحدثه من انهيار للفضائل والقيم .

ولم يؤد هذا الادراك الواعي برومل إلى اليأس والقنوط ، مثلما حدث لعدد من القادة العسكريين الكبار ، وإنما أدى إلى تيقظ عقله وتفتح قلبه ، واستعداده للعمل الذاتي . ولم يظهر شجاعته بقلمه فقط - عبر التقارير التي كان يرفعها إلى القيادة ، ويجابه فيها هتلر وجهاً لوجه - وإنما كان يغتنم كل فرصة خلال اجتماعاته بهتلر ، فيشرح له الموقف بلا مواربة ويطلب إليه تحمل النتائج ، وظهر ذلك واضحاً في النقاش الذي استمر ثماني ساعات (يوم ١٧ حزيران - يونيو - ١٩٤٤) ووقف (فون رونشتد) و (رومل)

في مواجهة هتلر وقيادته . وكان عليه بعد أن أدرك خطأ نظرته السابقة إلى هتلر ، وبما أن مستقبل شعبه ، كان أهم لديه من أي شخص آخر، فقد كان عليه العمل لتصحيح الخطأ . وهذا ما فعله غير أنه عندما أراد البدء بتنفيذ مشروعه الاصلاحي تصدى له قدره فحال بينه وبين ما أراد .

لم يشترك رومل ، كما لم يشترك معظم الضباط الألمان الكبار ، في صنع أسطورة هتلر على أنه (أعظم قائد عسكري في جميع العصور). وقد شعر هتلر بهذا الموقف ، وأدركه إدراكاً تاماً . وأفادت حاشية هتلر من العسكريين والسياسيين من ذلك فعملت ضد رومل سراً وجهاراً .

لقد جعلت الانتصارات من رومل نداً خطيراً ومنافساً قوياً لهتلر في أنظار الشعب الألماني ، ويتناقض ذلك مع مفهوم الحكم (الثيوقراطي) الذي استمد هتلر منه ذريعة وجوده ، فكان ظهور منافس مثل رومل ، مع ما اشتهر به من الفضائل التي كان يفتقد إليها نظام حكم هتلر ، يشكل خطراً حقيقياً ، لا على هتلر وحده ، وإنما أيضاً على مستثمري مشروع حكم هتلر ، ونظامه ، وإذن فيجب إزالة هذا المنافس من الوجود ، حتى لا يكون هناك (بطل قومي) آخر .

جاءت محاولة انقلاب يوم ٢٠ تموز - يوليو - ١٩٤٤ ، لتقرع الأجراس بقوة منذرة بتعاظم قوة العاصفة . ونجحت أجهزة الدعاية النازية في تحويل غضب الشعب الألماني وصرفه عن الكارثة التي باتت تتهدده عن قرب ، وإشغاله بقضية (هؤلاء

الانهزاميين ـ الخونة ـ الذين يريدون إيقاف الحرب الظافرة ، والتي لا يستطيع أي شخص أن يحقق النصر فيها إلا هتلر ، وإذن فيجب ألا يحل محله أحد) . ومن يمكن أن يكون هذا الأحد خلال تلك الفترة سوى رومل ؟

ونسي الشعب الألماني في غمرة الأحداث المثيرة والمتسارعة ، ما كان قد قرره ـ ماكيافيللي ـ قبل أربعمائة سنة ، إذ قال : « إن **القائد العسكري الذي يحقق للحاكم بجده ونشاطه انتصارات ونجاحات يتمتع بالضرورة بسمعة عالية بين الجنود وفي صفوف الشعب ، وحتى عند العدو ، بحيث أن الانتصارات لا تؤدي أبداً إلى رضى الحاكم . فالحاكم لا بد له من أن يقي نفسه ضد هذا القائد العسكري . إنه مضطر لأن يبعده أو يسلبه انتصاراته وما حصل عليه من سمعة واحترام** » .

ولكن رومل لم ينس مثل هذا القول ، وكيف يستطيع نسيانه وهو يرى رفاقه وهم يتساقطون حوله كل يوم فيذكرونه بمصيره المحتمل .

ورغم ذلك ، ورغم معرفته بما يتهدده من قتل ، فقد تابع نهجه ، في تحذير هتلر من المستقبل الذي بات يتهدد بلاده وشعبه . كل ذلك على أمل أن تأتي الخطوة الاصلاحية عن طريق هتلر ذاته ، فيجنب بلاده الكوارث والنكبات .

وعندما قرر المتآمرون في مؤامرة ٢٠ تموز ـ يوليو ـ اغتيال هتلر ، تصدى لهم رومل بحزم . إنه لم يكن يرغب في أن يجعل من هتلر شهيداً ، بل أراد تقديمه إلى محكمة الشعب لترى رأيها في

أعماله وجرائمه ، ولتقرر الحكم العادل الذي يرضي (الفضائل التي أهدرت) و (القيم الانسانية التي دمرت) .

لقد رأى رومل ، وهو رجل الحرب ، أن الحرب قد فقدت حجة استمرارها وسبب تطورها ، وأدرك ضرورة إيقافها إنقاذاً لشعبه وأمته ، فحاول جهد استطاعته ، ووضع حياته ومستقبله ، مقابل إقامة(ألمانيا أخرى جديدة) في نظامها ، ومفهومها ، حتى إذا ما حوصر ، ووجد أن التضحية بالنفس هي الثمن مقابل إنقاذ بعض ما تبقى له في هذ الوطن ـ زوجته وابنه ـ أقبل على التضحية بنفس مطمئنة ورجولة حقة ، فكان كما قال (أرنست يونغر) : « **هناك حالات لا يجوز فيها للانسان أن يتطلع إلى النجاح . وفي مثل هذه الحالة يقف المرء طبعاً خارج إطار السياسة ، وهذا ينطبق أيضاً على هذا الرجل . لقد كسب معنوياً حيث فشل تاريخياً . لقد كانت شجاعته وتضحيته من نوع أسمى من ذلك النوع الذي تنجبه ساحة المعركة ، إنه ذلك النوع الذي لا ينتهي الى النجاح بل إلى الشعر** » .

لقد مضى رومل عن الحياة الدنيا ، ولحق به هتلر ، وأفاق العالم على ذهول الكارثة .

لقد أراد رومل إنقاذ ألمانيا ، وإنقاذ العالم من التحولات الناجمة عن استمرار الحرب . ولكن هتلر سار بألمانيا حتى نهايتها الحتمية ، فدمرت ألمانيا ، ومزقت ، وجابهت أوروبا بالدرجة الأولى ، وجابه العالم بالتالي ، موقفاً جديداً ، لا زال يعاني من صعوبة التكيف معه . واستعادت ألمانيا مواقف رومل ووجهات نظره الصادقة ، وقارنت بينها وبين مواقف هتلر ووجهات نظره .

وإذا بـرومل في صعـود مستمـر ، بعـد وفـاتـه ، وإذا بهتلر في تـدن وانحدار بعد وفـاته أيضـاً . وبقي الشعب الألماني ، وبقيت شعـوب العـالم . هي الحكم الصحيـح ، وهي الميـزان العـادل ، لتقـويم وموازنة أقوال الرجال وأعمالهم .

٥ ـ تجربة تاريخية فردة

بقيت تجربة رومل التاريخية فردة في خصـائصها ، ومميـزاتها . فهي ليست تجربة عسكـرية بحتـة ، وهي ليست تجـربـة سيـاسيـة صـرفـة ، وكـذلـك فإنهـا ليست تجـربـة قـطريـة . إنها تجـربـة عسكـريـة ـ سيـاسيـة ، إنسـانيـة ـ شـاملة ، ولقـد تبـارى الكتـاب المحدثون ، والمؤرخون المعاصرون ، والباحثون المختصون ، كل في معالجة وجـه من وجوه هـذه التجربـة التي كتب عنها الكثـير ، ولا زالت تحظى بالمزيد من الاهتمام والدراسة .

لقـد كان رومـل (رجل حـرب الصحراء) أو (رجـل حرب الحركة) . ولقد أبرزت حـرب الحركـة عدداً من كبـار قادة الحـرب العالمية الثانية ، غير أنه ما من قائد استطاع يقيناً إعطاء هـذه الحرب أبعادها الواضحة مثلما أعطاها لها رومل .

ولقـد اعتمـد رومـل في حـربـه هـذه عـلى مبـادىء الحـرب التقليـدية المعـروفة . فقـد كان يمسـك (المبادأة) أبـداً بقبضتـه ، ويبحث عن (المبـاغتـة) بـأي ثمن ، ويحـرص عـلى (ضمـان أمن القـوات) ويبـذل قصـارى جهـده من أجـل (التـأمـين الاداري للقـوات) ويعمل في الحـالات كلها عـلى (المحـافـظة عـلى الـروح

المعنوية للقوات) »، ويمزج مخطط عملياته بالمخططات الخداعية ، وينسق التعاون بين القوات . ولا ريب أن تطبيق مبادىء الحرب ليس إبداعاً كبيراً ، غير أن الابداع الكبير هو في تطبيق أي من المبادىء بحسب متطلبات ظروف المعركة ، ومسيرة الأعمال القتالية وتطورها ، إذ كثيراً ما ظهر من خلال استعراض مسيرة الأعمال القتالية ، أن رومل كان يضحي بمبدأ ـ التأمين الاداري للقوات ـ من أجل الوصول بالنصر حتى نهايته ، وكثيراً ما كان يضحي أيضاً بمبدأ ـ ضمان أمن القوات ـ لمطاردة عدو منهزم . لقد كانت (النار والحركة والصدمة) هي مثلث القاعدة لعملياته ، وكان التوازن في هذا المثلث هو الضمانة لبلوغ الهدف . وإذن فلا ضير عليه إن هو أعطى هذا المبدأ أو ذاك الأفضلية في التطبيق خلال مرحلة معينة فرضتها ظروف المعركة ذاتها .

لقد بدأت الحرب العالمية الثانية برسم الملامح الأساسية للمعركة الحديثة بالأسلحة المشتركة . وقد أظهر رومل كفاءة عالية في تنسيق التعاون بين مختلف الأسلحة الأرضية (الدبابات والمدفعية والمشاة والمهندسين الخ) وكذلك التعاون بين هذه القوات والقوات الجوية . وقد كانت لرومل وجهات نظره الصحيحة في موضوع تنظيم الهجوم والدفاع للافادة من قدرات الأسلحة . وكان يعطي لعامل الأرض أهميته التي يستحقها في الأعمال القتالية المتنوعة . وكان استطلاعه المستمر للأرض ، وطبيعتها ، ومميزاتها هو خير عون له لوضع مخططاته ، ولإدارة الحرب .

هل كان رومل تلميذاً لنابليون بونابرت في ثقته المطلقة بالهجوم ؟ وعدم اعتماده إلا على الهجوم ؟ والإفادة من القدرة

الحركية العالية التي قدمتها التقنيات الحديثة لدعم الهجوم وتطويره ؟

لا ريب أن الخبرات المتوارثة في مجال (فن الحرب) تشكل الأساس لكل تطور ناجح . وقد يكون رومل تلميذاً لنابليون بونابرت - في مجال الهجوم على الأقل - ، غير أنه كان من المحال على رومل الافادة من التجربة التاريخية لنابليون ، أو لسواه من رواد الحرب التاريخيين ، لو لم يكن لديه استعداد أصيل لممارسة التجربة وتطبيقها تحت ظروف مختلفة . وقد ظهر هذا الاستعداد وبرزت تلك الأصالة ، منذ كان رومل ضابطاً صغيراً - ملازماً - ، ثم تطورت هذه الأصالة بتأثير التجارب الذاتية . وقد وجد رومل في الهجوم أداته ووسيلته لتحطيم التوازن النفسي والتنظيمي للعدو ، ثم انتقل منه لتدمير موازين القوى . فقد كان العدو يتفوق عليه - في قطاع جبهته - بمعدل يتراوح بين واحد إلى ثلاثة ، وأحياناً واحد إلى تسعة ، ورغم ذلك فقد أمكن له بفضل الهجوم تدمير هذا التوازن . ليس ذلك فحسب ، بل إنه كان يعتمد على الهجوم لتأمين (الامداد الاداري) لقواته بفضل ما يحصل عليه من الغنائم ، حتى أنه عندما وصل إلى العلمين ، كان قد جهز جيشه الافريقي - بمعدل ٨٠ بالمائة - بما غنمه من المدفعية والذخائر والدبابات والوقود ووسائط النقل .

ولقد كان نهج رومل في الهجوم ، وما يحققه من خلال الهجوم شبيه كل الشبه بما كان يفعله كبار قادة الحرب في الأزمنة الغابرة ، بداية من هاني بعل والاسكندر المقدوني ويوليوس قيصر ومروراً بقادة العرب المسلمين ، ثم بالمغول التتار .

وإذن فقد كانت أعمال روميل بمثابة استطالة للتجربة التاريخية القديمة والمديدة في عصر التقنية الحديثة .

وإذا كانت أعمال روميل هي استطالة لعهود الفروسية القديمة ، كذلك كان روميل تجسيداً لأيام الفروسية في عصر زوال الفروسية . إذ كان بفضائله الحربية ، وأخلاقه المثالية نموذجاً للانسان الفارس ، كما تصوره قصص العصور الوسطى ـ وآدابها ـ . فها هو روميل يقف مع الأسرى ، ويبادلهم الأحاديث ، ويطمئن على أحوالهم ، ويحرص على حسن معاملتهم . إنه يعرف وهو الجندي المحارب بأنه لا خيار للجندي في خوض الحرب ، وإنه إذا ما اضطر إلى خوضها ، فعليه أن يقتحم غمارها برجولة كاملة ، وبتضحية نبيلة ، وإقدام لا يعرف الضعف أو الخور . ولكن إذا ما وجد هذا الانسان نفسه مجرداً من سلاحه ، فيجب الابقاء على أصالته الانسانية وعدم تعريضها للمهانة أو الاذلال . بذلك اكتسب روميل قلوب أعدائه ، فحمل بشرف لقب (فارس القرن العشرين) .

وإذا كان روميل يحرص على إنسانية الانسان ـ حتى لو كان هذا الانسان عدوه ـ فلا غرابة أن يقف أمام هتلر ليطلب إنزال العقاب بالفرقة التي ارتكبت جريمتها في (الأورادور) ضد مواطنين فرنسيين لا يملكون الأسلحة أو القدرة للدفاع عن أنفسهم . وبذلك كان روميل يوازن بين (هدف الحرب) و (غاية السلم) ؛ فقد كانت الحرب في نظره هي الوسيلة لتحقيق هدف سياسي ، وهي وسيلة عارضة لا بد فيها من الوصول بالعنف حتى أقصى شدته ضد القوى المحاربة ، ولكن ما إن يتحقق هدف الحرب(احتلال

الأرض) أو (قهر قوات العدو وتمزيقها) ، فيجب إحلال علاقات السلم ـ الانسانية ـ محل علاقات الحرب ـ الوحشية والمدمرة ـ . ولقد كان هذا التوازن الدقيق بين (هدف الحرب) و (غاية السلم) هو ما افتقدته معارك الحرب العالمية الثانية عامة ، فلا غرابة أيضاً إن اكتسب أهمية مميزة عبر تجربة رومل التاريخية والفردة .

لقد كانت الفضائل الحربية المتلاحمة أبداً بالمثل العليا في شخص رومل هي الحافز الأساسي الذي حمل رومل ـ القائد ـ على مجابهة هتلر ، مع ما يمثله من انحراف في (مفهوم الحكم) .

لقد عمل نظام هتلر على سحق الانسان الألماني ، وهدر إنسانيته ، رغم أنه وضعه عرقياً فوق مستوى الشعوب ، وقدم له الوعود لتسخير كافة أمم الأرض وشعوبها لخدمته ، فدفعه بذلك إلى حرب مدمرة ، وعقيمة ، وضعت أمم الأرض وشعوبها ـ بمقادير متفاوتة ـ ضد النظام العرقي ـ العنصري ـ ، وضد مفهوم (القبيلة المسلحة) . ولقد بات هناك ما يشبه الاجماع على أن نظام هتلر لو حمل للشعوب السوفيتية شيئاً ـ غير العنصرية ـ وضد نظام ـ الغستابو والفاشية ـ لتغير مجرى الحرب بكاملها . ولقد تفاعلت هذه المثل في نفس رومل مع ما كانت تحمله الحرب من خطر بدمار ألمانيا وشعبها ، فوقف وقفته التاريخية التي أضاع فيها نفسه وكسب قضيته ، قضية انتصار الفضائل على الانحرافات .

تبقى هناك مسألة لا بد من التعرض لها ، وهي ، هل كانت انتصارات رومل هي التي ولدت في نفسه نوعاً من الغرور ، ودفعته إلى مجابهة هتلر في محاولة لمنافسته على السلطة ؟

بكلمة أكثر وضوحاً : هل كان الطمع بالسلطة هو الذي حرك رومل لركوب المركب الخشن ، أم هي الثورة ضد انحرافات الحكم ، وبالتالي الثورة للفضائل والمثل العليا ؟ .

لقد كان رومل طوال حياته القيادية حريصاً على ممارسة صلاحياته وسلطاته بشكل كامل . وكان يرفض الخضوع لمنطق القوة ، كما كان يرفض الخضوع للتجاوزات ، وكان يستخدم سلطاته لفرض الفضائل التي يؤمن بها ويعمل لها . وإذن فإن الطموح للحكم - أو السلطة - لم يكن لدى رومل غاية في حد ذاته ، وإنما هو وسيلته لفرض الفضائل والمثل العليا . ومن هنا ، فليس الطمع بالسلطة هو الذي حرك رومل لركوب المركب الخشن ، وقد وصل إلى منصب (قائد مجموعة الجيوش ب) وتمتع بسلطات واسعة رغم القيود التي فرضها هتلر وجهاز الحكم عليه ، وكانت الحرب تقترب من نهايتها ، وكان الحكم يومها يقف على برميل من البارود ، وسط عواصف عاتية هوجاء .

وإذن ، فليس هناك من إغراء حقيقي للسلطة في مثل تلك الظروف يستطيع اجتذاب رومل إلى بؤرة الضوء ، وهو الذي طالما استمتع بالأضواء والشهرة على المستوى العالمي . لقد كان يريد وطنه ألمانيا بأي ثمن ، وهذا ما أجمع عليه كافة من خلفتهم الحرب من القادة ومن الذين كانوا على معرفة وثيقة برومل ، وإذن فليست السلطة هي التي حركت رومل وإنما هي الفضيلة .

لقد كان بالمستطاع عرض سيرة رومل من خلال إدارته للحرب ، ومن خلال مخططاته للعمليات . ولكن إدارة الحرب تتميز

بثبات عواملها ، وبالمستطاع الرجوع إليها في دراسات منهجية أكاديمية . غير أن من شأن مثل هذا النهج حجب الناحية الانسانية ، والناحية الابداعية في عمل القائد رومل ، وهي الناحية الأكثر إشراقاً ، والأكثر أهمية في التجربة الفردة للماريشال الكبير ولهذا تم تفضيل الاعتماد بقدر أكبر على رسائله التي وجهها إلى زوجته ، أو بعض التقارير التي رفعها لقادته ، مع رسم الملامح الرئيسة لأعماله القتالية ، ولعل ذلك هو أكثر ما يجدر تعلمه .

وبعد ، فقد تقصر أية دراسة ، مهما أوتيت من الكمال ، أن تفي الرجل حقه ، أو أن تلقي الضوء على كامل أعماله . فعسى أن يكون في بعض ما اقتصر عليه البحث ، وما تضمنته هذه الدراسة ، بعض ما يفي الرجل حقه ، والذي يكفيه فخراً أنه حمل شهرة (فارس القرن العشرين) في عصر اضمحلت فيه أخلاق الفروسية وفضائلها .

المراجع الرئيسة للبحث

١ ـ رومل ـ البريغادير ديزموند يانغ ـ ترجمة الملازم الأول بشير صادق ـ مطبعة الجمهورية السورية .

٢ ـ سنوات المصير . الجنرال هـ . ج . فون ايزيبيك . تعريب الملازم الأول رضا استنبولي . دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية . ١٩٥٥ .

٣ ـ العمليات الحربية في شمال أفريقية في الحرب العالمية الثانية . وزارة الحربية . الجيش المصري . مطبعة القوات المسلحة ـ القاهرة ١٩٥٧ . (١ ـ ٤) .

٤ ـ تأملات في العصر الحاضر ـ الجنرال هانز شبايدل ـ تعريب الدكتور أحمد الحمو . دمشق ١٩٧٥ .

٥ ـ عهد الحرب الخاطفة . آري . آش أرنكتون . ترجمة رياض شاهر التقي . مركز الدراسات العسكرية ـ دمشق ـ ١٩٨١ .

٦ ـ فن الحرب . الجنرال إميل وانتي . تعريب أكرم ديري . المقدم الهيثم الأيوبي . دار القلم . بيروت . لبنان . ١٩٧٣ .

٧ ـ المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية ـ بيتر يانغ ـ ترجمة بسام العسلي ـ الإدارة السياسية ـ دمشق ١٩٧٣ .

٨ ـ حرب المباغتة ـ العقيد ألبرت ميرغلن ـ ترجمة بسام العسلي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .

(9) LA GUERRE SANS HAINE , MARECHAL ROMMEL (AMION - DUMONT) PARIS. 1953 .

(10) THE DECISIVE BATTLES OF THE WESTRN WORLD . (VOL . TWO) J.F.C. FULLER - PALADIN 1975 .

الفهرس

سلسلة مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية

١ ـ روملِ
٢ ـ غودريان
٣ ـ الماريشال ويڤل
٤ ـ مونتغومري
٥ ـ جوكوف غريغور كونستانتينوفيتش
٦ ـ ألكسندر فاسيليفسكي
٧ ـ أيزنهاور
٨ ـ الجنرال دوغلاس ماك آرثر
٩ ـ فوتجوين جياب

مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

الحرب العالمية الثانية، التي ما زالت كابوساً يؤرق حياة الناس، وعقلاء القادة، حتى يومنا هذا، أبرزت قادة عظاماً يجدر بعسكريينا ومثقفينا وجميع شبابنا أن يدرسوها، ويستفيدوا من خبراتها . . .
فقديماً قيل: «إذا أردت أن تكون عظيماً فاقرأ حياة العظماء».

لقد اختار مؤلف هذه السلسلة الجديدة، وهو المحلل العسكري الشهير والكاتب المبدع، أشهر قادة هذه الحرب، فكتب عن كل واحد منهم كتاباً، حلل فيه شخصية القائد موضوع البحث، وشرح المعارك التي خاضها، في إطار بحث شائق للظروف التي أحاطت بكل معركة من تلك المعارك وأدت إلى النصر أو الهزيمة.

